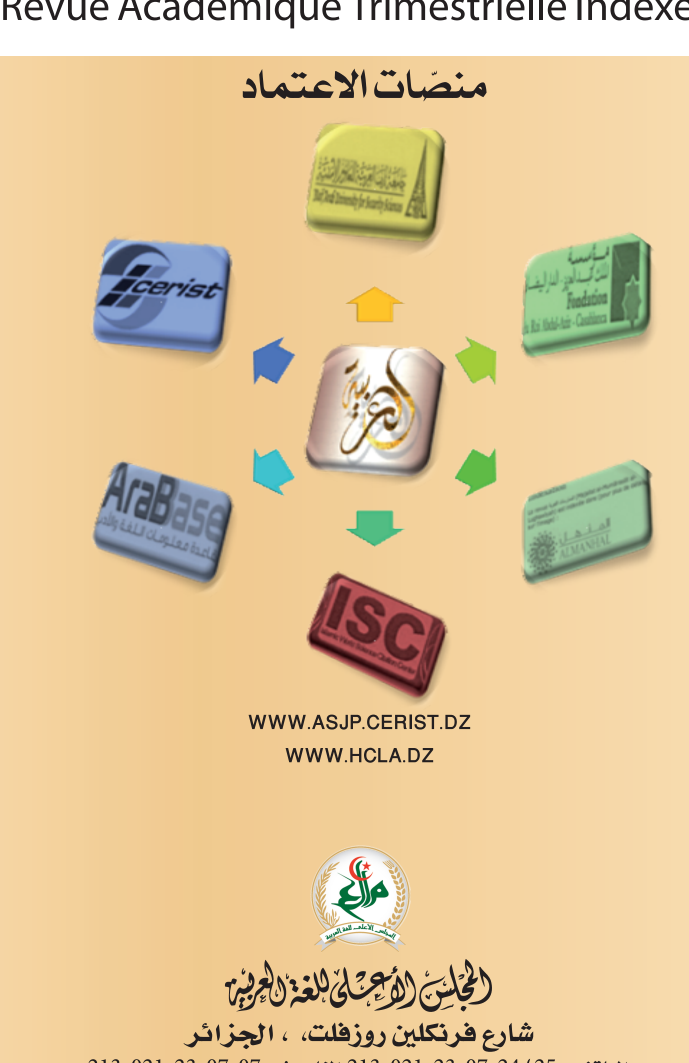


Revue Académique Trimestrielle Indexée

منصّات الاعتماد



WWW.ASJP.CERIST.DZ
WWW.HCLA.DZ

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت، ، الجزائر
الهاتف : 213.021.23.07.24/25 الناسوخ : 213.021.23.07.07
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz
madjaletalarabia@gmail.com



اللّغة العربيّة

العدد الثاني والأربعون 2018
الثلاثي الرابع 2018



العدد 42
2018

اللّغة العربيّة

مجلة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة



المجلس الأعلى للّغة العربيّة - الجزائر



مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية



العدد الثاني والأربعون

الثلاثي الرابع 2018

الإيداع القانوني
7 /20 02

ر.د.م.م
1112.3575
EISSN
6545-2600



اللجنة العلمية للتحرير

شروط النشر:

- تنشر المجلّة المقالات الرصينة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربية ومجالاتها؛
- تُكتب المقالات باللّغة العربية، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربية وآخرهما باللّغة الإنجليزية أو الفرنسية؛
- تخضع المقالات للمنهجية العلمية الأكاديمية، وتهمّش آليا في آخر المقالة؛
- تخضع المقالات للتحكيم العلمي؛
- يلتزم صاحب المقالة بالتعديل في الآجال المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- تُكتب المقالة بخط Simplified Arabic ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكتروني للمجلّة الموضّح أدناه؛
- يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكّرة أو أطروحة جامعية؛
- يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذي نشرت فيه مقالته؛
- تُرفق المقالة بسيرة علمية موجزة عن الباحث؛
- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربية.

للاتصال

madjaletalarabia@gmail.com

ASJP.cerist.dz

الهاتف: 00213 21 23 07 16 -- **الناسوخ:** 00213 21 23 07 17

المراسلة: مجلّة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، شارع فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

محتويات العدد

المحور الثالث: دراسات لغوية معاصرة

المحور الرابع: دراسات أدبية ونقدية

ابستيمولوجيا التحديث

أ.د. عبد الله العشي
رئيس التحرير

لا يكاد يختلف ناقدان على اضطراب المشهد النقدي العربي؛ فرغم التراكم الحاصل في الانتاج النقدي، سواء على المستوى الأكاديمي أم الثقافي أم الاعلامي إلا أن الوصف السائد في الكتابات النقدية هو "**الأزمة** "، فالنقد في أزمة سواء كان تراثيا أم حداثيا. وسواء كان انطباعيا أم علميا، وسواء كان تأليفا أم ترجمة. ورغم تحولاته المتعددة من منهج إلى آخر ومن نظرية إلى أخرى فإنه لم يسلم من هذا الوصف.

فالمتابع للنقد الادبي العربي يلحظ أنه في خلال نصف قرن تقريبا استقبل عددا كبيرا من المناهج بمصطلحاتها ومفاهيمها، فمن المنهج التاريخي إلى النفسي إلى الاجتماعي إلى الشكلاني الى النقد الجديد إلى البنيوي إلى الاسلوبي إلى السيميائي الى التداولي الى الثقافي إلى النسوي إلى التاريخاني...إلخ. وكل منهج بفروعه وأنواعه، وتم تطبيقها جميعا على القديم والحديث، وعلى الشعر والنثر، وعلى النصوص الأدبية وغير الأدبية وتم إنجاز آلاف الأعمال النقدية في ضوء هذه المناهج، ورغم ذلك لم تختف صفة الأزمة.

هكذا يختصر راهن النقد الأدبي في **الأزمة**. فأين تكمن المشكلة؟ هل في المنهج أم في النص أم أن ثمة قراءة أخرى؟

حقيقة المشكلة: تكمن المشكلة في مفهوم التحديث ومضمونه وسياسته في النقد العربي، فقد انصرف الفهم النظري إلى اعتبار ما وصل اليه الغرب هو منتهى الحداثة وأن كل مشروع يسعى الى التحديث ينبغي أن يستعمل منجزاته النقدية، وتغافل عن كون الحداثة مشروعا تاريخيا ينمو بشكل متكامل مع تاريخ الثقافة ووسائلها المادية ومنجزاتها الروحية في إطارين زماني ومكاني وفي سياقات حضارية معقدة بعضها واضح وبعضها خفي ويتراكم بالتدريج إلى أن يصل إلى حالة تسمى **الحداثة**. فالحداثة وضعية تاريخية تتوج مسيرة حضارية معقدة وليست نتائج علمية أو ثقافية يمكن أخذها وزرعها

في بيئة أخرى. يمكن للحداثة أن تنتقل عبر الحدود ولكنها غير قابلة للتبيئة نظرا لخصوصية البيئات وتبايناتها الثقافية والاجتماعية ومطالبها الذاتية والموضوعية، ولكن التحديث كما تجلى في النقد العربي انصب اساسا على استعارة المناهج، منهجا تلو منهج، وبشكل متسارع فلا يكاد منهج ما يأخذ مكانه في المشهد النقدي حتى يخلفه منهج آخر دون أن يتم اختبار المنهج الاول والتعرف على إمكانياته في الكشف والتحليل. ودون أن يتم التعرف على أسباب استبدال هذا بذاك. المنهج تقنية في القراءة مؤقتة ومتغيرة تتحكم فيها النصوص الأدبية والمعارف المجاورة وردود أفعال القراء بينما الحداثة ثابتة، هي فكرة نواة تتفرع عنها المناهج والنظريات. وهذا ما جعل النقد لا يثبت على حال فلا يكاد منهج من المناهج يستقر حتى يزاحمه منهج آخر فيختفي دون أن يترك أثرا واضحا وإيجابيا على النص الأدبي. ولذلك فمهما استبدلنا منهجا بمنهج فان المشكلة ستظل باقية والوصف بالأزمة باق أيضا، ولن نتخلص من الأزمة إلا بإنجاز حداثة وليس استعارة منهج.

هل يعني هذا صرف النظر عن المنجزات المنهجية للنقد الغربي؟ الجواب لا، ولكن ينبغي الوعي بما هو ثابت ومتغير، في النظرية والمنهج، يعني أن نستعمل تلك المناهج مؤقتا في تطوير قدراتنا الفكرية لوعي أبستمولوجيا التحديث. فنحن في حاجة إلى تحديث معرفي يصل بنا إلى استقلالية معرفية أو على الأقل تميز معرفي. تنشأ عنه مناهج ونظريات نقدية.

نحن مطالبون بالحداثة والتحديث كضرورة معرفية وتاريخية وحضارية، ولكننا لسنا مطالبين أن ننسخ الغرب أو أن نشبهه في مناهجه النقدية، فالمنهج وسيلة نسبية لقراءة الظواهر الأدبية. وعليه يمكن أن تكون كل المناهج صائبة كما يمكن أن تكون كلها خاطئة، فكل منهج مجرد قراءة وكل قراءة هي قراءة ضالة، أو هي مجرد قراءة ممكنة من عشرات القراءات، وأسوء ما حدث في واقعنا النقدي هو اختصارنا الحداثة في المنهج لأنه هو ما يتبين منها. مع أن الحداثة بنية تحتية بالنسبة للمنهج والمنهج تجل لها ثم انصرافنا الى المفاضلة بين المناهج بدل الأنساق المعرفية للحداثة، تلك المفاضلة التي تحولت الى صراعات بين منهج وآخر، حتى صار النقد صراعا حول حالات وهمية في سياق كهذا، وكأن المنهج حقيقة مطلقة. أو كأن المشكلة هي مشكلة منهج. وهي في

الأصل مشكلة وعي ومعرفة، هي مشكلة تفكير قبل أن تكون مشكلة فكر. مشكلة في العقل المنتِج وليس في العقل المنتَج.

ليس سهلا أن نحقق تميزنا واستقلالنا المعرفي، وليس سهلا أن نتخلص من هيمنة الغرب الثقافية، لأن وضعنا الحضاري متخلف، وتخلفنا معقد وشامل وعلى كل المستويات، والذي ينبغي أن نحرك الوعي به هو إدراك طبيعة الأزمة من أجل فهمها ثم التفكير في منهجية الخروج منها حتى ولو طال بنا الأمد. ثمة افكار كثيرة في هذا المعنى لكنها غالبا ما تكون أسيرة لفكر أحادي، والحل يكمن في عقل متحرر وأصيل. ومع ذلك فالأزمة معقدة والحل ليس هينا، ولا يكفي أن نقدم وصفة نظرية نعتقد في جدواها، ومع ذلك فثمة ضرورة لان نشير إلى الإطار المعرفي للتحديث. فكما أنه صعب أن نقدم بديلنا النقدي فصعب أيضا أن ندعي الحداثة باستعارة النماذج. فالتحديث معرفة قبل أن يكون تقنية.

ابستمولوجيا التحديث واستراتيجية الحداثة: لا يمكن تحديث النقد الأدبي قبل الوعي بالمسائل التالية:

أولا: يستند كل عمل في النقد الأدبي على نظرية في الأدب، وتستند كل نظرية في الأدب على نظرية في المعرفة، وكل نظرية في المعرفة تتطلب قراءة واعية للحظة التاريخية، فمن أجل ممارسة عمل نقدي نحن مطالبون بفهم النظرية الأدبية ومن أجل فهم النظرية الأدبية نحن مطالبون بفهم أساسها الفلسفي. هذا على مستوى القراءة والفهم أما على مستوى الإبداع، فان أي منهج نقدي لا يمكن إعداده إلا بناء على نظرية أدبية وجمالية، وإعداد نظرية أدبية تستوجب إعداد نظرية فلسفية. ثمة ترابط جدلي بين هذه المكونات. وهي لا تفهم الا في علاقاتها ببعضها، وإن الاخذ بواحدة منها على انفصال هو نوع من العطب الفكري، وعملية القفز على هذا النظام الجامع بينها يوقع عملية التحديث النقدي في الفراغ. إن النقد" لا يتجدد إلا إذا جدد نظامه المفهومي أو قل إنه لا يتحول إلى "حداثة" نقدية إلا عندما "يستحدث" جهازا معرفيا يباشر به النص الأدبي كما لم يباشره به السابقون"[1]

---

[1] ـــ عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، 1983، ص: 16

ثانيا: الحداثة ليست معطى جاهزا، يمكن تعليبه ونقله من ثقافة إلى أخرى، وليست نتاجا بلا هوية يمكن استعماله في سياقات ثقافية مختلفة بل هي جزء حميمي من ثقافة أمة ما ينتجها تاريخها وترتبط به بشكل عضوي، تحمل خصائصه المتجذرة في التاريخ والانسان والمجتمع، للحداثة امتداد تاريخي طويل وكينونة حاضرة وغايات مستقبلية مرتبطة بهذا الحاضر وذلك الماضي، فمن الخطل معاملة الحداثة معاملة اقتصادية تنظر اليها على أنها بضاعة يمكنها أن تغير الأسواق باستمرار. لكل ثقافة حداثتها إذاً حتى داخل المنظومة الثقافية المتشابهة مثل أوروبا أو العالم العربي أو العالم الاسلامي. لكل حداثة مرجعية واحدة لأنها وليدة ثقافة واحدة، ومن هذه المرجعية تكتسب شرعيتها وهويتها، فإن هي تعددت مرجعياتها فقدت تلك الهوية وتحولت إلى مزيج مشوه لا يشبه شيئا ولا يمكن أن يعبر عن كينونة ثقافية موحدة، وهذا ما حدث للحداثة العربية الموزعة بين مرجعيات شرقية ومرجعيات غربية.

ثالثا: يختلط ما هو حداثي بما يدعي الحداثة، وهو أمر يتطلب الوعي به، ولكنّنا لم نلحظ في النقد العربي تصنيفا للحداثة ومعرفة أصيلها من مزيفها إلا نادرا جدا، فالحداثة في النقد العربي صورة واحدة، ولها إما بعد إيجابي أو بعد سلبي حسب الاتجاه الذي ينظر إليها. وربما اختلط على العربي ما هو حديث دال على تحول عميق في المجتمع وما هو مجرد تقليعة عابرة تعبّر عن سلوك قد يكون شاذا أو خارجا عن سياق المجتمع والتاريخ، ومن ثم لم يفرق الخطاب النقدي العربي في تعامله مع الحداثة الغربية بين هذا النوع وذاك. فاستعار هذا وذاك معا. وقد انتبه أدونيس إلى هذه الظاهرة فكتب عما أسماه أوهام الحداثة.

رابعا: ليس النقد مجرد آليات تقنية لتحليل الخطابات الأدبية بل هو قبل ذلك خطاب معرفي وممارسة وظيفية، ينطلق من الهوية الثقافية للأمة ويمارس دوره في دعم هذه الهوية بطريقته الخاصة. ويكتسب النقد في الثقافة العربية دورا وظيفيا أوسع وأهم نظرا لحالة التخلف وحاجة الثقافة العربية إلى التطوير والدعم، إن انفصال النقد عن الهوية يجعل النقد قائما في فراغ ويحوله إلى مجرد تمارين قد تصل حد العبث. النقد الادبي لا بد أن يكون مسنودا بدعم فكري وجمالي وحضاري، وإلا فهو فعل مفرغ ومجاني

هذه موجهات إبستمولوجية لفكرة الحداثة لا يمكن تأسيس حداثة في غياب الوعي بها.

المحور الأوّل

دراسات تراثيّة

أثر سورتي الكهف والبقرة في شعر أبي نواس

أ. عليوة محمد ♥
جامعة الجزائر 2

تاريخ الإرسال: 25-05-2018 تاريخ القبول: 08-07-2018

الفكر النّقدي العربيّ القديم حافل بالنّظريات والإجراءات التّطبيقيّة الّتي تعتبر أصلا من أصول النّظريات النّقديّة الغربيّة الّتي تثير إعجابنا لما اكتسته من ثوب حداثي ترجع أصولها في حقيقة الأمر إلى تراثنا النّقدي، وقد لا يكمن الاختلاف سوى في المصطلح أو المناهج.

وحسب ما يذهب إليه عبد الملك مرتاض فإنّ مصطلح "التّناص" مرادف لمصطلح "السّرقات" المتداول منذ القديم لدى العرب ولكن بمفهوم إيجابي بعيدا عن ما كانت تحمله من معاني سلبيّة، ولم يكن مرتاض وحده من خلص إلى توافق المصطلحين حينما ربط بين التّناص بمفهومه الحديث وقضيّة السّرقات التراثيّة، بل أيّده في ذلك كثير من النّقاد لعلّ أبرزهم محمد عبد المطّلب وربى عبد القادر بالإضافة إلى الغذامي وصبري حافظ.

والرّابط الأساسي الجامع بين المصطلحين أنّه لا يمكن فهم النّص إلّا من خلال تحديد علاقته مع نصوص أخرى، ومثال ذلك قول سراج الدين الوراق:

يَا لَائِمي فِي هَوَاهَا أَفْرَطْتَ فَي اللَّوْمِ جَهْلًا
لا يَعْلَمُ الشَّوْقَ إلا ولا الصَّبَابَةَ إِلّا

فالقارئ لهذا البيت قد يتشعب فكره في مناحٍ شتّى، لا يدرك المراد منه إلا إذا كان على علم بقول الشاعر القديم:(1)

♥ mzjhonsmith@gmail.com

لَا يَعْلَمُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

ويتضّح من خلال هذا المثال أنّ فكرة "حفظ النّصوص ونسيانها" الّتي جاء بها ابن خلدون وابن طباطبا هي أحد أعمدة التّناص، ونظريّات القراءة الحديثة، وكذا ما يعرف لدينا بطريقة حفظ النّصوص الجيّدة من مُتُون والقرآن والحديث والأشعار و... ممّا نستعين به في تعليم أبنائنا وإكسابهم ملكة لغويّة والعمل على جعل أدمغتهم أكثر انفتاحا على مختلف العلوم واللّغات.

فالمستوى المعرفي الثقافي للمتلقي يلعب دورا هاما في الكشف عن النّص الغائب الذي يتفاعل معه النص الحاضر محل الدراسة باعتبار القارئ قطبًا هامًا وعنصرًا أساسيا ينكشف به التناص، لأن النص الغائب قد يكون نصا قرآنيا أوحديثا نبويا شريفا أوقطعة أدبية نثرية كخطاب أومقال أومثل أوحكمة أوقول مأثور لأحد العلماء أوالحكماء أونصا شعريًا... بالإضافة إلى ضرورة إدراك السياق فذلك يعد شرطا أساسيا للقراءة السليمة التي يظهر من خلالها التناص للقارئ، وذلك لأن للّنص سياقات متعددة يمكن أن تكون ذات رابط اجتماعي أوسياسي أوتاريخي أسطوري أوحضاري أو...

فالمقصود بالمتلقي في هذا الإطار ذلك القارئ الذي يمتلك ذائقة جمالية ومرجعية ثقافية واسعة تؤهله لدخول عالم التناص فتصبح قراءته للنصوص إعادة كتابة عن طريق الفهم والتأويل فيكون بذلك عنصرا حاسما في رفع النّقاب عن التناص في حالة غياب المرجعية النّصية.

وقد قسم البلاغيون المعاصرون التناص إلى تضمين واقتباس وهما مصطلحان معروفان في الدرس البلاغي العربي منذ القديم، إلا أنهما عرفا تطورا كغيرهما من المصطلحات النقدية.

فالاقتباس يعني بصورة مختصرة أخذ الشاعر أوالناثر نصا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ليوضع في شعر الشاعر أو نثر الناثر، ومن البلاغيين والنقاد

من جعل الاقتباس يشمل الأخذ من بعض العلوم والمعارف الأخرى، كالنحو والصرف والفقه والعروض، وغير ذلك. أما التضمين فيعني أخذ الشاعر بيتًا أوجزءًا من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره، على أن يكون ذلك علنا من دون أن يخفي ذلك، وإلّا فالأمر يعد سرقة أدبية.

(فنجد عبد الهادي الفكيكي في كتابه " الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي " يربط الحديث عن الاقتباس بالحديث عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية وآدابها.)[2] وقد تطرق من خلال كتابه إلى الأغراض الشعرية التي مسها الاقتباس مقدما نماذج في الزهد والوعظ، المدائح النبوية، المدح والهجاء، الفخر الاستعطاف الرثاء، الغزل والعتاب.

(والاقتباس لغة: طلب القبس، والقَبَس بفتح الباء شعلة من نار تؤخذ منها أومن معظمها، فاقتبس النار أي أخذها)[3]، وبهذا المعنى جاء في سورة طه على لسان موسى عليه السلام (إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس)[4]، (كذا ما روي عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وكانت عائشة قد بعثت خادمها "فند" ليقتبس لها نارا، فتوجه إلى مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجمر فقال: تعست العجلة، فردت عليه قائلة:

بَعَثْتُكَ قابِسًا فلَبِثْتَ حَوْلًا   متى يَأتي غَوَاثُكَ مَن تُغِيثُ

ويستعار لفظ الاقتباس لطلب العلم والأدب فتقول: اقتبست منه علما وأدبا أي أخذت واستفدت)[5]. (واقتبست منه علما أيضا، أي استفدته، قال الكسائي اقتبست منه علمًا ونارًا سواء)[6] وقد ورد الاقتباس بمعنى الاستعارة والاستفادة وطلب الهداية في حديث: ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)[7]، ومنه قوله تعالى في سورة الحديد (انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نورِكُمْ)[8]

أما اصطلاحًا، فالاقتباس عند البلاغيين: (أن يُضَمَّنَ الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، والكلام هنا يشمل المنظوم والمنثور)(9) ومنهم من قصر الاقتباس على القرآن لا غير، فقيل: (الاقتباس أن يضَمِّن المتكلم كلامه كلمة من آية أوسورة من كتاب الله)(10) ومنهم من لم يكتفِ بذلك، فزاد على القرآن والحديث الاقتباس من مسائل الفقه والعلوم الأخرى، كالنحو والعروض والمنطق وغيرها.

(وتجدر الإشارة إلى أن على المقتبس من كلام الله عزّ وجل أوالحديث أن لا ينبّه على ذلك)(11) أي أن لا يقول في كلامه المنظوم أوالمنثور " قال تعالى" أو" قال رسول الله " أو ما يشبه ذلك من العبارات . (ومن البلاغيين من وضع الاقتباس في مكانة مرموقة في الصناعة البلاغية، ليس فوقه من الكلام ما هو أعلى درجة منه لأنه ممزوج بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به)(12)

والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود، **فالأول** :ما كان في الخطب والمواعظ ونحو ذلك، **والثاني** :ما كان في العهود ومدح النبي والغزل والرسائل والقصص، **والثالث** :على ضربين: أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان إنه وقّع على مطالعة فيها شكاية من عمّاله :فقال: " إنّ إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم " اقتباسا من الآيتين 25- 26من سورة الغاشية والآخر تضمين آية كريمة في معرض هزل ونعوذ بالله من ذلك، كقول القائل:

أَوْحَى إلى عُشّاقِهِ طَرَفُه هيهات هيهات لما توعَدُون(13)

اقتباسا من الآية36 من سورة المؤمنون.

(ومن المسائل التي يجب تثبيتها في موضوع الاقتباس أن الشعراء والخطباء والكتاب عندما يأتون بنصوص من القرآن أوالحديث الشريف لا يأتون بها على كونها نفس المقتبس منه، ولولا ذلك للزمهم الكفر فيلفظ القرآن والنقص منه

ولكنهم يأتون به استحسانا للفظ القرآن ولوقعه وتأثيره في النفوس.)[14]

وأمثلة الاقتباس من القرآن في باب الشعر كثيرة لا حصر لهـا، ولـم يقتصـر الاقتباس من القرآن الكريم على الشعر فحسب فقد شمل النثر أيضًا، إلا أنـه يعـزّ على الباحث أن يجد أمثلة كثيرة للاقتباس من الحديث النبوي الشريف في الشـعر إذ لم أعثر على نماذج كثيرة لهذا الاقتباس كما كان الأمر مع الاقتباس من القرآن الكريم وربما يرجع ذلك إلى كثرة تداول النصوص القرآنية وحضورها في الـذهن أكثر من نصوص الحديث الشريف وكذا الشكوك التي تلتف حول بعض النصوص المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتضعفها أوتنكر نسبتها إليه ممـا يجعـل الاقتباس ضعيفا وذا قيمة فنية متدنية.

الاقتباس الحرفي والإيحائي: وبعيدا عن النظريات والتعاريف المختلفـة، فقـد ارتأيت التركيز من خلال هذا البحث المتواضع على نوعين أساسيين من الاقتبـاس يتمثل أولهما في الاقتباس الحرفي اللفظي أما النوع الثاني فهو الاقتباس الإيحـائي باعتباره أحد ظواهر التفاعل النصي.

والمقصود بالاقتباس الحرفي أو اللفظي أن يضمّن الشاعر شعره شيئا من كـلام الله تعالى حرفيا دون تحوير أو تغيير في اللفظ، ويعد هذا النوع أدنـى مسـتويات التناص كونه يفتقد إلى عنصر الإيحاء وعنصر المفاجأة لدى القارئ ويجعل النص أكثر توقعا لديه (لأن قيمة كل ظاهرة أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا بحيث كلما كانت الخاصية غير منتظرة كان وقعها على نفس القـارئ أعمق)[15]

(أمّا الإيحائي فهو أعمق من الحرفي إذ يتجلى بالتشرب والذوبان الكلي الذي لا يظهر منه إلا الإشارة أو التلميح والإيماء دون التصريح باعتماد المعنى دون اللفظ على خلاف المستوى السابق، ويكون بالاستفادة من الآيـات والمعـاني القرآنيـة والقصص القرآني إلى المعاني المراد تبليغها، وتوظيفها بحيث تكون منصهرة فـي

النص الشعري المنشأ ولا تظهر منها سوى إشارات تحيل عليها، ويتوقف تحديد هذا النوع على ثقافة القارئ أي أنه يتطلب قارئا نموذجيا. وبذلك يدخل التناص ومعه المتلقي في حقل التأويلية التي ستستخدم فيها حتماً معيارية من نوع ما وسيرى المتلقي نفسه يميل مع هذا النص ويتفاعل معه ويختار له بعداً تأويليا من بين العديد من الأبعاد الأخرى وهذا يتم وسط مجموعة من القراءات التي لابدّ أن ينزاح المتلقي مع واحدة منها ويراها هي التي تعلي من شأن شعرية النص وتطرح بصورة حتمية مسألة قيمة العمل.) (16)

(وهذا بالطبع يحتاج إلى قارئ مسلح بوعي نقدي عالٍ قادر على تحليل مفردات النص، وهذا صنف من التحليل يعد فاتحة لعملية النقد أو متزامنا معها وهو يقود إلى عملية تأويل النص واستخلاص المواقف الجمالية والإبداعية فيه، ولابدّ لهذا التأويل أن يتناص مع الأركان المؤسسة لثقافة الناقد الذاتية ورؤاه الفردية المرجعية.) (17)

(فالتناص كغيره من المكونات الأخرى للنص يخضع للتفاوت بحسب وعي المنشئ وتفاعل المتلقي، فقد لا يتفاعل المتلقي مع تناصات المنشئ خصوصاً إذا كانت لا تنتمي إلى مجاله الثقافي ولم تكن جزءاً من مرجعيته المعرفية وهذا ما واجهه الشعر العربي الحديث بدرجات متفاوتةٍ مما يجعل المتلقي يشعر بالغربة أمام النص وباستحالة فهمه لمقاصده.) (18)

ولكن الباحث لا يجب أن ينظر إلى العملية بهذا السوء، فليس كل تعددية للنص تعني تشتت هويته بل على العكس قد تعني إثراءه وتعاظم أفقه الدلالي بما تكسبه تلك التعددية من القراءات الحمّالة لوجوه عديدة.

اقتباس أبي نواس من سورتي الكهف والبقرة: قد يعتقد من يسمع عن شعر أبي نواس دون أن يقرأه أو يتدبر معانيه أنّه أبعد ما يكون عن كلام الله تعالى والمعاني الدّينيّة المستوحاة منه، وذلك لما ناله من سمعة أساءت كثيرا لشخصيته

كمسلم أولا وكشاعر فذّ في المقام الثّاني، وقد فتح عليه هذا الأمر بـــاب التلفيـــق إذ يقول النقاد أنّ كثيرا من الشعر المنسوب إليه ظلم في حقّه، إلّا أنّ القارئ لشـــعره لابد أن يلحظ ما يزخر به شعره من اقتباسات قرآنية سواء كان ذلك في مقام اللهو والعبث أم بغرض الزهد وإظهار النّدم والتوبة أم لأغراض أخرى في نفســه، وإذا كان الاقتباس في باب الزهد عاديا بل مطلوبا لابد منه فالعجيب في أمر هذا الشاعر توظيفه للألفاظ والمعاني القرآنية بعيدا عن إطارها الديني وتوظيفهـــا فـــي اتجـــاه معاكس تماما تبدو فيه نبرة السخرية والاستهزاء أحيانا لتزكية نزوعه إلى الشـــرب واللهو والعبث وإشباع نزواته الخبيثة، وليس من باب الصدفة أن نجد ذلك في شعر أبي نواس المتأثر بابن الحباب أيّما تأثير، إذ نجد أسلوب توظيف المعاني والطقوس الدينية في مقام الشرب واللّهوعن أستاذه والبة بن الحباب حيث قال فـــي وصـــف إبريق الخمر موظفا معنى الصلاة:[19]

إبريقُتـــــــــا مُصَــــــــــــلٍّ   يضـــــحك فـــــــي صَــــــلاتِه
يَكُـــــــــبُّ ثـــــــــم يُقعـــــــــي   كـــــــالظّبي فـــــــي فَلاتِـــــــه
يَمُـــــــــجُّ كـــــــلَّ شـــــــيءٍ   يَمُـــــــرُّ فـــــــي لَهاتِـــــــه

وقد أخذ أبونواس عن الأبيات السابقة قائلا:[20]

فـــي أبـــاريق سُـــجّدٍ كبنـــات ال   مـــاء أَقْعَـــيْن مـــن حـــذار الصّـــقورِ

ولم يكن تشبّه أبي نواس بابن الحباب مقتصرا على نظم الشعر فحسب، بل جعل منه قدوة له في سلوكاته وفساد أخلاقه ونمط حياته عامة.

وكانت تشرّبات الشاعر من النصوص الدينية في أغلبها منصهرة، فلـــم يظهـــر منها إلا إيماءات بسيطة وإشارات، وقد تجلى هذا النمط في عدّة مواضع من شعره.

ولعل أبا نواس اختار استيحاء النص القرآني بالذات ليعمق وصف حاله ويجعل المتلقي متعاطفا معه يشاركه مصابه، ولا شك أن إعجاز القرآن واضح في ذهـــن أبي نواس، ويبدو أن هذا هوما دفعه للتناص مع الآيات القرآنيـــة، وقـــد اســـتطاع

أبونواس بعبقريته الفذة أن يتشرب معانيها بطريقة ذكية وبارعة.

فنجده يكشف عن فاعلية الخمر من خلال الإشارات القرآنية التي يوظفها في شعره، حين يقول:[21]

قام الغلام بها في الليل يمزجها كالبدر ضوء سناه للدجى حال

تكاد تخطف أبصارا إذا مزجت بالماء واجتلت في لونها الجالي

وقد تمكن أبونواس من خلال البيتين السابقين من إظهار تقديسه للخمر وتعظيم شأنها من جهة، والكشف عن فاعليتها في نفس الناظر فهي تخطف البصر لشدة صفائها وعدم كدرها، والملاحظ أن تحقيق أبي نواس لهذه المعاني كان عن طريق تأثره بالآية القرآنية:

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) ﴾[22]
ونستطيع أن نلمس هذا التأثر بشكل جلي من خلال عبارة " تكاد تخطف أبصارا " التي اعتمدها لوصف شدة لمعان الخمر حال مزجها بقدرتها على خطف الأبصار كما هو الحال في شدة لمعان البرق. متأثرا في ذلك بشدة لمعان البرق في الآية.

ويتعدى الشاعر في اقتباسه مضمون الآية الواحدة في بعض أشعاره فيتشرب معاني آيتين أو أكثر أحيانا ويعمل على توظيفها بأشكال مختلفة، فينقلها نقلا حرفيا مباشرا تارة أو يستحضرها استحضارا إيحائيا دلاليا في أحيان أخرى، ومن أمثلة ذلك في شعره قوله:

لفتية قد بكروا بأكلب قد أدّبوها أحسن التأدّب

في تداخل دلالي مع مضمون الآيتين من سورة الكهف ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) ﴾[23]
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) ﴾[24] مع استحضار إيحائي خفي لقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19)﴾[25]

وجاء توظيف أبي نواس لقصة أصحاب الكهف في معرض امتداح أصحابه المشاركين له لحظات السكر والنشوة، الذين خصص لهم جزءا هاما من أبياته، فقد كثر توظيفه للفظة الفتية في خمرياته. يقدم أبونواس «الفتية» ويشير إلى مجموعة من الصفات التي يتسمون بها وفي تصرفاتهم. ففي سورة الكهف يُعدّ الفتية من المؤمنين وفي هذا تناقض بين واقع «فتية أبي نواس» الذين يرتكبون المعاصي وفتية أهل الكهف، وهذا ما يُظهر أسلوباً يتّبعه الشاعر باستمرار حين يُقلّب الأوضاع عمداً كما أشرنا سابقا.

وفي سياق آخر بعيدًا عن رفقة السوء والشرب عمد الشّاعر إلى عدّة اقتباسات اللّفظية في شعره كقوله: [26]

وقلتُ ربّي ذو رحمة وذو غفران: استحضارا لقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58)﴾[27] مستحضرا معنى رحمة الله الواسعة في مقام " الزهد ".

إلّا أنّ هذا الاقتباس رغم حرفيّته إلّا أنّه لم يكن اجتراريّا للفظ الآية دون تحوير أو تغيير، بل برزت من خلاله قدرة الشّاعر على التّشرّب والاستفادة من ثقافته الدّينية.

والملاحظ أنّ الاقتباسات السّابقة مأخوذة من سورة الكهف، كما نلاحظ على اقتباس أبي نواس من آياتِ القرآن الحكيم كثافة الاقتباس من سورة البقرة، ولا

يمكن أن يكون هذا من باب الصدفة. فتكرار بعض المعاني يؤكد للقارئ أنه أمـــام اختيار مؤكد لدى الشاعر. ونبدأ من قوله الشهير في وصف الخمر:[28]

صـــفراء لا تنـــزل الأحـــزان ســـاحتها إذا مسّـــها حجـــر مسّـــته ســـرّاء

الذي ارتأيته مُقتبَسًا من قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَـــالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) ﴾[29]

حيث أنّ وجه الشّبه بين الآية الكريمة والنص الشعري يكمن في اللّون الأصفر البهيج الذي يسرّ ناظره ويحرّك الجماد ببثّ روح السرور فيه، وأبونواس كما سلف الذّكر مولع بكلّ أوصاف الخمر الجذّابة، وها هو يختار لها وصـــفا قرآنيـــا راقيـــا ليمنح خمرته مكانة تضاهي مكانة بقرة بني إسرائيل التي أحيـــى بهـــا الله الميّـــت وأظهر على لسانه كلمة الحق.

وينطبق هذا على قوله أيضا:[30]

صـــفراء تَسْـــلُبُكَ الهُمـــومَ إذا بـــدتْ وتُعِيـــرُ قلبَـــك حُلّـــة السّـــرّاءِ

ولم يقتصر تناص أبي نواس مع القرآن الكريم على التشرب المعنوي في شكل إيحاءات فقط، بل نجد له عدة اقتباسات حرفية وتداخلات لغوية مباشرة مع عدد من آياتِ القرآن الكريم.

حيث يعترف أبونواس بحرمة شرب الخمر وعظيم وزر شاربها في قوله:[31]

لَحـــانِي كـــي لا أشـــربَ الـــرَّاحَ إنّهـــا تُـــورث وزرًا فادحًـــا مـــن يـــذوقها

اقتباسا من آية تحريم الخمر في سورة البقرة: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِـــرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُـــلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) ﴾[32]

ونلمس في بعض الأحيان شيئا من التناقض في شعر أبي نوّاس، إذ يصرُّ علـــى المعصيةِ والمجون تارةً ويبدي امتعاضهُ تارةً أُخرى. فيذكر في غير مـــا موضـــع

عدم رضوخه للعاذلين رغم قوة حجتهم كقوله:[33]

أ عَـــــاذِلتِي اقصُـــــري عــــن بعــــضِ لــــوْمِي
فَراجِــــــي تَــــــوْبَتِي عنْــــــدِي يخيــــــب
تُعيبِــــــينَ الــــــذّنُوبَ وأيُّ حــــــرٍّ
مِــــن الفتيَــــانِ لــــيسَ لــــهُ ذنــــوب

ويظهر حسّ التأثر والندم والتوبة في مواضع أخرى –على قلّتها–:[34]

أَعــــاذِلِ بِعْــــتُ الجَهــــلَ حيــــث يُبَــــاعُ
وأَبــــرَزْتُ رأسِــــي مــــا عليــــهِ قِنــــاعُ
نهــــاني أميــــرُ المــــؤمنينَ عــــن الصِّــــبَا
وأمــــرُ أميــــرِ المــــؤمنينَ مُطــــاعُ
ولهــــو لتأنيــــبِ الإمــــامِ تركتــــهُ
وفيــــه لِــــلاهٍ منظَــــر وسَــــمَاعُ

وقد خَلصتُ إلى أن ذلك يعد من إبداعات أبي نواس، فجمعه بين اللهو والزهد في نفس القصيدة، وكثافة ما تحتوي عليه تلك القصائد من الإيحاءات والإشارات إلى النصوص القرآنية ليس بالأمر الهيّن، ونلمس هذه الظاهرة بشكل ما عند أبي العتاهية أيضا في بعض قصائده (المزج بين اللهو والزهد) إلّا أنّها لم تكن بارزة لديه كما هو الحال عند الحسن.

(ويذكر أنّ أبا نواس ذهب إلى الحجّ وبعد عودته عمد إلى الإلحاح في بعث الرسل والوسطاء على جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي يستعطفونها لتلقاه ويسعد بلقائها، فلما ضاقت برسله ومبعوثيه ضربت له موعدا ولم يكن في نيتها أن تفي له بالوعد ولم تجبه إلى رجائه، فكان يطوف بقصر الثقفيين وينشد:

أطــوف بقصــركم فــي كــلّ يــوم كــأنّ لقصــركم خلــق الطــواف[35]

مشبها بذلك قصر الثّقفيين ببيت الله الحرام الذي لم يجعل الطواف لبناءٍ سواه ومقتبسا من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)﴾[36]

كما يمكن الاستدلال على تأثر الشاعر الكبير بسورتي البقرة والكهف أيضا بإحدى قصائده، حيث لفت انتباهي إسهاب الشاعر في اعتماد السورتين كمرجعية هامة لأفكاره المبثوثة فيها بالإضافة إلى بضع اقتباسات من سور أخرى، وكانت اقتباساته (ولاسيما من سورة البقرة) بارزة في معظم أبيات القصيدة. ومن هنا وجب التساؤل عن المعاني الجديدة التي أضفاها هذا التناص على القصيدة:[37]

وفِتيَـــــــــةٍ كَمَصــــــــابيحِ الـــــــدُجى غُـــــــرَرٍ

شُـــــمُّ الأُنـــــوفِ مِـــــنَ الصـــــيدِ المَصــــاليتِ

صــــالوا عَلـــى الـــدَهرِ بِـــاللَهو الَّـــذي وَصَـــلوا

فَلَـــــيسَ حَـــــبلُهُمُ مِنـــــهُ بِمَبتـــــوتِ

دارَ الزَمــــــانُ بِــــــأَفلاكِ الســــــعودِ لَهُـــــم

وعــــاجَ يحنــــو علــــيهم عــــاطِفَ الليــــتِ

نــــــادَمتُهُم قَرقَـــــفَ الإِســـــفنطِ صـــــافِيَة

مَشـــــمولَةً سُـــــبيَت مِـــــن خَمـــــرِ تِكريـــــتِ

مِـــــنَ اللَـــــواتي خَطَبناهــــا علــــى عَجَـــــلٍ

لَمّـــــا عَجَجنـــــا برَبّـــــاتِ الحَوانيـــــتِ

فــــي فَيلَــــقٍ لِلــــدُجى كَــــاليَمِّ مُلــــتطِمٍ

طــــامٍ يَحــــارُ بِــــهِ مِــــن هَولِــــهِ النــــوتي

إِذا بِكـــــــافِرَةٍ شَـــــــمطاءَ قَـــــــد بَـــــــرَزَت

فـــــــي زَيٍّ مُختَشِّـــــــعٍ لِلَّهِ زِمّيـــــــتِ

تنمـــي إلـــى محتـــد الكفـــارِ فـــي نســـبٍ

أهــــل الصـــوامع عبّـــاد الطواغيـــت

قالَـــت مَـــنِ القَـــومُ؟ قُلنـــا مَـــن عَـــرَفتِهُمُ

مِـــن كُـــلِّ سَـــمحٍ بِفـــرطِ الجـــودِ مَنعـــوتِ

حَلّـــوا بِـــدارِكِ مُجتـــازينَ فَـــاِغتَنِمي

بَـــذلَ الكِـــرامِ وقَـــولي كَيفَـــا شـــيتِ

فَقَـــد ظَفِـــرتِ بِصَـــفو العَـــيشِ غانِمـــةً

كَغُـــنمِ داوودَ مِـــن أَســـلابِ جـــالوتِ

هِـــيَ الصـــباحُ يُجلّـــي اللَيـــلُ صـــفوَتَها

إِذا ارتَمَـــتْ بِشِـــرارٍ كَاليَواقيـــتِ

رَمْـــيَ المَلائِكَـــةِ الرُصّـــادِ إِذ رَجَمَـــتْ

فـــي اللَيـــلِ بِـــالنَجمِ مُـــرّادَ العَفاريـــتِ

فَأَقبَلَـــت كَضِـــياءِ الشَـــمسِ بَازِغَـــةً

فـــي الكَـــأسِ مِـــن بَـــينِ دامـــي الخَصـــرِ مَنكـــوتِ

قُلنـــا لَهـــا كَـــم لَهـــا فـــي الـــدَنِّ إِذ حُجِبَـــت

قالَـــت قَـــدِ اتّخِـــذَت مِـــن عَهـــدِ طـــالوتِ

كانَـــت مُخَبَّـــأَةً فـــي الـــدَنِّ قَـــد عَنَسَـــت

فـــي الأَرضِ مَدفونَـــةً فـــي بَطـــنِ تـــابوتِ

فَقَـــــد أتيــــــتُم بِهــــــا مِـــــــن كُنــــــهِ مَعـــــدِنِها

فَحـــــــاذِروا أَخـــــــذَها فـــــــي الكَـــــأسِ بِـــــالقوتِ

يُـــــــديرُها قَمَـــــــرٌ فـــــــي طَرفِـــــــهِ حَـــــوَرٌ

كَأَنَّمــــــا اشـــــــتُقَّ مِنـــــــهُ سِـــــــحرُ هـــــــاروتِ

حَتّـــــــــى إِذا فلــــــــكُ الأَوتـــــــــارِ دارَ بِنـــــــا

مَـــــــعَ الطبـــــــولِ ظَلِلْنـــــــا كَالمســـــــابيتِ

لَـــــم يَثْننـــــي اللَهـــــو عَـــــن غِشـــــيانِ مَورِدِهـــــا

ولَـــــــم أَكُـــــــن عَـــــــن دَواعيهـــــــا بِصِـــــــمّيتِ

حَتّـــــــــى إِذا الشَـــــــيبُ فاجـــــــأني بِطَلعَتِـــــــهِ

أَقـــــبِحْ بِطَلعَـــــةِ شَـــــيبٍ غَيـــــرِ مَبخـــــوتِ

عِنـــــــدَ الغَـــــــواني إِذا أَبصَـــــــرنَ طَلعَتَـــــــهُ

آذَنَ بِالصَـــــــــرمِ مِـــــــــن وِدٍّ وتَشـــــــــتيتِ

فَقَـــــد نَـــــدِمتُ عَلـــــى مـــــا كـــــانَ مِـــــن خَطَـــــإ

ومِـــــــن إِضـــــــاعَةِ مَكتـــــــوبِ المَواقيـــــــتِ

أَدعـــــوكَ سُـــــبحانَكَ اللَهُـــــمَّ فَـــــاعْفُ كَمـــــا

عَفَـــــوتَ يـــــا ذا العُلـــــى عَـــــن صـــــاحِبِ الحـــــوتِ

حيث تحتوي الأبيات السابقة على أسماء شخصيات مشهورة من البيت الثـامن إلى الحادي والعشرين من أمثال: طالوت وجـالوت وداوود وهـاروت وصـاحب الحوت (نبيّ الله يونس عليه السلام) كما أنها تتضمن كلمة التابوت وإضـافة إلـى ذلك فإنّ جميع هذه الأسماء تحتل مكان القافية وتذكّرنا بأحداث مذكورة في القـرآن وخاصة في سورة البقرة، فكان من الضروري الوقوف برهة لأن اقتباسا كهـذا لا يمكن أن يكون حدث من باب الصدفة ولمجرد الحصول على بـضع قوافٍ بل هو

مقصود. ولذلك يجدر بنا أن نلقي نظرة إلى تسلسل الآيات ودور ذلك التسلسل في بناء المعنى، لنحاول أن نكتشف من خلال تسلسل الآيات نوعية العلاقات القائمة بين النصين والتي تؤكد أن الشاعر قد قصدها للتعبير عن آراء أو مفاهيم أو صور في قصيدته هذه.

فنجد أنّ الآية﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)﴾[38] من سورة البقرة تذكر الطاغوت وصراع النور والظلمات كما يفعل أبونواس وفتيته في موقف سعيهم إلى الخمارة وما تمخّض عن ذلك من أحداث.

ويمتاز الفتية حسب الشاعر بصفة معروفة معتادة في قصائد أخرى له وهي الكرم والسّخاء (البيت9)، وموقفهم من المال يلفت النظر حيث أنهم مستعدون أن يبذلوا في الخمر مبالغ باهظة (البيت10) دون مبالاة «قولي كيفما شيتِ» «بذل الكرام» ويجدر بنا أن نقف عند الأبيات التي يقوم فيها الحوار بينهم وبين الخمارة ويدور فيه الفصال والمساومة لشراء أحسن الخمور. وهذا الوضع مألوف شائع في خمريات أبي نواس غير أنّنا هنا أمام أبيات تشير إلى مساومة حادة ذات علاقة بالآيات المشيرة إلى طالوت الذي أصبح ملكاً على بني إسرائيل بعدما كانوا يبحثون عن ملك لمحاربة أعدائهم. إلا أنهم لم يرضوا به لقلة ماله ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) ﴾[39] غير أن الله جعل آية التابوت لإقناع بني إسرائيل بأحقية طالوت في الملك، والإلحاح على المال يسترعي الانتباه ويجرّنا إلى التساؤل حول العلاقة بين جود الفتيان وبذلهم أموالاً طائلة وقلة مال طالوت ؟

ثم يأتي ذكر داوود وجالوت وقصّتهما معروفة في البيت 11 من هذه القصيدة:

فقـــــــد ظفـــــــرت بصَـــــــفْو العـــــــيش غانمـــــــةً

كَغُـــــــنْم داوودَ مـــــــن أســـــــلاب جـــــــالوت

أخذًا عن قوله تعالى﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْـكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) ﴾[40] وسياق جميع هذه الآيات يرمي إلى الحث على القتال في سبيل الله كما يستنتج من النص القرآني نفسه ومن التفاسير.

أما ذكر الصوامع والطواغيت:

تنمـــــى إلـــــى مَحْتِـــــد الكفّـــــار فـــــي نســـــبٍ

أهـــــلِ الصـــــوامع عُبّـــــادِ الطواغيـــــتِ

فَيُحيلنا على اقتباس معنوي أكثر منه لفظي، فقد وردت مفردة الطاغوت في عدّة آيات من القرآن وكلّها واردة بصيغة المفرد، وفي سورة البقرة بالذات نجد قولـه تعالى﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِـدُونَ (257)﴾[41] إلّا أنّها وردت بصيغة الجمع في النص الشعري.

وتعني كلمة الطاغوت: ما عُبد من دون الله عزّ وجلّ، وكلّ رأس في الضَّـلال طاغوت قيل: الأصنام، كما قيل: الشيطان والكهنة ومردة أهل الكتاب حسب ما ورد في قاموس المعجم الوسيط.

فالخمّارة بصفتها كافرة على حد قول الشاعر تنتمي إلى «عبـدة للطواغيـت» وهي ملّة اخترعها الشاعر كما اخترع عبارة «أهل الصوامع»

أما موضوع المسخ فالهدف منه إظهار التزمّت والتّمـسك بالدين يُخفـي علـى سبيل الاستهتار والسخرية عدم مبالاتهم بالدين أصلاً وقد يكـون أيضـاً رداً علـى

خشوع صاحبة الحانة المصطنع «قد برزت في زيّ مختشع لله زمّيتِ» (البيت 7) أمّا طالوت فيظهر مرة أخرى مقترنا بعمر الخمر (البيت 15) وهي في التابوت.

ولا شك أن جميع هذه الاقتباسات مُسَخّرة لأداء معنى متكامل، ففي هذا الصدد يجب ألّا ننسى أن آية الملك طالوت هي التّابوت. ويبدو أن المعنى الذي ورد به في سورة البقرة يسمح للشاعر أن يوازي ويساوي بين التابوت وبين الخمر والسكينة التي تحدثها في نفوس الفتية ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248) ﴾[42]، وصورة الملائكة التي تحمل التابوت تدعمها صورة الملائكة المذكورة فعلاً في البيت الخامس عشر حيث نجدها على شكل جنود يرجمون العفاريت.

ومن أهم الشخصيات التي لم تُذكر إلا في سورة البقرة هاروت وصاحبه ماروت ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) ﴾[43] وقد اشتهر هاروت بالسحر، فنرى من ذلك كلّه أنّ الفتية نجوم يُهتدى بهم وأنهم مقيمون في السماء الدنيا وهم حماة الوحي بصفتهم نجوماً وكواكب يُرجم بها الشياطين، وأنهم يخوضون معركة النور والظلام ويشاركون في ذلك الخمر التي لا يكادون ينفصلون عنها في الأعمال والصفات كما يدل على ذلك أيضاً تسلسل الآيات في سورة البقرة.

ويجب على دارس القصيدة أن يلاحظ أن الاقتباسات العديدة من النص النموذج (القرآن) تبني صورة مختلفة تماماً عمّا كانت ستكون لولاها. فتطبيق هذه الاقتباسات

على القصيدة ومحاولة فهمها من خلال سياقها في القرآن لا يسمح لنا أن نكتفي بالصورة التي نستخرجها للفتيان عادةً أي صورة مجموعة من الشبان تنتمي إلى الأرستقراطية وتفرض كبرياءها ومالها وتتحدى القوانين الدينية والاجتماعية وإن كانت هذه الملامح صحيحة على كل حال. ولكن إذا اتخذنا الاقتباسات بدقّة أكبر رأينا أن المصابيح ليست مجرد إشارة إلى جمال هؤلاء الشبان بل أنّ النص القرآني يضيف أبعاداً وعمقاً يضع الفتية والخمر على نطاق تاريخي ملحمي بل كوني أسطوري. كل من الصفات والأعمال معظّمة ممجدة فمثلاً بحكم كون الفتيان مصابيح الدجى يصبحون حماة الوحي ويخوضون معركة النور والظلمات سواء كان ذلك ضد العفاريت أم دفاعاً عن الإيمان بالله والتوحيد مع داوود وطالوت ومقامهم السماء الدنيا، ولا يخفى ما في ذلك من مفارقة وسخرية تعوّدنا عليها في أشعار أبي نواس أمّا صفات الألوهية فقد أعطاها الشاعر للخمر في أكثر من قصيدة وهي واضحة أيضاً من خلال النور والمصباح وضياء الشمس، وكذلك من خلال القدرة على الخلق في عملية المزاج الذي ينتج منه مزيد من النور ومن الدرر واليواقيت والخمر أيضاً تخوض معركة النور والظلمات ولا يخفى تأليهها فهي والفتيان يملكون قدرة الأمر والنهي للدهر، أمّا هي فلأنها أزلية مثله وهم لأنهم يُخضعون الدهر.

أمّا خاتمة القصيدة التي تظهر ندامة الرّاوي وتوبته وتشير إلى «صاحب الحوت» تَدْعَم وتهدم في آن واحد تأليه الخمر ورفع الفتيان إلى قمم غير إنسانية خارقة للعادة. فقصة يونس عليه السلام تدل على أنه اعتقد أن الله لا يقدر عليه وقد ذكر عنه ذلك في بعض الآيات القرآنية ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) ﴾[44] فكأن الشاعر يدعو القارئ إلى التأمل في كبرياء الإنسان ويوحي أنه اكتشف قدرة الله وندم على ما فات مما جعله يتوب ويبدو أنّه متأكّد من عفو الله وصفحه عنه كما صفح عن النبي يونس استنادا لتتمة الآية ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي

الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾[45] فقد قصد الشاعر بذلك قلب الخمرية إلى زهدية من خلال خاتمة زهدية. وليس ذلك غريبا عن أبي نواس، فقد سبقت الإشارة إلى أنّ مزجه بين هذين الغرضين الشعريين يعد إبداعا منه (من النّاحية الفنّية لا الدّينية والأخلاقية).

وآخر ما يتعلق بهذا الاقتباس الطويل والغني من سورة البقرة هو حدث النهر كامتحان لجنود طالوت بشرب الماء أو عدم شربه وتأويله في سياق القصيدة مع الإشارة إلى طريقة الشرب التي تحددها الآية للمقاتل في سبيل الله، أي مَنْ شرب ماء النهر فاغترفه بيده غرفة ولم يزد عليها. حيث يبدو أنه من الصعب أن نضرب صفحاً عن هذه الآية وتفسيرها في نص يدور حول الشرب حتى وإن كان شربا للخمر! ولا يخفى أنّ آداب الشرب قد لفتت أنظار أبي نواس في أكثر من قصيدة. وهذا في رأيي يدعم الافتراض القائم على أنّ أبا نواس يقصد باقتباس هذه الآية هنا آداب الشرب، وقد تساعدنا هذه الإشارة على فهم البيت الذي يليه وهو يحتوي على تحذير في معاملة الخمر:

فقد أتيتم بها من كُنْهِ مَعدنها

فحاذروا أخذها في الكأس بالقوت

ولا يمكن أن ننهي الحديث دون أن نقف وقفة سريعة عند التوبة التي تختتم بها قصيدة أبي نواس. فهي تُفهَم بشكل منطقي في الرؤية الإسلامية وإن كان فيها شيء من المفاجأة في خاتمة الخمرية التي تنفي ماضي الشاعر:

على ما كان من خطأ

ومن إضاعة مكتوب المواقيت

غير أن لا شيء في القصيدة يدل على أن الشاعر يقصد الدفاع عن الأخطاء وإن لم تكن هذه الفكرة بعيدة عن معتقداته حسبما نجدها في فلسفة الشاعر ورؤيته العامة للحياة. وفي ما يلي جدول يلخص مجموع الاقتباسات التي تضمنتها القصيدة من سورتي الكهف والبقرة:

السورة / الآية	النص القرآني	النص الشعري	رقم البيت في القصيدة
الكهف 13	نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)	وفتية كمصابيح الدجا غُرَرٍ	ب 1
البقرة 256-257	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)	تنمي إلى محتد الكفارِ في نسبٍ أهل الصوامع عبّاد الطواغيت	ب 8
البقرة 251	فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)	فقد ظفرت بصَفْو العيش غانمةً كَغُنْم داوودَ من أسلاب جالوت	ب11

البقرة 247	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)	قالت قد اتخذتْ من عهد طالوت	ب15
البقرة 248	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248)	كانت مخبأةً في الدَنّ قد عنّست في الأرض مدفونة في جوف تابوت	ب16
البقرة 102	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)	كأنما اشتُقّ منه سحرُ هاروت	ب22

بالإضافة إلى اقتباسات من سور أخرى:

رقم البيت في القصيدة	النص الشعري	النص القرآني	السورة / الآية
ب8	تنمي إلى محتد الكفارِ في نسبٍ أهل الصوامع عبّاد الطواغيت	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)	الحج 40
ب13	رَمْيَ الملائكةِ الرصاد إذ رجمت في الليل بالنجم مُرّاد العفاريت	1-إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) 2-وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9)	1-الصافات 6-7 2-الجنّ 9
ب14	فأقبلت كضياء الشمس بازغةً	1-هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ	1-يونس 5 2-الأنعام78

		يَعْلَمُونَ (5) 2-فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)	
ب23	ومن إضاعة مكتوب المواقيت	فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103)	النساء 103
ب24	أَدعوكَ سُبحانَكَ اللَّهُمَّ فاعْفُ كما عَفَوتَ يا ذا العُلى عَن صاحِبِ الحوتِ	وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77) وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78)	الأنبياء 87-88

ويظهر من خلال هذا الجدول أن الاقتباس قد مسّ جلّ أبيات القصيدة، بل امتدّ تأثيره إلى بقية الأبيات التي لم يكن صريحا واضحا فيها.

خاتمة: تظهر من خلال هذه الدراسة وتحليل مواضع اقتباس أبي نواس من سورتي البقرة والكهف اقتباسا حرفيا أم إيحائيا على حد سواء القدرة الفائقة على تشرب المعاني من مصادر مختلفة، مما ينمّ عن تشبعه بثقافة دينية قرآنية واسعة وما عرف عنه من تأثر بالمذهب المعتزلي، رغم عدم ظهور أثر ذلك على سلوكه

واعتقاده إلّا في آخر أيام حياته حين انصرف إلى الزهد وندم أشد النّدم على ما فات من شباب وطيش.

إلا أنّ المفارقة العجيبة تبدوفي كثرة اقتباس الشاعر من القرآن والحديث في باب خمرياته التي تمثل الجزء الأكبر من ديوانه، حيث أن هذا الغرض احتل مساحة هائلة من ديوانه (ثلث الديوان) رغم بعده التام في سلوكه عن التدين، لتبدو من خلال هذه الاقتباسات سعة ثقافته الإسلامية وعمق إلمامه بها، وقد وصل به الحد إلى المبالغة في توظيفها أحيانا.

وإذا كان الاقتباس ذا طبيعة دينية فبالإمكان الحكم على أبي نواس بالتجديد في توظيفه للألفاظ والمعاني القرآنية من خلال الخروج بها عن إطارها الديني، بل وظفها في اتجاه معاكس تماما تبدو فيه نبرة السخرية والاستهزاء أحيانا لتزكية نزوعه إلى الشرب واللهو والعبث وإشباع نزواته الخبيثة، إلا أنه أجاد توظيفها من الناحية الفنية بغض النظر عن تحويره للمعاني، وهذا ما يحسب له من الناحية الفنية الإبداعية رغم أننا لا يمكن أن نتقبل ذلك من الناحية الدينية أولا كونه شاعرا مسلما، ومن الناحية العقلية والأخلاقية ثانيا كونها معان مستوحاة من كتاب الله المقدس وجب على الشاعر التأدب في التجرّئ عليها ووضعها في ما يناسب مقامها، وهذا ما فعله في قصائد الزهد التي تحتل جزءا يسيرا من ديوانه، فلم تخل هي الأخرى من الاقتباس الديني الفعال الذي يظهر ندمه الشديد على جرأته تلك مما يعكس مقدار اللهو والفجور الذي كان غارقا فيه، فكان توظيفها قويا مؤثرا برزت من خلاله عاطفته الصادقة وتنازله عن فلسفته السابقة ونظرته إلى المعصية بل إلى الحياة بشكل عام إلّا أنه في حكم المؤكد أنّه قد سبق إلى هذه المعاني من قبل شعراء آخرين من أمثال أبي العتاهية.

الهوامش:

[1]- ينظر: إلهام أبوغزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص35.
[2]ـ الفكيكي عبد الهادي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر، دار معد دمشق – سوريا، 1996م ص7.
[3]- الفكيكي عبد الهادي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر، ص11.
[4]ـ سورة طه، الآية 10.
[5]- الفكيكي عبد الهادي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر، ص11.
[6]- الفراهيدي،1980 ، ج5 ، ص86 .
[7]ـ رواه أبوداوود في سننه والنسائي، الحديث 793.
[8]ـ سورة الحديد، الآية 13.
[9]ـ القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم-بيروت، ط4 ، 1998م، ص 381. والجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تح :ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، 1405هـ، ط1 ، ص49 .
[10]ـ الأرزي تقي الدين أبوبكر علي بن عبد الله الحموي، خزانة الأدب، تح :عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، 1987م، ج2 ، ص455 .
[11]ـ القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطويل، دار الفكر-دمشق،1987 م، ج1، ص237 .
[12]ـ الموصلي، أبوالفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية- بيروت، 1995م، ج1، ص137 .
[13]ـ الأرزي، خزانة الأدب، ج2 ، ص455 .
[14]ـ الأرزي، خزانة الأدب، ج2 ، ص457.
[15]ـ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية، تونس، 1982م، ص282.
[16]- انظر: الشعرية، تودوروف، ص80.
[17]- انظر: المفكرة النقدية، بشرى موسى صالح، ص59-60.
[18]- انظر: لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط2 2006م، ص 327-330.
[19]- صلاح فضل، سجود الأباريق، جريدة الاتحاد الإماراتية، 23 يوليو2009.
[20]- ديوان أبي نواس، المقدمة ص (ق).
[21]- ديوان أبي نواس، ص680 .

[22]- البقرة، آية20 .
[23]- سورة الكهف، الآية 10.
[24]- سورة الكهف، الآية 18.
[25]- سورة الكهف، الآية 19.
[26]- ديوان أبي نواس، ص 543.
[27]- سورة الكهف، الآية 58.
[28]- ديوان أبي نواس، ص 6.
[29]- سورة البقرة، من الآية 69.
[30]- ديوان أبي نواس، ص702.
[31]- ديوان أبي نواس، ص9.
[32]- سورة البقرة، الآية 219.
[33]- ديوان أبي نواس، ص 12.
[34]- ديوان أبي نواس، ص 12.
[35]- ديوان أبي نواس، ص 230.
[36]- سورة البقرة، الآية 158.
[37]- ديوان أبي نواس، ص 38-39-40.
[38]- سورة البقرة، من الآية 257.
[39]- سورة البقرة، الآية 247.
[40]- سورة البقرة، الآية 251.
[41]- سورة البقرة، من الآية 257.
[42]- سورة البقرة، الآية 248.
[43]- سورة البقرة، ص 102.
[44]- سورة الأنبياء، الآية 87.
[45]- سورة الأنبياء، الآية 88.

الاتّصال البربري السّامي العروبي

– قراءات في حفريات الهوية التّاريخيّة والسّوسيولسانيّة والطّوبونيميّة –

أ. بن عريبة راضية♥

ج. الشلف الجزائر

تاريخ الإرسال: 30-05-2018 تاريخ القبول: 16-07-2018

توطئة:

1- الاتّصال البربري التّاريخي العروبي: يعود بنا الحديث عن الإنسان الجزائري الأوّل، إلى الهجرات الفينيقية الأولى إلى الشّمال الإفريقي، بعد تلك التي تلت الطّوفان العظيم، بنحو7000سنة، حسب الدّراسات الأركيولوجيّة، التي تناولت بالبحث هذا الحدث العظيم[1]؛ ولعلّ من تلك سجّلت في طيّاتها هذا الأخير الظّاهرة الجيولوجيّة ذات الطابع الدّيني، الوثائق الدّينيّة المقدّسة؛ من ذاك ما نصّ عليه الكتاب المقدّس، في سفر التكوين، وفيه:(**ورأى الرب إن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وان كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم6- فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه7- فقال الرب: ""امحوا عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت إني عملتهم8-""وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب9- هذه مواليد نوح: كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله. وسار نوح مع الله10 -وولد نوح ثلاثة بنين: ساما، وحاما، ويافث11-وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلما12-ورأى الله**

♥ marni.sandid79@gmail.com

الأرض فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشر قد افسد طريقه على الأرض13-فقال الله لنوح: «نهاية كل بشر قد أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلما منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض14-اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار15-وهكذا تصنعه: ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك، وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه16-وتصنع كوا للفلك، وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله17-فها أنا ات بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت18-ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك19-ومن كل حي من كل ذي جسد، اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى20-من الطيور كأجناسها، ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها21-وأنت، فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك، فيكون لك ولها طعاما22 - ""ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله. هكذا فعل)[2].

ونصّ عليه القرآن الكريم:(**قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا على رَبِّيۖلَوْ تَشْعُرُونَ*وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ*إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ*قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ*قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ*فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ*ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ*إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةًۖوَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)[3].**

واستنادا إلى ما جاء في الاكتشافات التّاريخيّة، في الفترة ما بين1889م و1900م وإلى المدوّنات الأدبية، المسجّلة في اللّوح الحادي عشر من ""**ملحمة جلجامش**""[4]. وتقدّر الدراسات الأثريّة عمر هذه الهجرات نحو الغرب، مع بدايات الألفية الخامسة مرورا ببلاد القبط وواد النيل إلى شمال إفريقية[5].

هذا؛ ويرى بعض الباحثين في ميدان حضارات الأمم، ومنـــه"" Gustave Le Bon""أنّ اللّسانيات قد حلّت معضـــلة، فـــي كشـــف حقيقـــة الشّـــعوب السّـــامية الحاميّة(العروبيّة) وانحصرت الجماعات المتكلّمة بها، مـــا بـــين بـــلاد القـــوقص وجنوب الجزيرة العربيّة شعوبا تتكلّم لسانا واحداً، وإن اختلفت أعراقهم[6].

وتذكر بعض المصنّفات، الّتي تهتمّ بالسّاميّات، ذلك القرب اللّساني الوثيق، بـــين اللّسانين البربري الأمازيغي، الإيبري القوقصي، وذلك في الموطن الأوّل للشـــعوب الإيبريّة البربريّة، في المناطق الجنوب قوقصيّة، بين البحر الأسود وبحر قـــزوين وقد كان اسم إيبريّة مسمّىً لمنطقة بشمال أرمينيّة[7].

ويدافع""Bedřich(Friedrich)Hrozný""في موضع آخر، عن فكـــرة هجـــرة سكّان هاته المنطقة، إلى شمال إفريقيّة، الحاميّون منهم أوّلاً جنوب قوقاصـــيّة، ثـــمّ السّاميّون بعدهم فانتشروا في آسيّة الغربيّة وشمال إفريقيّة[8].

وأمّا""Adolphe Garrigou""، فيرى أنّ الإيبير وهم سكّان إسبانيّة، قد قـــدموا مـــن جنـــوب القـــوقص، فـــي جماعـــات آســـيويّة، وقـــد كـــانوا فـــي قبائـــل **ليجويّة**[9]**:""إسكوان""**[10]**و""إوسك""**[11]**و""بابرقة""**[12]**و""ويسك""**[13].

ويؤكّد غير واحد من الباحثين في اللّسانيات التاريخيّة المقارنة، تلـــك القرابـــة اللّسانيّة بين الإيبريّة الأوروبيّة، والبربريّة الأمازيغيّة من ناحيّة، وبـــين البربريّـــة وبين الألسنة القوقصيّة الجنوبيّة من ناحيّة أخرى[14].

وذكر""B–Hrozney""من مجموعة صور، رصـــدها لأوان فخاريّـــة بربريّـــة جزائريّة أنّ القرب الزّخرفي الهندسي، لنظيره في بلاد الرافدين؛ وهو مـــا يفسّـــر لبداية الهجرات نحو الشّمال الإفريقي، وذلك تزامنا ومرحلة العبيد، وهـــي مرحلـــة من أولى الحضارات في العراق وما جاورها من بلاد الرّافدين، حسب الكشـــوفات الأثريّة، ما بين القرون الأولى من الألفيّة الرّابعة أو السّادسة[15].

قد يفسّر الجانب الفونيمي إشكالاً، في جنس الإنسان البربري ونظيره الإيبيري من جهة أولى، وبين العبري والإيبيري، من جهة ثانية، وبين البربري والعربي العروبي من جهة ثالثة. أمّا ما كان من الحال الأولى فلعلّ المفسّر ذلك القرب الفونيمي للكلمتين""**بربر**""و""**إيبر**""وهي تماماً كالّذي هو مفسّرٌ من المادّة المعجميّة **(عرب)**للجنس العربي، و**(عبر)**للجنس العبري، و**(عاربة)**[16]للأجناس العربية العارقة في القدم و**(عابر)**[17]لعلم يرى العبرانيون أنّه جدٌّ لهم.

وأمّا ما كان من الحال الثّانية، من القرب بين الكلمتين""**عابر**""و""**إيبر**""، فهو ما ذهب إليه المؤرّخون أنّهما لفظين لعلم واحد، وإن اختلف النطق بهما؛ على تقدير أنّ العين في النطق العبري، بالتناوب عينا مرّات وهمزة أخرى[18].

وأمّا ما كان من الحال الثالثة، وما كان بين البربري والإيبيري، فقرين ما كان بين المادّتيّن**(عرب)**[19] و**(عبر)**[20]، وما كان بين البربر والعرب، فهو المقرّر في مادّة**(بربر)**[21]و**(بلبل)**[22]، وقد وردت الثانية في سفر التكوين: ""**وَقَالَ الرَّبُّ:** ""**هُوَ ذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ6-""هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ""7- فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ8- لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا ""بَابِلَ"" لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ9""**[23].

ولعلّ ما يعضد هذا التصرّف الاستعمالي لدى ألسنة العامة في أوساط الجزائريين من تداول مادّة **(بلبل)**في أحوال الغضب فلا يعرف صاحبه حسن تركيب كلامه، أو أحوال الكلام الزائد، الذي لا فائدة منه، غير الصياح ورفع الصّوت، فيقال له: ""**برك ما تبلبل**"" بتفخيم الباء واللاّم، فيفهم من القول عجمة من اختلاف لسانهم عمّا لا يفهمه السّامع المتلقي. ويستعمل أيضا عند التعبير على حال الضوضاء، والفوضى واختلاط الأمور في الخصام والاشتباك، فيقال: ""**البلبالة أو**

بلبلة"" وفي الأولى زيادة في مط الفتح فكان ألفاً؛ فلم يخرج الفرع عن أصله في المعجم.

كلّ هذا قد يفسّر ما بين المادّة المعجميّتين، من القرابة المعنويّة الرّئيسة والدّلالية الهامشيّة في بعض منها، ينضاف إلى القرابة الفونيميّة الوثيقة بين الفونيمين الأخوين- في تعبير أسلافنا العرب-الرّاء واللّام، بما تحويان من الصّفات الفونيتيكيّة[24]، وما يترتّب عنها من الوظيفة الفونولوجيّة الدلاليّة؛ كالّتي تؤدّيانهما ههنا، من مادتين معجميتين تشتبهان في فونيمين، وتختلفان في آخرين قريبين في الصّفات الصّوتيّة، متجاورين في المخرج الصّوتي الواحد، فانعكس ذلك على قرب الدّلالة بين المادّتين؛ وهي من باب النّظريّة الصّوتيّة الكبرى، التي أرسى قواعدها ابن جنّي في ""الخصائص""[25].

2-الاتّصال البربري الدّيني الرّسالي: لعلّ من المؤشّرات التّاريخيّة الهامّة والّتي وجب تسليط الضّوء عليها، ذلك التواصل الدّيني الرّسالي السّماوي، ليدلّ صراحة على في غير مناسبة وحيدة، أنّ الشّعب الجزائري الأوّل كان يعرف الأديان السّماويّة، الّتي جاء بها الرّسل صلوات الله عليهم، من الرّسل ذاتهم، وأنّه كان متديّناً متطقّساً هذه الأديان، وأنّ أرض الجزائر قد كانت في فترة عمريّة من حياتها، الضّاربة في عمق التّاريخ، أرض رسالات سماويّة، تدلّ عليها دراسات معمقة، في هذا الميدان، وتسميّات لمناطق في نواحي الجزائر هنا وهناك، وبعض الطّقوس التراثيّة، والعوائد الفعليّة والكلاميّة، وغير ذلك من دوال هذا التّواصل الدّيني العريق؛ من ذاك ما سيذكر في هذا الباب، ليعضد فضل أهل البربر ودورهم في الدّعوة الرّساليّة للأديان السّماويّة:

1- ذكر د. محمّد صاري عن علي حكمت رئيس منتدى حوار الأديان، قوله في هذا الشّأن:""**العديد من المخطوطات المتواجدة حاليا بمكتبة بغداد بالعراق، تؤكّد أنّ اللّقاء الّذي وقع بين سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام، كما ذُكر في**

القرآن الكريم وقع بأعالي مدينة تلمسان بهضبة لالة ستي، وأنّ الجدار الذي تمّ إصلاحُه ورفض أهل القرية استضافة سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام، فهي منطقة""عين الحوت""، وأنّ الجدار حسب تلك المخطوطات، يتواجد بتلك المنطقة، كما أنّ منطقة الغزوات تحتضن هي الأخرى ضريح سيدنا يوشع الّذي تعتبره العديد من الروايات نبيا من أنبياء بني إسرائيل[26] ""وهذا يتطابق مع الذّاكرة الجماعية، المحفوظة في تراث المنطقة وأعرافها الدّينيّة، ينضاف إلى أنّ المنطقة، وفي مرحلة معيّنة كانت تعجّ بالجنس العبري وحتّى الآرامي، يدلّ عليه التّصرّف اللّهجي، في تكلّمات أهل المنطقة، وأعرافهم وعوائدهم، وأحوال معاشهم.

2- وقد جاء من أثر أهل البربر، في دين النّبي عيسى عليه السّلام، ما ذكر الحديث النّبوي الشّريف في هذا الباب؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم:**(بسم الله الرّحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى أمّا بعد، فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنّ عليك إثم الإريسيين. (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)**[27]**)**[28].والحديث في حقّ الإريسيين[29]؛وهم شعب بربر، توطّنوا شرق الجزائر، ما تزال منطقة **أرّيس بالأوراس** الشّامخة شاهد طوبونيمي على هذا، وتوطّنوا تونس وليبيّة؛ وتروي الحكاية الشّعبيّة أنّهم قوم كانوا على دين عيسى المسيح عليه السّلام موحّدين، ولا يقولون بالتّثليث، فأعمل فيهم السيّف لمخالفتهم طقوس رومة في التّثليث، وقد كان **القدّيس أوغسطين(354-430م)**[30]داعياً إلى هذه العقيدة الرّومانيّة بامتياز، والتي أقرّها **الإمبراطور قسطنطين(272-337م)**[31]على أرجاء البلاد، التي تحت عرشه بعد أن اعتنق المسيحيّة، على رواية أنه تدرّج في تمسّحه.

4- لقد لقي وجود جماعة الإرّيسيين الموحّدين اضطراباً لدى خصومهم في الكنسية الرّومانيّة؛ وهذا ما استدعى تعجيلهم للقيام بمجمع **نيقية**[32]**الأول** سنة**325**م وقد أشرف عليه إمبراطور الرومان ""**قسطنطين**"" الكبير شخصياً، وقد حضره ""**سلفستر الأول**"" بابا الفاتيكان في ذلكم الحين.وعلى الأرجح أنّه، وبتدخل السّلطة، ومباركة السّلطة البابويّة، فقد أقر المجمع بالأغلبية السّاحقة: قانون الإيمان، ويعني التثليث والصلب والفداء وألوهية عيسى وإقرار الأناجيل الأربعة الدّينيّة(متى ومرقس ولوقا ويوحنا)الرّسميّة والقانونية في الإمبراطوريّة الرّومانيّة؛ وقد أجمعوا على هرطقة ""**آريوس**"" وأتباعه، وكل من يعترف بغير الأناجيل الأربعة[33]

5- وما يزال الخبر الرّسالي بأرض الجزائر، قبل بعث النبي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وقد يكون له صلة بجماعة الإريسيين، في التّبشير بمبعث النّبي الأخير وفي المنطقة نفسها من الوطن الحبيب، وهذا النبي العربي خالد بن سنان بمنطقة بسكرة وبها ضريح، يرجّح كثير من أهل المنطقة، أنّه لهذا النبي الكريم وقد ورد عن ابن عبّاس رضي الله عنه: **إذ قال:** ""**ذُكر خالد بن سنان عند النّبي صلى الله عليه وسلم فقال:(ذاك نبي ضيعه قومه)**[34].والمعروف أن أهل البلدة يقيمون وعدة سنويّة لهذا النبي الكريم، يجتمع النّاس في ميقاتها، من كل حدب وصوب، وسمعنا أنّه وفي مكان يتّخذ الضّريح ميقاتا زمنيّاً لموسم الحجّ، فيجتمع الحجّاج الجزائريين وحتى المغاربة لينطلقوا إلى فريضتهم.

6-وجاء في حديث عن فضل أهل المغرب، وهم أهل البربر وليس سواهم من الأجناس البشريّة الأخرى، وذلك في أيام البعث النبوي المحمّدي، وهو لدليل على ذلك الاتّصال الدّيني المباشر، وبلا واسطة، كالّتي ذكرت في الفتح المزعوم من عقبة بن نافع، الذّي وضع فتحه هذا في مخابر بني أميّة السّياسيّة؛ إذ قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم :(**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق في**

المغرب حتّى تقوم الساعة)[35]. ولا يحتمل الحديث تأويلاً ولا فذلكةً، فأهل المغرب هم أهل المغرب الإسلامي من جنس البربر.

ولعلّ ما يقوّي هذا الإدّعاء، ما أخرجه ابن حبان في صحيحه؛ إذ قال: ""أخبرنا أحمد بن عبد الله بحران، قال: حدثنا النفيلي، قال: حدثنا عبيد الله بن عمـرو عـن عبد الملك بن عمير: عن جابر بن سمرة قال: سألت نافع بن عتبة بن أبي وقـاص قلت: حدثني هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الدجال؟ قال: أتيـت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أهل المغرب، **أتوه ليسلموا عليـه وعليهم الصوف** فلما دنوت منه سمعته يقول:**(تغزون جزيرة العـرب فيفتحهـا الله عليكم ثم تغزون فارس فيفتحها الله عليكم ثم تغزون الروم فيفتحها الله عليكم ثـم تغزون الدجال فيفتحه الله عليكم)**[36].والشّاهد في قول الرّواي: ""**وعنده ناس مـن أهل المغرب، أتوه ليسلموا عليه وعليهم الصوف**"" وعلى الأرجح أنّه كـان فـي العام التاسع من هجرته صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو العام الّذي كان يستقبل فيه الوفود، بعد غزوة تبوك؛ وما يستشكل من الحديث أنّه كيف وصل الخبر إلى أهـل المغرب، على بعد المسافة، ليبرز إلى الوجود أنّ خبره كان في الاتّصال الرّسـالي السّماوي، قبل مبعثه صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما ذكرت سابقاً.

هذا؛ وتؤكد بعض المصنّفات صحبة أهل البربر للنّبي صـلّى الله عليـه وآلـه وسلّم؛ من ذاك: كتاب ""**مفاخر البربر**""[37]لمؤلف مجهول، وكتاب ""**السّيف المسلول فيمن أنكر على الرّجراجيين صحبة الرسول**""[38]، الّذي تفاخر بـه أعيـان الزّوايـا الرّجراجية بالمملكة المغربيّة.

وينضاف إلى هذا كلّه، الأعيان المشارقة الّذين لجؤوا إلى أهل البربر، واحتموا بهم وتوطّنوا أرضهم، برحابة صدر وسعة عيش، وأعيان آخرون دوّنت أسـماؤهم من ماء الذّهب في المؤلّفـات التّاريخيّـة؛ مـن ذاك الأخـوان مـولاي إدريـس الأكبر[39]وأخوه سليمان[40]، والسّيدة حميدة البربرية[41]، لهذه الأعيان نظائر كثر.

3- الاتّصال اللّساني والطّوبونيمي البربري العروبي: تظلّ الجزائـــر تعـــجّ بأسماء الأمكنة، الّتي تلقي بظلالها على تلك الحقب التّاريخيّة، متّصـــلةً بالمشـــرق الحضاري العروبي، وتفسّر تلك الهجرات التّاريخيّة الكبرى، إلى الشّمال الإفريقـــي في الأزمان الغابرة، ممّا يسهم في تأويل كثير من الظّواهر اللّسانيّة، الّتي يلهج بها شعوب المنطقة من الجانبين الفصيح والدّارج، وكذا الظّواهر اللّهجيّة، من التّكلّمات اليوميّة، في المناطق الّتي شهدت ذلك الاجتوار العبري أو الآرامي؛ وقد يتعدّى ذلك إلى الأمم المجاورة، الأوروبيّة عامّة والإيبيريّة خاصّة.

ولعلّ ما يمثّل هل في هذا الباب أسماء المناطق في أصقاع الـــبلاد الجزائريّـــة الشّاسعة، كالّذي في مسمّى مدينة سكيكدة: ""**روسي كادا** ""الفانقي؛ فلفظ ""**روســـي**"" من **روس،** هو لفظ رأس نفسه في الفانقيّة، ولفظ ""**كادا**"" من لفظ **وقادا،** للقرابـــة بين القاف والكاف، فأبدلت الثانية من الأولى[42]، والمادّة ""وقد"" للنّـــار[43]، وحتّـــى تستقيم العبارة، تكون على موقد النّار، وبما أنّها مدينـــة ســـاحليّة، فهـــي للمنـــارة البحريّة، في ميناء ""**أستورا**""[44].

وأمّا تسميّة كل من المناطق والمدن الجزائريّة، بأسماء الأسباط الاثني عشر من أبناء يعقوب عليه السّلام، فكثيرة وقد تنمّ إلى هجرات الشّعوب العبرانية العروبيّـــة إلى تلك المناطق، فتسمّت الأرض المستوطنة باسم ذلكم السّبط، تبركاً به من قبـــل أحفاده أو من أهل البربر الّذين صدّقوا رسالات الرّسل؛ ولعلّ ما نحصيه منها:

أرض الزّاب أو **الزّبلان؛** وقد قال فيها ابن خلدون: ""**وهذا الزّاب وطـــن كبيـــر يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا، يعرف كل واحد منها بـــالزّاب: وأولهـــا زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلـــي وزاب بســـكرة وزاب تهـــودا وزاب بادس، أهمها (بسكرة وطولقة) وبسكرة أم هذه القـــرى كلهـــا**""[45]. وقـــد ذكـــر تهوذة[46](تهودا) وهو لفظ كنعاني، وعلى نطق بربـــري، بســـابقة""**préfixe**""التـــاء نسبة إلى سبط يهوذا [47].

وأمّا أرضّ الزّاب بالجزائر، فنسبة إلى سبط زبولون[48]؛ وليس غريبا أن يكون ذلك صراحة في لفظ بلدة **زلبون**، القريبة من مدينة تلمسان، الّتي كانت عجّت بالجوار العبري والآرامي، في مرحلة من محطّاتها التّاريخيّة، ولعلّ يطمأنّ له في اللّفظ أنّه قلب مكاني للفونيمات، من اللّفظ الأوّل وهو الأصل.

هذا؛ وقد يستشكل على السّامع مسمّى مدينة بسكرة، وقد مرّ بنا هذا أنّها موطن الزّاب، وأنّها قد عرفت هجرات ساميّة عروبيّة، لاسيما الكنعانيين، وقد تسمّت باسم أحد الأسباط؛ وعلى الرّغم من هذا فإنّه يظهر إلى الوجود، ذلك الإبدال الفونيمي وهو الّذي قد يفسر أمراً ما، هو سبط يساكر""יִשָּׂשכָר""بإبدال الياء باءً، في لفظ بسكرة الجزائرية[49].

ويحتضن إقليم التّيطري بالمدية المدينة الأثريّة العريقة **أشير**، **نسبة** لسبط **أشير""אָשֵׁר""**[50]. مدينة أشير. وبها أيضاً بلدة **عين بوسيف**، نسبة لسبط **يوسف""יוֹסֵף""**[51]؛ والأمر ذاته في كامل أنحاء القطر الجزائري، لاسيما منطقة وادي سوف.

ويكثر تسميّة المناطق المغاربية عموماً، والجزائر خصوصاً **بأولاد بوعزة** نسبة إلى **بوعز""בועז""**[52] وهو بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ سْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَئِيلَ، بْنِ قِينَانَ بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ على أنبياء الله تعالى السّلام. وبوعز **أحد** الأعلام الواردة أسماؤهم في **سفر راعوث المؤابية** ""**מגילת רות**""وهو بعلها الّذي تزوّجها بعد أن عملت عنده في المزرعة.

ولعلّ أكبر القبائل الكنعانيّة، من بني إسرائيل في الجزائر، الّتي كان لها أثر كبير في أسماء الشّخوص والأعلام والمناطق **قبيلة الهوّارة**، نسبةً إلى أبناء هارون عليه السلام، وقد تسمّوا **بالهوّاري** و**هوّاري**، من الأسماء الأكثر ذيوعا في الغرب

الجزائري و**هوري**، وجمعه على **الهواوير**؛ وفي بلدية سيدي موسى الجزائر العاصمة حي عتيق يدعى **الهـواورة**، ويصادف هذا المسمّى الطّوبونيمي اسم النّبي موسى عليه السّلام في عجابية غير مفسّرة. وفي عين تموشنت بلدة صغيرة تسمّى **الهواورة**، يمتهن بعض أهلها الزّراعة، وبعضهم الصّيد، في مصادفة غريبة وحواري النّبي عيسى السّلام، الّذين امتهنوا الصّيد، وقد يرجّح أن يكون النّطق الآرامي للفظ **هواري حواري**، بإبدال الهاء حاءً، وهو مطّرد في السّاميّات، على نحو العربيّة[53].وقد ورد ذكر هذه المسمّيات في الأسفار باسم **الهـراري** و**الهروري**[54].

وقد يفسّر الإبدال الفونيمي للصّوامت، ما جاء في منطقة ""**حيـدرة**"" في أعالي العاصمة الجزائريّة، أن ذلك غير ما يراه الكثير، أنّها من اللّفظ العربي المتداول وإنّما قد يكون:""**عِيدَر**""بمعنى قطيع قلعة نصب يعقوب خيامه بالقرب منها، وهي بين بيت لحم والخليل[55]؛ وقد ورد ذكر اللّفظ في سفر يشوع[56].

4- نتائج: لعلّ في هذه الجمهرة من المستندات التّاريخيّة واللّسانيّة والطوبونيميّة وما يزيد عنها عند فتح مجال التأويل والقراءات المتعدّدة، ما يمكّن لتعزيز الأمن القومي واستثمار هذا العنصر الاستراتجي الهام، في التنميّة المستدامة، وتحقيق السّيادة الوطنيّة الشاملة، في ميادين لم يضع الوطن عليه يده كاملةً، فيبسطها بسطاً تامّا؛ من ذاك:

أ- **الميدان السّياسي:** استثمار هاته الموارد التّاريخيّة التّليدة، في تعزيز الخطاب الدّاعي إلى الاستقرار السّياسي، في هذه الظّروف الرّاهنة غير المستقرّة والمثقلة بالنّزاعات الإثنيّة المسلّحة من جهة، والصّراعات الإيديولوجيّة، الآيلة للاحتدام المسلح في أيّ وقت وحين، والتي تحيط بالجزائر من كلّ جانب، لاسيما الأحداث الجيوسياسية المتسارعة العالميّة منها والإقليميّة؛ وهو القطر الوحيد الّذي يشهد استقرارا والظّاهر أنّه قد يعجب هذا العامل أطرافا خارجيّة، يعرفها الأطفال

قبل الكبار، وبعضاً منها داخليّة على تعدّد أطيافهم، ومشاربهم النّفعيّـــة، ونزعـــاتهم الإيديولوجيّة.

الآكد الذي غروا فيه، وفي خضم المرحلة الرّاهنة، تصاعدت إلى الأفق مطالب سياسية، تراكمت منذ ثمانينيات القرن الماضي، فإنّه قد يشفع هذا الرّكام الحضاري الهائل، في إقناع طبقات المتجمع الجزائري السّمح، من تقبّل هذه المطالب في ظـــلّ ارتفاع مؤشر الموطنة لدى الفرد الجزائري، وكذا اللحمة الوطنيّة.

ب- الميدان الاجتماعي: يمكّن هذا الثراء التّـــاريخي، الضّـــارب فـــي القـــدم المنظومة الاجتماعيّة الجزائريّة، من تعزيز عامل المواطنة لدى الفرد الجزائـــري بما يجده أهلا للفخر بهذا الثّراء العريق، وأهلا للاعتزاز بالانتمـــاء إلـــى الشّـــرق وبأنّه سليل أسرة عريقة في الحضارة، ضاربا بذلك كلّ الأبواق الناعقة، التـــي مـــا تفتأ أن تعرّض بالجزائر وأهلها بهتانا وزورا، لاسيما تلك التي تستهجن الأمة فـــي تحضّرها، وتنعتها بالهمجيّة الشّعناء.

إنّ القدم الجزائريّة لراسخة في التاريخ البشري، الحضاري المتمثّل في السّلوك اللّساني، والطّبائع العوائد، والطّقوس والفنون، وغيرهـــا مـــن مظـــاهر التّحضّـــر والتمدّن المتمثّل أيضاً في أحوال المعاش، من زراعة ورعـــي، وصـــيد وتجـــارة وحرف وصنائع وغيرها من العناصر الفاعلة، التي تسمح للإنسان بـــالعيش، فـــي كنف المدنيّة، كلّ هذه العوامل تزيد في مؤشّر الهويّة الجزائرية، وتعزّز حظّها في كيان الجزائري، فيستشرف مستقبلا واضح المعالم، من ماضٍ عريـــق، وحاضـــر متمسّكٍ بماضيه.

ترتسم في هذا التنوّع الثّقافي الثّري، الّذي ينبع من عمق تاريخ الجزائر، معـــالم الأنساق الثقافيّة المختلفة في السّلوك الطّقوسي الاجتماعي، المتّحـــدة فـــي السّـــراج الشّرقي الأوحد، الّذي تنصهر في بوتقته كلّ العلائق الإثنيّة، مهما كان بعدها عـــن نظائرها لتتشاكل في فسيفساء اجتماعي محبوك حبكاً رصينا، متماسكا تماسكا قويما يكمّل بعضه بعضاً؛ ولعلّ من الشّواهد الّتي تقف دليلاً على ذلك، كثـــرة المواســـم

الثّقافيّة، التّي تحتفي بها كلّ منطقة من القطر الجزائري، لترسي ذويها على امتـداد التاريخ، في كيان الإنسان الجزائري، الّذي يبرح عوائده القديمة، وإن زاحمتها تقنيّة المدنيّة الحديثة.

يعضد ثراء التّنوّع الثّقافي، للأمّة الجزائريّة، الّذي يستمدّ قوّتـه مـن تاريخهـا الضّارب في عمق البشريّة والشّعوب الأولى، بحضاراتها المتعاقبـة علـى أرض الجزائر، اللّحمة الوطنيّة بين أطياف المجتمع الجزائري الواحد، بتاريخه وعوائـده وأعرافه، وأعياده الثّقافيّة ومواسمه التّراثيّة؛ ليلفظ كل تلك المحـاولات التّغريبيّـة الدّخيلة على مجتمعنا، مهما كانت إيديولوجيّاتها، عالميّة كانت أم إقليميّـة. ويمكـن لهذه العوامل الحضاريّة، الّتي تتمتّع بها الجزائر، أرضاً وتاريخـاً ومجتمعـاً، أن تشكّل سدّاً منيعا، في وجه هـذه المحـاولات، وتعـزّز الاسـتقرارين السّياسـي والاجتماعي، المهدّد بهذه الأخيرة.

ت- الميدان الأنثروبولوجي: تمكّن الكتابات الأكاديمية التّاريخيّة، وإن قلت في متونها، الأكاديميين من نفض الغبار عن التّاريخ الجزائري القـديم، بعـد أن كـان حكراً على الكتابات الغربيّة، لاسيما الفرنسيّة؛ لتستثمر الدّرس اللّسـاني التّـاريخي والمقارن والطّوبونيمي، في سبيل البحث التاريخي للمنطقة، وإجلاء تلك الرّواسـب والأوهام المدوّنة في المصنّفات الغربيّة، الّتي كتبت عن تاريخ الجزائـر، والّتـي أخلّت بعقول بعض الدّعاة، المنحرفين عن جادّة الصّـواب، إذ راحـوا محـاولين جهدهم بثّها في أطياف المجتمع الجزائري، الملتـفّ حـول تاريخـه وحضـاراته المتعاقبة. وقد وصل بهم جنون التّجرّأ، إلى حدّ نفث السّموم في محـاور الـدّرس التّاريخي في المدرسة الجزائريّة؛ وقد عرفت نواياهم وأجنداتهم، في محاولة ضرب قواعد المجتمع الجزائري في صميمه، والتّحريش بين أطيافـه، وتمزيـق النّسـيج الاجتماعي الجزائري.

ث- الميدان الاقتصادي: إنّ هذا الزّخم الثّقافي، والتّنوّع التّراثي، في أصقاع البلاد الجزائريّة العميقة، والّذي يقوى بعامل التّاريخ والحضارات المتعاقبة على الفرد الجزائر منذ فجر التّاريخ البشري

الهوامش:

1- ينظر: ""طوفان نوح حدث في البحر الأسود قبل أكثر من7آلاف عام""مقال جريدة الشّرق الأوسط-بتاريخ: السبت 17شوال1421هـ/13يناير2001-العدد:8082-ونشر في الموقع:
http://archive.aawsat.com/details.asp?article=21398&issueno=8082#.WrbHYjM0-Cg

2- سفر التكوين(1:6-22).

3- سورة الشعراء-الآيات:112...121.

4- طه باقر: ""ملحمة جلجامش-أوديسا العراق الخالدة-""العراق-بغداد-(د/ط) -(د/ت) -ص:85 وما بعدها.

5- A-Benatia – Alger. Ibérie et Berbéris-Ed: A-Benatia

6 -La civilisation des Arabes (1884) -S.N.E.D-Alger: Gustave Le Bon

7- ينظر: عبد الرحمن عطيّة: ""تاريخ العربيّة لسان العالمين ""تر: حنفاوي بالي-الجزائر-دار هومة-ط2-2011م-ص:62.

8-Paris, Pavot, 1947 Histoire de l'Asie antérieure, de l'Inde et de la Crète: Bedřich (Friedrich)Hrozn

9 -Garrigou: Ibères، Ibérie: étude sur l'origine et les migrations de ces Ibères، premiers habitants connus de l'occident de l'Europe-Ed-Leroux-Paris.

10- السيكانيون باليونانية Σικανοί أو سيكانوي هي قبيلة إيبيرية وهم أحد ثلاثة شعوب قديمة سكنت صقلية الحالية في وقت الاستعمار الفينيقي و اليوناني .الأكيد أنّها من الشّعوب الأولى المهاجرة إلى أوروبة؛ والجدير بالذّكر أنّه هناك قرية إيرانيّة في إقليم في خرم آباد، وهي مدينة إيرانية تقع على جبال زاغروس في إقليم لورستان، من جهة الغرب الإيراني. وأخرى قرية مغربيّة، وتنطق أيضاً ""أسكاون" هي قرية ريفية في إقليم تارودانت ضمن جهة سوس ماسة درعة.

11- قد يكونون الشّعب الأوّل الّذين سكنوا إسقوسيّة أو سقوسيّة نحو6000ق.م.هاجروا إليها عبر البحر من الجنوب. والملاحظ عليه في هذا القرب الفونيمي بين اللّفظين: ويسك وإوسك، وما في المقابل العربي في: إسقوسيّة أو سقوسيّة.

12- ""بابرقة""Bebryces باليونانية (Βέβρυκες) قبيلة من الناس الذين عاشوا في البيثنيةBithynia وفقا لـ Strabon كانت واحدة من العديد من القبائل التراقية التي عبرت من أوروبا إلى آسيا.

13- شعب الويسك أو الويسكي شعب الأسكتلندي السكتش؛ وهو الشّعب الّذي أنتج المشروب الكحولي المعروف.

14- ينظر: عبد الرحمن عطيّة: ""تاريخ العربيّة لسان العالمين""ص:63.

15. Histoire de l'Asie antérieure, de l'Inde et de la Crète : Bedrich(Friedrich) Hrozný

16- ينظر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي(368-463هـ):""الإنباه على قبائل الرواة"«-تحقيق: إبراهيم الأبياري-لبنان-بيروت-دار الكتاب العربي-ط1-1405هـ/1985م-ص:02 وما بعدها.

17- جاء في سفر التكوين:(10/10-15):""هذِهِ مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ، بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ10- وَعَاشَ سَامٌ بَعْدَ مَا وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ11- وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ خَمْسًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ شَالَحَ12- وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ بَعْدَ مَا وَلَدَ شَالَحَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ13- وَعَاشَ شَالَحُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ عَابِرَ14- وَعَاشَ شَالَحُ بَعْدَ مَا وَلَدَ عَابِرَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ15."".

18- ربحي كمال: ""دروس في اللّغة العبرية"" لبنان-بيروت-دار النّهضة العربية-(د/ط)1978م.

19- ينظر: ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين ابن الإفريقي(711هـ):"لسان العرب-اللّسان-"مصر-القاهرة-دار المعارف-(د/ط) -(د/ت) -مادّة(عرب).

20- ينظر: الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدّين محمد الشّيرازي(728-817هـ):"القاموس المحيط" مصر-القاهرة-الهيئة العامّة للكتاب-نسخة مصوّرة من الطبعة الثّالثة-عن المطبعة الأميرية-1301هـ. - مادّة(عبر)

21- ينظر: الجوهري إسماعيل بن حمّاد(400هـ): "الصّحاح" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار-لبنان-بيروت -دار العلم للملايين -ط4-1990م-مادّة(بربر). وابن منظور: "لسان العرب-اللّسان-"مادّة(برر).

22- ينظر: الأزهري أبو منصور محمّد بن أحمد(282-370هـ):"تهذيب اللّغة" تح: عبد السّلام هارون-مصر-القاهرة-الدّار المصرية للتّأليف والتّرجمة-(د/ط) -1384هـ/1964م-

مادّة(بلبل). وابن فارس أبو الحسين أحمد أبو الحسين زكريا(395هــ):"مقاييس اللّغة" تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون-بيروت-دار الفكر-(د/ط) -1979م-مادّة(بلّ).

23- سفر التكوين-الإصحاح:(6/11...9).

24- الإسترباذي رضي الدّين محمّد بن الحسن(686هــ):"شرح شافية ابن حاجب" مــع شــرح شواهده لعبد القادر البغدادي -تحقيق: محمّد نور الحسن، ومحمّد الزّفزاف، ومحيي الدين عبد الحميد-بيروت-دار إحياء التّراث العربي-ط1-1426هــ/2005م-ص:250...264-وابــن يعيش موفق الدّين(643هــ): "شرح المفصّل" لبنان-بيروت-عالم الكتــب -(د/ط) -(د/ت) -ج:10-ص:125 وما بعدها.

25- ابن جنيّ أبو الفتح عثمان(392هــ):"الخصائص"" تح: محمّد علي النّجّار-المكتبة العلميــة-(د/ط) -(د/ت) -ج:2/ باب"" في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني""ص:145....152و""فــي إمساس الألفاظ أشباه المعاني""ص:152....168.

26- مقال نشر بجريدة الشّروق بتاريخ:27-01-2014م-في تمام السّاعة: 22.30.وهــو فــي الموقع:

https//www.echoroukonline.com/ara/mobile/articles/193203.html+&cd=1&hl=fr&ct=clnk&gl=dz

27- سورة آل عمران-الاية:64.

28- مسلم أبو الحسين بن الحجّاج بن مسلم(206-261هــــ/821-875م):""صــحيح مســلم"" تحقيق: أبي قتيبة نظر بن محمّد الفاريابي-المملكة العربية السّعودية-الرّيــاض-دار طيبــة-ط1-1427هــ/2006م-كتاب الجهاد والسير-باب كتاب النبي-صلى الله عليه وســلم-إلــى هرقل.

29- لقد اقترن اسم جماعة الإريسيين-على رواية-بشخص العلم آريوس، الّذي ولد فــي مدينــة قورينية في ليبيا الحالية (وهي تسمى حاليا مدينة شحات في غرب ليبيا) حوالي عام256م من عائلة أمازيغية أصيلة، سافر في صغره إلى الإسكندرية، وإلى أنطاكية، أيــن تلقــى تعليمــه اللاهوتي على يد أحد أشهر معلمي النصرانية في عصره لوســيان الأنطــاكي (أو لوســيان الشّهيد) وهو الذي تعدّه الكنيسة قديسا ليومنا هذا، ثمّ عاد بعدها إلى الإسكندرية عاصمة ولاية مصر الرّومانية، ليصبح شمّاساً وواعظا في كنائسها. وبفضل مهاراته في الخطابة وســلامة عقيدته أصبح آريوس بسرعة أحد أشهر قسيسي النّصرانيّة في عصره.وعلى الرّغم مــن أنّ

كثيرا من المؤرّخين يذكرون هذا عن جماعة الإريسيين، إلاّ أنّ الذّاكرة الجماعية لأهل المنطقة تؤّكد على أنّهم جماعة موحدة، ولا تقول بالتثليث، وفق ما جاء في الحديث.

30- لعلّ خير دليل على عقيدته في التثليث، كتابه الّذي يكمله: ""الثالوث المقدس"".

31- أصبحت المسيحية دين الإمبراطورية الرومانية المهيمن عليها، في حكم الإمبراطور قسطنطين روما(306-337م) وقد تكون الأسباب سياسية صرفة، وذلك أنّ اجتماع الأصقاع على دين واحد، يمكّن من السّيطرة عليها جميعها.

32- ومدينة نيقية بورصه حالياً، مدينة تركية تقع بالقرب من إسطنبول/القسطنطينية، التي أسسها قسطنطين الكبير، وجعلها العاصمة الشرقية للإمبراطورية الرّومانيّة الكبرى.

33- ينظر: الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب: ""المجمع المسكوني الأول مجمع نيقيا الأول"" سلسلة تاريخ المجامع المسكونية والكبرى- لبنان-بيروت-المكتبة البولسية-ط1-1997م.

34- الحديث رواه البزار-ينظر: الهيثمي علي بن أبي بكر نور الدين(735-807هـ):""كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب السّتة"" تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- لبنان-بيروت-مؤسسة الرسالة-ط1-1404هـ/1984م-ج:3-ص:109-باب في خالد بن سنان-رقم:2361.

35- أخرج مسلم في ""صحيحه""(1925)، وأبو عوانة(5/109-110) وأبو يعلى(783) والشاشي (1/204 رقم159) والبزار (152-مسند سعد) أو ""البحر الزخار"" رقم1222في ""مسانيدهم""، والدّورقي في ""مسند سعد""(ص195رقم116)، وابن الأعرابي في ""معجمه"" (1/174و3/586-587رقم298، 1156)، والسهمي في ""تاريخ جرجان""(ص467)، وأبو العرب في ""طبقات علماء إفريقيا""(ص10)، وأبو عمرو الداني في ""الفتن""(3/740-741رقم362)، وأبو نعيم في ""الحلية"" (3/95-96).

36- ينظر: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي(354هـ):""صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ""تحقيق: شعيب الأرنؤوط-بيروت-مؤسسة الرّسالة-ط2-1414هـ/1993م-ذكر البيان بأن أول فتح يكون للمسلمين بعده فتح جزيرة العرب-ج:15-ص:62.

37- ينظر: مؤلّف مجهول: ""مفاخر البربر ""تحقيق: عبد القادر بوباية-المملكة المغربيّة-الرّباط-دار أبي الرّقراق-ط1-2005م.

38- ينظر: عبد الله بن محمّد بن البشير المقدّم الرّجراجي السّعيدي(1964م):""السيف المسلول فيمن أنكر على الرّجراجيين صحبة الرسول ""المملكة المغربيّة-الصّويرة-مطبوعات المجلس الشّعبي الإسلامي-ط1-1407هـ/1987م.

39- إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنّى بن الحسن السّبط بن علي بن أبي طالب أول من دخل المغرب من الطّالبيين أسس فيها الدولة الإدريسية عام 172هـ، وتعد ثاني دولة إسلامية مستقلة(عن الخلافة الإسلامية)في المغرب الأقصى بعد الدّولة الرّستميّة في الجزائر.

40- قال ابن خلدون فيه: ""وأما سليمان أخو إدريس الأكبر فانه فر إلى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس وطلب الأمر هناك فاستنكره البرابرة وطلبه ولاة الأغالبة فكان في طلبهم تصحيح نسبه ولحق بتلمسان فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هنالك وورث ملكه ابنه محمد بن سليمان على سننه ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط واقتسموا ممالكه"": ""العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ""لبنان- بيروت- منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- ط1- 1971م- ج:4- ص:17.

41- بنت صاعد البربري، لقبها: لؤلؤة. وقد لقبها الإمام الباقر بالمحمودة، إذ قال لها: ""أنت حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة"". ولقبها الإمام الصادق بالمصفاة من الأدناس. والسيدة حميدة من أهل بربر، وقيل: إنها أندلسية. وكانت من المتّقيات الثقاة. وكانت الملائكة تحرسها كما في الحديث الشريف. وكان الإمام الصادق يرسلها مع أُمّ فروة لقضاء حقوق أهل المدينة. وكانت من أشراف العجم...كلّ هذا في الرّوايات الشّيعيّة.

42- ينظر: ابن جنّي: ""سرّ صناعة الإعراب"" تحقيق: محمّد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر-لبنان-بيروت-دار الكتب العلمية-ط2-1428هـ/2007م-ج:1-بابا:(القاف والكاف) -ص:287و289.

43- ابن دريد أبو بكر محمّد بن الحسن(321هـ):"جمهرة اللّغة "الهند-حيدرأباد الدّكن-مطبعة دائرة المعارف-ط1-1344هـ/1924م-مادّة:(وقد).

44- نسبةً إلى: عشتروت""Astarte""إلهة الخصب لدي الفينيقيين والكنعانيين.

45- ابن خلدون: ""تاريخ ابن خلدون""ج: 6-ص: 405.

46- تَهُوذَةُ بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، والذال معجمة: اسم لقبيلة من البربر من ناحية افريقية، لهم أرض تعرف باسمهم-ينظر: ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن

عبد الله الحموي الرومي البغدادي(575-626هـ): ""معجم البلـدان ""لبنـان-بيـروت-دار صادر-ط1-1397هـ-1977م-ج:2-ص:06.

47- ينظر: سفر التكوين-الإصحاح:(1:49-8):""يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُـكَ، يَـدُكَ عَلَـى قَفَـا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ"".

48- ينظر: إنجيل متى الإصحاح:(4:15):""أَرْضُ زَبُولُونَ، وَأَرْضُ نَفْتَالِيمَ، طَرِيقُ الْبَحْرِ عَبْـرُ الأُرْدُنِّ، جَلِيلُ الأُمَمِ"".

49- ينظر: سفر التكوين-الإصحاح:(1:30-18):""فَقَالَتْ لَيْئَةُ: ""قَدْ أَعْطَانِي اللهُ أُجْرَتِـي لأَنِّـي أَعْطَيْتُ جَارِيَتِي لِرَجُلِي"". فَدَعَتِ اسْمَهُ ""يَسَّاكَرَ"""".

50- ينظر: سفر العدد(4:2-27):"""وَالنَّازِلُونَ مَعَهُ سِبْطُ أَشِيرَ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي أَشِيرَ فَجْعِيئِيلُ بْـنُ عُكْرَنَ""

51- ينظر: سفر التكوين-الإصحاح:(1:30-22.23.24):""وَذَكَرَ اللهُ رَاحِيلَ، وَسَـمِعَ لَهَـا اللهُ. وَفَتَحَ رَحِمَهَا22فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا فَقَالَتْ: ""قَدْ نَزَعَ اللهُ عَارِي23""وَدَعَتِ اسْمَهُ ""يُوسُفَ"" قَائِلَةً: ""يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ""24"".

52- ينظر: سفر راعوث: (2/8-1):""وَكَانَ لِنُعْمِي ذُو قَرَابَةٍ لِرَجُلِهَا، جَبَّارُ بَـأْسٍ مِـنْ عَشِـيرَةِ أَلِيمَالِكَ، اسْمُهُ بُوعَزُ""

53- السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(911هـ):""المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ""تحقيق: فؤاد علي منصور-لبنان-بيروت-دار لكتب العلمية-ط1-1418هـ/1998م-ج:1-ص:360.

54- ينظر: سفر صموئيل:(2/23-33):""وَشَمَّةُ الْهَرَارِيُّ، وَأَخِيآمُ بْنُ شَارَارَ الأَرَارِيُّ"".
وسفر أخبار الأيام:(1/11-27):""شَمُّوتُ الْهَرُورِيُّ، حَالِصُ الْفَلُونِيُّ"«و(1/11-35):""أَخِيآمُ بْـنُ سَاكَارَ الْهَرَارِيُّ، أَلِيفَالُ بْنُ أُورَ""

55-ينظـــــــــــر: موقـــــــــــع:-https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/18_EN/EN_069.html

56- ينظر: سفر يشوع:(15/20و21):""هذَا نَصِيبُ سِبْطِ بَنِي يَهُوذَا حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ20وَكَانَـتِ الْمُدُنُ الْقُصْوَى الَّتِي لِسِبْطِ بَنِي يَهُوذَا إِلَى تُخُمِ أَدُومَ جَنُوبًا: قَبْصِئِيلَ وَعِيدَرَ وَيَاجُورَ21"".

ظاهرة التغير الصوتي بين العربيّة والعبريّة

أ. أمينة بوكيل♥

ج. جيجل

تاريخ الإرسال: 28-12-2017 تاريخ القبول: 16-07-2018

الملخص: سيتطرق هذا المقال إلى قضية هامة من قضايا الدرس اللغوي المقارن وهي "التغير الصوتي" في ضوء اللغات السامية، من خلال البحث عن مفهوم التغير الصوتي وآلياته، ورصد أشكاله بين اللغتين العربيّة والعبريّة.

وسيعالج هذا المقال الإشكالية الآتية: ما هي أشكال التغير الصوتي في اللغات السامية (العربيّة والعبريّة)؟

وللإجابة عن الإشكالية نقترح المحاور الآتية:

1-اللغات السامية في ضوء الدرس اللغوي المقارن

2-مفهوم التغير الصوتي بين اللغتين العربيّة والعبريّة

3-أشكال التغير الصوتي بين اللغتين العربيّة والعبريّة

كلمات مفتاحية: التغير الصوتي-اللغات السامية-العربيّة-العبريّة

مقدمة: تعد اللغة ظاهرة اجتماعية متغيرة على الدوام كباقي الظواهر الاجتماعية الأخرى، وهذا التغير مألوف في سائر اللغات، فكلما انتشرت اللغة زمانيا ومكانيا، لدى مختلف المجموعات البشرية كلما كانت أكثر عرضة للتغيرات المختلفة رغم محاولات الأطراف المختلفة في المجتمع من أفراد ومؤسسات وهيئات لحماية اللغة من التغيرات إلا أنه لا يمكن تفادي التغيرات، والنظام

♥ leaminaz@yahoo.fr

الصوتي في اللغة هو الأكثر عرضة لموجة التغيرات لأن اللغة هـي ذات طـابع صوتي أولا.

إذ لا يمكن فحص التغير الصوتي في اللغة العربيّـة وتحديـد أشـكاله دون مقارنته في اللغات السامية، لأن ذلك سيساعدنا علـى الوصـول إلـى نتـائج أدق وسيكشف لنا القوانين العامة التي تحكم المسرى التطوري للغة، كمـا أن دراسـة التغير الصوتي في اللغات السامية يمهد لنا السبيل لدراسة دقيقة لبنية الكلمـة، إذن ما هي أهمية دراسة التغير الصوتي في ضوء اللغات السامية؟

1- اللغات السامية في ضوء الدرس اللغوي المقارن:

لا يمكن فهم ظاهرة التغير الصوتي بين اللغتين العربيّة والعبريّـة دون العـودة إلى اللغات السامية وخصائصها اللغوية، وهذه الدراسة ذات أهمية كبرى لدراسـة اللغة العربيّة، "حيث تؤدي مقارنة هذه اللغات باللغة العربيّة إلى اسـتنتاج أحكـام لغوية، لم نكن نصل إليها، لو اقتصرت دراستنا على العربيّة فحسب، ونفسر بهـذا الأمر سر تقدم المستشرقين، في دراستهم للغة العربيّة، ووصولهم فيها إلى أحكام لم يسبقوا إليها، لأنهم لا يدرسون العربيّة، في داخل العربيّة وحدها، بل يدرسونها في إطار اللغات السامية، على المنهج المقارن."[1]

وبرزت دراسة اللغات السامية مع اكتشاف اللغة السنسكريتية خـلال القـرن الثامن عشر، حيث حاول علماء اللغات السامية من مستشـرقين وعلمـاء الآثـار الوصول إلى الأصول الأولى لهذه العائلة عبر مصطلح "اللغة السامية الأم" [2].

ولم يكن هذا الموضوع مجهولا عند علماء اللغة العربيّة القدماء، فقـد انتبـه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتابه "العين" إلى العلاقة الموجـودة بـين اللغتـين الكنعانية والعربيّة، وتفطن أيضا "ابن حزم الأندلسي" إلى وجود علاقة بين كل مـن العربيّة والعبريّة والسريانية في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام"[3].

أما اللغويون اليهود فقاموا بالمقارنة بين اللغتين العربيّة والعبريّة منـذ القـرن العاشر الميلادي بحكم نشأتهم في ظل الثقافة العربيّة، من بينهم "أبو زكريا يحـي"

الذي كان يستعمل في اللغة العبريّة الطرق والمناهج التي كان يستعملها علماء النحو العرب، حيث وضع أساسا للموازنة بين اللغات السامية[4].

واهتم المستشرقون في العصر الحديث اهتماما واضحا باللغات السامية لدوافع مختلفة، "وأول من اصطلح هذه التسمية شلوتر Shlozer في بحث نشره سنة 1781م، ثم شاعت هذه التسمية.

وقد استفاد شلوتر من تقسيم التوراة للأمم بنسبتهم إلى أبناء نوح الباقين بعد الطوفان[5]، سام وحام ويافث"[6]

حيث بدأ "..."شولتر" بمقارنة: العبريّة بالعربيّة، وجاء بعده كل من "إيفالد" و"السهوزن" فألفا في العبريّة، مستخدمين العربيّة في المقارنة، كما حاول مثل ذلك "نولدكه" في الآرامية. وفي عام 1890 م ألف "وليم رايت" كتابه: "محاضرات في النحو المقارن للغات السامية". كما ألف بعده كل من "لاجارد" و"بارت" كتابهما: "بحوث في أبنية الأسماء السامية"، وألف "لندبرج" كتابه: "النحو المقارن للغات السامية" وكذلك صنع "تسمرن" في كتابه الذي سماه: "النحو المقارن للغات السامية" كذلك، ونشره في برلين سنة 1898[7].

وتبقى مؤلفات المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" رائدة في هذا المضمار حيث ألف كتاب في جزأين بعنوان "الأساس في النحو المقارن للغات السامية" نشر ببرلين بين سنوات 1908-1913[8].

ومن أشهر المستشرقين الذين تناولوا هذا الموضوع بمنهجية مختلفة المستشرق الفرنسي "إرنست رنان" الذي ألف كتابا تحت عنوان (تاريخ اللغات السامية) يعتمد على المقارنة المعنوية بين اللغات السامية، إلا أنه خرج عن حدود الموضوعية في الفصل الذي عنونه ب"مميزات العقلية السامية" أين اتهم فيه الأمم السامية بضعف الخيال ومحدودية الفكر، وذهب إلى أبعد من ذلك حين زعم أن الساميين لم يحرزوا أي تفوق حربي في العصر القديم[9].

وأدرك اللغويون العرب في العصر الحديث ضرورة إدراج مادة اللغات السامية في الجامعات العربيّة، حيث استقدمت الجامعة المصرية منذ نشأتها سنة 1908 كبار المستشرقين لتدريس اللغات السامية بكلية الآداب، وبدأت جامعة دمشق بتدريس اللغات السامية منذ عام 1953.

ثم توالت الجامعات العربيّة في تخصيص اختصاص باللغات السامية، وأقبل الطلاب العرب على البحث في اللغات السامية من خلال مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه، وألفت العديد من المؤلفات الهامة في هذا الموضوع.

وذهب أغلب علماء اللغة إلى أن اللغتين العربيّة والعبريّة تنتميان إلى أسرة واحدة هي اللغات السامية التي تنقسم إلى: سامية شرقية، ومنها اللغة البابلية (الأشورية) وغربية تشمل الكنعانية والآرامية، وجنوبية (وفيها اللهجات العربيّة في جميع بلدان الجزيرة العربيّة واللهجات الحبشية)[10].

وتشترك اللغة العبريّة والعربيّة في عدة نقاط أهمها:

- الاشتراك في أصوات الطابق وهي: القاف، الصاد، والطاء (ק צ ט) وأصوات الحلق مثل: العين والحاء والخاء والهاء (ע ח כ ה)[11]
- التشابه في نظام الجذور وهي تتكون في معظمها من ثلاثة حروف وهي: فعل (פעל)[12]
- التشابه بين أنواع الضمائر (المتكلم والمخاطب والغائب) وفي اتصالها بالأفعال.
- الاشتراك في زمني الفعل الرئيسيين: الماضي والحاضر.
- التشابه في مكونات الجملة وتركيبها وترتيبها[13].
- يوجد مفردات كثيرة تشترك فيها اللغتان حتى وإن كانت ليست بالدلالات نفسها وتعود هذه الألفاظ إلى اللغة السامية الأم، وغالبا ما تدل هذه الألفاظ على أعضاء الجسم، صلة القرابة والعدد، أسماء الحيوان والنبات، وأدوات الحياة الشائعة في البيئة السامية[14]

ومما سبق نستنتج أنه يوجد تقارب بين اللغتين على كل المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، التركيبية، الدلالية)

2-مفهوم التغير الصوتي بين العربيّة والعبريّة: التغير الصوتي هو "التطور اللغوي الخاص بالمستوى الصوتي، سواء أكان ذلك التطور بالحذف أم الزيادة أم التعديل في النطق وقد تباين الدارسون في تحديد أنواع هذه التفسيرات فمنهم من جعلها نسبية تحدث في جملة من السياقات من دون اطراد وبعضهم اعتبرها مطردة ووسمها بالقوانين الصوتية .."[15]

وعرّف اللغوي "رمضان عبد التواب "التغير الصوتي بأسلوب آخر:

"تلك التغيرات التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة، فهي لذلك مشروطة بتجمع صوتي معين وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية"[16]

ويمكن أن نستخلص بعض خصائص التغير الصوتي من التعريفين السابقين:

والحديث عن التغير الصوتي يحيلنا على خصائص هذه الظاهرة التي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

-تسري عملية التغير الصوتي بطريقة تلقائية دون قصد، ولا يمكن الحكم على هذا التغير سواء أكان تطورا أم تخلفا.

-قد يستغرق التغير الصوتي مدة قصيرة أو لمدة طويلة حسب الظروف والعوامل المحيطة باللغة.

- كلما كانت الأصوات في الكلمة الواحدة متقاربة من ناحية المخرج والصفات كلما سهل ذلك لحدوث التغير الصوتي في الكلمة[17].

-إذا تغير صوت ما في كلمة فإنه في أغلب الأحيان ينتشر في الكلمات الأخرى التي تشتمل على هذا الصوت.

ويهدف التغيير الصوتي في الأخير إلى تسهيل النطق لأجل تحقيق الاقتصاد في المجهود[18]، وكلما كانت اللغة منتشرة وأكثر استعمالا كلما كانت أكثر عرضة للتغير الصوتي، ويشرح ذلك اللغوي "فندريس" قائلا:

"كثيرا ما لوحظ أن تطور اللغات يزداد بسرعة ازدياد انتشارها في الخارج وبازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعهم. إذ أن انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذاتية، والتأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدي إلى التغيير السريع. فإذا ما قارنا لهجة موطن أصلي بلهجة مستعمراته، تبين لنا أن هذه الأخيرة قد فقدت بعض القواعد النحوية الحقيقية الدقيقة: ذلك لأن التقاليد قد أبقت عليها في مهبط رأسها، ثم تلاشت بهجرتها بعيدا عن موطنها من ذلك الاختلاف بين I shall و I will لم يعد له وجود في الإنجليزية المتكلمة في أمريكا : فلا يقال الآن إلا:I will"[19]

ولم تكن اللغة العربيّة عبر تاريخها الطويل بعيدة عن موجات التغيير لعدة عوامل رغم أنه يوجد ظروف خاصة أو بالأحرى سياقات خارجية جعلت عملية التغير الصوتي محدودة لا تشمل كل الأصوات العربيّة، فبعد نزول القرآن الكريم ودخول العديد من الأقوام في الإسلام أفواجا أفواجا، ازداد اهتمام اللغويين العرب باللغة العربيّة على اختلاف مستوياتها وفي مقدمتها المستوى الصوتي خوفا من "اللحن"[20].

ومع هذا يوجد بعض التغيرات الصوتية التي طرأت على أصوات اللغة العربيّة مثل نطق"... همزة عند سكان المدن الكبرى في مصر والشام وغيرهما ونطقه غيناً عند سكان البادية والسودان، ونطقه كافا عند سكان فلسطين، وجيما عند سكان الخليج ومن ذلك أيضا في لهجات العامة نطق الذال زايا أو دالا نحو (ذهب وزهب) و(ذهب ودهب) والثاء سينا نحو (ثورة، وسورة)، والطاء تاء، والضاد دالا...والحقيقة التي يجب أن تقال هي أن ما أوردناه من تغيرات صوتية في لهجات العامة كإبدال الذال زايا أو دالا، والطاء تاء...بدأ يستشري في الكلام

الفصيح دون أن ننتبه إليه، والسبب في ذلك أن التغير الصوتي غير إرادي ولا تبدو ملامحه إلا بعد مرور وقت طويل..."[21]

أما في اللغة العبريّة فقد ظل التغير الصوتي ملازما لها في كل المراحل التاريخية للظروف التاريخية الاستثنائية التي عاشها اليهود والتي انعكست بجلاء على المسار التاريخي للغة العبريّة: فما هي هذه الظروف التاريخية؟ وما تأثيرها على اللغة العبريّة خاصة على المستوى الصوتي؟

وكانت اللغة العبريّة منذ نشأتها تحت تأثير اللغات الأخرى مثل الآرامية والإغريقية حيث أضعفت الحروب والشتات هذه اللغة، وجعلها محدودة لا تستعمل إلا في المعابد لتتحول إلى لغة طقوس وشعائر.

وبهذا بقيت اللغة العبريّة بعيدة عن الاستخدام مدّة طويلة حتى وإن ظهرت بعض المحاولات لفهم لغة "العهد القديم" الذي كان محور الحياة اليهودية عبر التاريخ، وكان "موضع اهتمام بعض العلماء الذين تخصصوا في هذه الناحية، وقد عرف هؤلاء العلماء باسم "سوفريم" أي الكتاب الذين كتبوا أسفار الكتاب المقدس أو بعبارة أخرى رواة العهد القديم منذ عصور"[22]

وبعثت اللغة العبريّة من جديد تحت تأثير الحضارة العربيّة في الأندلس حيث لم تبرز البداية الفعلية للنحو العبري إلاّ مع احتكاك اليهود بالثقافة العربيّة وآدابها، فقد انتبه اليهود إلى أنّ القرآن الكريم هو محور بحث المسلمين الذين اختصوا في شرح غريبه بإسهاب وتحديد مواطن إعجازه، لهذا "ذكرت دائرة المعارف اليهودية في المجلد السادس صفحة 67 بأنّ اليهود لم يؤلفوا كتابا في قواعد لغتهم إلاّ بعد تتلمذهم على يد العرب، وبعد أن نشئوا في مهد الثقافة العربيّة نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربيّة على اختلاف أنواعها، عند ذلك بدأ اليهود يتجهون نحو وضع قواعد للغتهم متبعين في ذلك الطرق التي اتبعها علماء النحو العربي"[23]

لكن بعد سقوط الأندلس تقهقر الاهتمام باللغة العبريّة ليعاد بعثها من جديد في العصر الحديث مع بروز الحركة الصهيونية التي جعلت أ حد بنودها الأساسية إحياء اللغة العبريّة، كما جعلتها أداة لتحقيق أغراضها الاستعمارية.

وحاولت الصهيونية في هذا الإطار بكل الوسائل جعلها لغة تواصل بعدما كانت شبه ميتة، وأثارت هذه المحاولة سخرية أحد الأدباء اليهود الذي قال عنها:

"لابد للعبرية الفينيقية القديمة من أن تتناسب مع الأجزاء المستعارة حتى يمكنها مسايرة سباق السيارات"[24]

وتتدرج أغلب هذه الجهود في محاولة جعل اللغة العبريّة مواكبة للعصر، وهذا ما جعلها تبتعد كثيرا عن أصلها السامي فقد "دخلت إلى العبريّة الحديثة ألفاظٌ كثيرة من اللغات الأوروبية...فالعبريّة الحديثة زاخرة بألفاظ أوروبية خصوصا في المجال العلمي. والتأثير الأوروبي في العبريّة الحديثة لا يقتصر على الأصوات والمفردات، ولكنه يتضح أيضا في كثير من التراكيب والتعبيرات الأوروبية التي نقلت حرفيا إلى العبريّة. وهذا شيئ طبيعي بالنسبة للعبرية الحديثة، فهي تدور بعناصر مأخوذة من العبريّة القديمة مع الكثير من الإضافات داخل الإطار الفكري الأوروبي"[25]

وقبل الخوض في المشاكل الصوتية التي تطرح على مستوى اللغة العبريّة لا بد من شرح المصطلحين الآتيين:

-الأشكنازيم (אשכנזים): نسبة إلى "أشكناز" التي بألمانيا، ويطلق على كل اليهود الذين أقاموا بأوروبا في القرون الوسطى[26]، وأصبح هذا المصطلح يطلق على كل اليهود المهاجرين من أوروبا وأمريكا وأستراليا إلى فلسطين .

-السفارديم (ספרדים): نسبة إلى "سفارد" التي تعني "الأندلس" في اللغة العبريّة وعمم هذا المصطلح على كل اليهود الشرقيين الذين كانوا يعيشون في الوطن العربي قبل هجرتهم إلى فلسطين[27].

ومن المعروف أن اليهود الأشكناز هم أصحاب الحركة الصهيونية ويتبوؤون مكانة هامة في المجتمع الإسرائيلي، ويتحكمون في السياسة والاقتصاد والإعلام،"ويشكل متحدثو العبريّة الأشكنازية الغالبية العظمى من بين متحدثي العبريّة في إسرائيل- بالإضافة إلى أنهم كما ذكرنا يسيطرون على توجيه القطاعات الحساسة في المجتمع الإسرائيلي مثل التعليم والصحافة ودور النشر والجيش وغيرها من القطاعات المؤثرة على المستوى اللغوي" .

"أما اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين من البلاد العربيّة فإنهم يحافظون على النطق السليم للفظ العبري ...وذلك نظرا للاتفاق بين العربيّة والعبريّة من ناحية الأصل اللغوي[28]"

ويتهاون اليهود الأشكناز في نطق العديد من الحروف التي هي أساسية في اللغة العبريّة وفي اللغات السامية منها:

-ينطقون حرف العين فاء

-ينطقون حرف الحاء خاء

-ينطقون حرف الطاء تاء

-ينطقون حرف القاف كافا

-ينطقون حرف الراء غينا

ويؤدي هذا التغيير في النطق إلى خلط بين الكلمات ودلالاتها، ويعقد قضية الكتابة والإملاء[29]، كما يجعل من اللغة العبريّة لغة صعبة للتعلم والتواصل.

ومما سبق نلاحظ أنه يوجد نوعان من التغير الصوتي في اللغتين العربيّة والعبريّة هما:

3-أشكال التغير الصوتي بين اللغتين العربيّة والعبريّة: تتفق أغلب المصادر القديمة والحديثة أن أشكال التغير الصوتي أربعة هي (الإبدال-الإعلال-الإدغام-الإمالة)، وسنحاول في هذا المقال دراسة شكلين هما: الإدغام والإبدال.

1-الإدغام: الإدغام ظاهرة صوتية تعني إدخال شيئ في شيء، ويقال أدغم حرف في حرف أي أدخلته فيه فجعلت لفظه كلفظ الثاني[30]، و"تميل اللغة العربيّة إلى الإدغام حين يتولى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أم كلمتين، إذا كان الصوت الأول مشكلا بالسكون، وبالتالي محركا، وذلك لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها"[31].

ويشرح "ابن الجني " الإدغام بطريقة أبسط قائلا:

"قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت"[32]

مثل إدغام النون في الميم عندما تكون ساكنة مثل: مما التي أصلها: من ما.

وفي اللغة العبريّة "يكثر إدغام النون في الأسماء العبريّة التي لها مقابل في اللغة العربيّة تشير إلى وجودها في الأصل السامي الأول –والذي تمثله العربيّة. وقد حدث لهذا الصوت تغير في اللغات السامية الأخرى ومنها العبريّة فأدغم فيها الصوت"[33] ويمكن أن نذكر الأمثلة الآتية:

-كلمة "حنطة" العربيّة التي تقابلها في العبري(חטה) (حِطّا)، وهنا أدغم صوت النون في الطاء وعوض عن النون بتشديد الطاء، وهذا يحيلنا على أن هذه الكلمة تنتمي إلى المعجم السامي المشترك.

-وكلمة "بنت" العربيّة نجد في الآشورية البابلية "بنتو" وفي الحبشية "بت"، في حين في العبريّة (בת) "بت"

حيث أدغمت النون وعوض عنه بتشديد الباء، ويظهر النون في صيغة الجمع (בנות) "بنوت".

-ونجد الإدغام أيضا في ضمائر المخاطب العبريّة (אתה- את- אתם- אתן) (أتا-أتْ-أتيم-أتين) التي تترجم في اللغة العربيّة(أنتَ-أنتِ-أنتم-أنتن)[34].

وبهذا نجد أن ظاهرة إدغام النون موجودة في اللغة العربيّة والعبريّة وباقي اللغات السامية، وتهدف إلى تسهيل النطق.

ملاحظة: لا يقتصر الإدغام فقط على صوت النون بل يشمل الإدغام الأصوات الأخرى، لكن يبقى إدغام النون الأكثر انتشارا بين اللغات السامية.

2-الإبدال: الإبدال هو "حذف صوت ووضع آخر مكانه، سواء أكان الحرف من أحرف العلة نحو: قال (أصله: قول)"[35]، مثل في كلمة: اضطرب حيث أبدلت تاء افتعل طاءً حيث أصلها "اضترب".

ويرى "ابن يعيش" أن "حروف البدل من غير إدغام أحد عشر حرفا فيها من حروف الزيادة ثمانية، وهي: الألف والياء والواو والهمزة والنون والميم والتاء والهاء. وثلاثة من غيرها، وهي: الطاء، والدال، والجيم"[36]

ومن أمثلة الإبدال في اللغتين العربيّة والعبريّة:

ويكون الإبدال في حروف العلّة مثل إذا جاءت الياء ساكنة بعد ضم تبدل بحرف الواو مثل في كلمة "يوقن" و"موقن" التي أصلها "يُيْقن" و"مُيْقن".

ونجد هذه الظاهرة في اللغة العبريّة مع كلمة (מוֹרָד) (موراد) التي تعني في اللغة العربيّة مورد، وأصل الكلمة العبريّة (מֵירָד) (ميرد)، ونلاحظ هنا استبدل حرف العلّة الياء بحرف الواو[37].

ويبقى أحسن مثال يوضح فعلا ظاهرة الإبدال هو الفعل الثلاثي في العربيّة الذي يبتدئ بحروف (الصاد-الطاء-الظاء) على وزن "افتعل" حيث تبدل تاء "افتعل" بالطاء في الكلمات الآتية: اصطحب -اضطرب-اطّلع-اظطلم التي أصلها: اصتحب-اضترب-اطتلع-اظتلم.

ونجد المثال تقريبا نفسه في اللغة العبريّة على وزن (התפעל) (هِتفعل) حيث تبدل حرف التاء (ת) بحرف الطاء (ט) في المثال الآتي: (הצטיר) (هِصطيّر) التي تعني في اللغة العربيّة تصوّر بدل كلمة (הצתיר) (هِصتيّر)[38].

نلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن حروف الإبدال في اللغة العربيّة هي نفسها في اللغة العبريّة، تختلف في الحركات فقط، ويدل ذلك على تشابه هذه الظاهرة في اللغات السامية.

الخـــاتمة: إن أشكال التغير الصوتي في اللغتـــين العربيّـــة والعبريّـــة عديـــدة الجوانب والمستويات ولا يمكن حصرها في هذا المقـــال، ومـــع هـــذا يمكـــن أن نستعرض أهم النتائج التي نجملها في النقاط الآتية:

-ضرورة دراسة الظواهر اللغوية الخاصة باللغة العربيّة ضمن اللغات السامية من أجل الوصول إلى نتائج أدق وإيجاد تفاسير لمختلف الظواهر اللسانية.

-لا يمكن تفادي التغير الصوتي فهو يمس كل اللغات دون استثناء.

-لا يمكن تصنيف التغير الصوتي في خانة التطور أو التخلف.

-يهدف التغير الصوتي إلى تسهيل النطق.

- لاحظنا وجود نوعين من التغير الصوتي في اللغتين العربيّة والعبريّة:

الأول ناتج عن العوامل الخارجية المتمثلة في البيئة والسياق التاريخي وانتشـــار اللغة الثاني ناتج عن العوامل الداخلية المتمثلة في خصوصية اللغـــة وخصـــائص الأصوات المتجاورة

-تعرضت اللغة العبريّة لكثير من التغيرات الصوتية نتيجة العوامل الخارجيـــة عندما بعثت من طرف الصهيونية، وفُرضت كأداة تواصل على اليهود المهـــاجرين إلى فلسطين الذين غيروا الكثير من الأصوات العبريّة، لتبتعد اللغة العبريّـــة عـــن أصولها السامية بسبب التغيرات الصوتية.

-يكثر إدغام النون في اللغتين العربيّة والعبريّة.

-وجدنا حروف الإبدال هي نفسها في كل من اللغتين العربيّة والعبريّة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربيّة:

- ابن جني: التصريف الملوكي، دار المعارف للطباعة، دمشق، دت.
- ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1 المكتبة العربيّة، حلب، 1393-1973.

المراجع العربيّة:

- الإبراشي، محمد عطية: الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربيّة وخصائصها، ط2، دار الحداثة، بيروت، 1984.
- الزعبي، آمنة صالح: في علم الأصوات المقارن: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربيّة واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008.
- حجازي، محمود فهمي: علم اللغة العربيّة، (دط)، دار الغريب، القاهرة (د.ت).
- الشامي، رشاد: تطور خصائص اللغة العبريّة القديمة –الوسيطة–الحديثة الناشر مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1978.
- الطعاذ، هاشم: مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، دار الحرية للطباعة بغداد، 1978.
- عباس، معن مشتاق: المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1423-2002.
- عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة الخانجي القاهرة، 1990.
- عبد الوافي، علي: علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة .2000

– عليان، سيد سليمان: في النحو المقارن، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2002.

– كمال، ربحي: دروس في العبريّة، دط، دار العلم للملايين، بيروت، 1963.

– مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات النحو، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1990.

– مختار، أحمد عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997.

– هنداوي، إبراهيم موسى: الأثر العربي في الفكر اليهودي، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963.

ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اللغات السامية، ط1، بيروت، دار القلم، 1980.

المراجع المترجمة:

– بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، 1977.

– فندريس، ج: اللغة، ترجمة: ع الدواخلي و م القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1950.

– موسكاتي، سبتينو : الحضارات السامية، ، دط، ترجمة: يعقوب بكر، بيروت دار الرقي، 1986.

الإحالات:

[1] رمضان عبد التواب: مقدمة كتاب: كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، 1977، ص5.

[2] المرجع نفسه، ص6.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] محمد عطية الإبراشي: الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها، ط2 دار الحداثة، بيروت، 1984، ص6-7.

[5] سفر التكوين 10: 21-22.

[6] هاشم الطعاذ: مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978 ص3.

[7] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[8] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[9] ربحي كمال: دروس في العبرية، دط، دار العلم للملايين، بيروت ،1963، ص30.

[10] إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ط1، بيروت، دار القلم، 1980، ص20.

[11] محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، (دط)، دار الغريب، القاهرة، (د.ت)، ص140

[12] سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية، دط، ترجمة: يعقوب بكر، بيروت، دار الرقي 1986م.ص44.

[13] محمد عطية الإبراشي: الآداب السامية، ص7.

[14] كمال ربحي: دروس اللغة العبرية، ص20.

[15] معن مشتاق عباس: المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1423-2002، ص44.

[16] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة الخانجي، القاهرة 1990، ص29.

[17] علي عبد الوافي: علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص 287.

[18] المرجع نفسه، ص 288.

[19] ج فندريس: اللغة، ترجمة: ع الدواخلي و م القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1950، ص427.

[20]آمنة صالح الزعبي: في علم الأصوات المقارن: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008، ص9.

[21]أحمد شحلان: المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي، مجلة اللسان العربي ع36، 1413ه–1992م، ص131.

[22]المرجع نفسه، ص132.

[23]إبراهيم موسى هنداوي: الأثر العربي في الفكر اليهودي، دط، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، 1963، ص8.

[24]رشاد الشامي: تطور خصائص اللغة العبرية القديمة –الوسيطة–الحديثة، الناشر مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1978، ص107.

[25]أحمد شحلان: المعجم العبري بين الملابسات التاريخية والواقع اللغوي 132.

[26]Collective: Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, Les éditions du Cerf, Paris, 1993, p12.

[27]المرجع نفسه، ص1023.

[28]رشاد الشامي: تطور خصائص اللغة العبرية القديمة، ص113.

[29]المرجع نفسه، 130–131.

[30]ابن يعيش: شرح المفصل، ج1، ص 121.

[31]أحمد عمر مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص387.

[32]ابن جني: التصريف الملوكي، دار المعارف للطباعة، دمشق، دت، ص93.

[33]سيد سليمان عليان: في النحو المقارن، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002، ص37.

[34]المرجع نفسه، ص33–37.

[35]مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات النحو، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1990، ص28.

[36]ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1، المكتبة العربية، حلب 1393–1973، ص 213.

[37]ربحي كمال: الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، 1980 ص110.

[38]المرجع نفسه، ص1 12.



المحور الثّاني

دراسات تعليمية ومعجمية

التعليم العربي الإسلامي داءه دواءه "من خلال أليس الصبح بقريب" لمحمد الطاهر بن عاشور

سالم مولاي♥

ج. الدكتور الطاهر مولاي /سعيدة

تاريخ الإرسال: 4-11-2017   تاريخ القبول: 16-07-2018

الملخص: يعتبر مجال التعليم من أهم المجالات التي نالت الاهتمام الكبير من قبل العديد من الباحثين و الدارسين عربا كانوا أم عجما، وذلك رغبة منهم في تطوير مناهجهم و تحقيقا لشرط يعتبر الأول من نوع بلوغ الحضارة، و إرادة منهم كذلك تحقيق مكاسب أمتهم من رفع شرفها وعز مكانتها، بين الأمم الأخرى، و الأمة العربية واحدة منها، فقد حمل حال التعليم فيها ووضعه السيء الكثير من المفكرين على تجريد أقلامهم و التصدي بأفكارهم لإصلاح وضع التعليم فيها ومن جملة هؤلاء كما تقدم في مقالتنا هذه العلامة محمد طاهر بن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب " حيث تناول في مجموعة الأساليب التي أدّت إلى ضياع مناهج التعليم في بلاد الإسلام، وأسباب تراجع العلوم فيها علما كما تعرضت بعد ذلك إلى وصف العلاج المناسب و الحل الذي من خلاله يمكن تدارك المشاكل العارضة في التعليم الإسلامي، و في كل جانب من جوانب الدراسة يشفع ذلك بتطبيق مع الواقع المعيش في إحدى الدول الإسلامية، وتعتبر هذه الدراسة مثلى في إصلاح العملية التعليمية في القطر الإسلامي، حري بأرباب التعليم أن يعتمدوا عليها.

♥ salemmoulay7@gmail.com

Résumé: Le domaine de l'éducation des zones les plus importantes qui ont reçu une grande attention par de nombreux Alzkran et des étudiants arabes étaient Agama, le spectre Rgbhmenhm dans le développement des programmes et de l'enquête de l'état est le premier à atteindre la civilisation et la volonté de les Kmalk taper leurs gains de la nation de soulever son honneur était la position difficile entre l'autre et la nation des Nations Unies l'arabe est l'un d'entre eux de toute façon, l'éducation est complétée où et placer que beaucoup de penseurs à innover leurs stylos et répondre à leurs idées pour réformer le statut de l'éducation dans lequel de ces inter comme un progrès dans notre article de cette marque Mohammed bin Tahirbn Ashour dans son livre "Alice fartage relative" où il a adressé au groupe Alsalib qui a coûté perte de terres les programmes d'enseignement de PHP de l'Islam et les raisons de la baisse de la science où la note de la note a également été touché après la pièce à décrire le traitement approprié et dont la solution peut être remédié des problèmes de quille dans l'éducation islamique et dans tous les aspects de l'étude doit être accompagnée par l'application à la réalité de la vie dans l'un des pays musulmans sont cette étude optimale dans la réforme du processus d'apprentissage dans l'éducation islamique Distance Borbab apte à compter sur.

Summary: The field of education of the most important areas that received great attention by many Alzkran and of student Arabs were Agama, the spectrum Rgbhmenhm in the development of curricula and the investigation of the condition is the first to reach civilization and the will of them Kmalk type their nation gains from raising her honor was hard position between the other and the nation UN Arabic is one of them anyway, education is supplemented where and place that a lot of thinkers to innovate their pens and addressing their ideas to reform the status of education in which of these inter as progress in our article this mark Mohammed bin Tahirbn Ashour in his book "Alice waxing relative" where he addressed the Alsalib group that claimed loss of education curricula PHP land of Islam and the reasons behind the decline of science where the note of the note was also hit after the piece to describe the appropriate treatment and the solution of which can be remedied keel problems in Islamic education and in every aspect of the study shall be accompanied by applying with the reality of living in one of the Muslim countries are this optimal study in the learning process reform in the Islamic Distance Education Borbab apt to rely upon

Google Traduction pour les entreprises:Google Kit du traducteurGadget TraductionOutil d'aide à l'ex.

مقدمة: لازالت الحضارة منذ قدم الزمان تتخذ لنفسها مهراً غالياً تفرضه على طالبها ولا ترضى به دونه، إلا أن يؤديه وهي ناطقة بلسان الحال: ومن يخطب الحسناءَ من غير أهلها بعيد عليه أن يفوز بوصلها.

وهاهي الأُمم تتنافس وتتسابق جهدها في تحقيق هذا الشرط، والوفاء بالمهر مهراً فيه لا يختلف فيه اثنان ألَا وهو العلمُ وكما قيل:

ألَا بالعلم تبلغ ماتريدُ وبالتقوى يلين لك الحديدُ

فما بلغت أُمةٌ ما بلغته من ذروة التقدم والرقى إلا بعد أن أقامت صرحها العلمي على أساس صحيح، ومناهجَ علمية ناجعة، بخلاف تلك التي لا تزال تركض تائهة في ظلمات التخلف، معزو أمرها إلى فساد مناهجها التعليمية، وحال الحضارة الإسلامية اليوم لا يخرج عن هذا؛ إذ أن ضعف مجال التعليم بمختلف أطْواره يفصح عن ذلك، وعدم مواكبتها لمستجدات المناهج التعليمية العصرية كفى به شاهداً لذلك بيد أنْنا نلتمس الأمل كبيراً في تدارك النقص وتجاوز المحنة مادام هناك رجال خدموا بافكارهم المنظومة التعليمية الإسلامية، حيث شخصوا الداء وبحثوا في أسْبابه ومصادره ووصفوا الدواء ومن أمْثال هذه الجهود ماكتبه الطاهر بن عاشور " أليس الصبح بقريب " وغيره، وسنحاول جهدنا أن نبين من خلال هذه المقالة أهم الإصلاحات التعليمية التي اقترحها ابن عاشور للنهضة بحال التعليم الإسلامي، بعد الحديث عن العيوب والأخطاء التي حالت بيننا وبين التقدم.

العرض:

التعريف بالطاهر بن عاشور: يعتبر محمد الطاهر بن عاشور أول من حاضر بالعربية بتونس في القرن العشرين، أما مؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين وهي غاية

في الدقة العلمية. وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدب. ومن أجلّها كتابه في التفسير" التحرير والتنوير ."وكتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وكتابه حاشية التنقيح للقرافي، و"أصول العلم الاجتماعي في الإسلام" والوقف وآثاره في الإسلام، ونقد علمي لكتاب أصول الحكم، وكشف المعطر في أحاديث الموطأ، والتوضيح والتصحيح في أصول الفقه وموجز البلاغة، وكتاب الإنشاء والخطابة، شرح ديوان بشار وديوان النابغة...إلخ. ولا تزال العديد من مؤلفات الشيخ مخطوطة منها: مجموع الفتاوى، وكتاب في السيرة، ورسائل فقهية كثيرة.[1]

الهدف من التعليم وإصلاحه:

تعريف التعليم والتأديب: يعرف الغزالي التعليم: هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن. وأما التأديب هو أن يعود الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن الملكات العلمية وبأن تنهض عزائمهم نحو فعلها وأن تصير تلك وأفعالها مسؤولية على نفوسهم ويجعلوا كالعاشقين لها وإنهاض العزائم نحو فعل الشيء ربما كان يقول وربما كان يفعل. ومعنى ذلك أن الفرق بين التعليم والتأديب يكمن في أن التعليم يكون بالقول فقط أما التأديب فيكون بهما معا.[2]

ويعرف أيضا على أنه عملية عقلية داخلية نستدل على حدوثها عن طريق آثارها أو النتائج التي تظهر من عملية التعليم وتكون في صورة تعديل أو تغيير يطرأ على سلوك الإنسان سواء كان انفعاليا مثل اكتساب القيم ...الخ أم عقليا مثل: اكتساب المعلومات ......الخ والاستعانة بها في التفكير في مواقف حقيقية لغرض الوصول إلى هدف أو حل بعض المشكلات.[3]

وأما الهدف من وراء إصلاح التعليم فالأسباب كثيرة يترأسها ما ينجم عنه من صلاح المجتمع وكما قال ابن عاشور فأما التعليم فإنه إن صلح عم به الصلاح، وإن كان فاسدا تشتت به الأمة كلها وتذبذبت في معرفة مراتبها وساءت اعتقادا في حال جهلها [4]

كما إن الغاية من وراء إصلاح أوضاع التعليم هي ارتقاء مدارج الحضارة وبلـــوغ آمالها إضافة إلى تحقيق التفاضل بين الأمم وغيرها وإلى ذلك أشار ابن عاشور قائلا " وقد كان صلاح التعليم من مميزات الأمم فإنه ماميز الأمـــم بعضـــها مـــن بعـــض إلا العادات واللغات وماهي إلا تعليمات نشأت عن أصول تعاليم البشر، فيحســـب ارتقـــاء عاداتهم ولغاتهم يكون تفاضلهم ثم يكون التفاضل بالأديان فإنها ترجي إلى مبـــدأ واحـــد فعادات واحدة "[5]

والغاية الأسمى من وراء التعليم وإصلاحه في نظر ابن عاشور تكمن فـــي تكـــوين قادة وروادا ليحفظوا للأمة مكانتها بين الأمم إذا يقول "......وراءها تبين غايـــة هـــي أسمى وأعظم مما يبدو منها وهي إنتاج قادة للأمة في دينهـــا ودنياهـــا وهـــداةٌ، كلهـــم مصابيح إرشادها، ومحاصد قتادها، ومهدئو نفوسهم إذا أقلقها اضطراب مهادها".[6]

كما إن الغرض من وراء السعي في خدمة التعليم وإصلاحه هـــو اســـترجاع عـــز الأمة وإخراجها من هذا السبات العميق فإذا أردنا ذلك كما قال ابن عاشور: كان واجبـــا علينا خدمة للملة وتهيئة للنشأة العلمية التي تزين مستقبلنا وتمجد ماضينا أن ندخل تلـــك المجاهل نرفع بإحدى يدينا مشاعل النور ونقطع بالأخرى ما يمانع من حجرات العثور فإذا لم نصل بعد إلى غاياتها فعسى أن لا نبعد.[7]

وخلاصة القول إن الهدف من وراء التعليم يكمن فـــي تحقيـــق المعرفـــة وبلـــوغ الكشوفات العلمية في شتى مجالاتها والرقى بالمجتمع إلى مستوى التحضير المطلـــوب ومسايرة واكب التطور وتحقيق فضل السبق والتميز على الأمم ومن ثمة شق طريـــق الحضارة وفتح أبوابها على مختلف أنواعها.

أسباب تراجع التعليم عند المسلمين: يرجع الطاهر بن عاشور تأخر التعلـــيم فـــي الأقاليم الإسلامية إلى العديد من الأسباب والتي في نظره منطلقها من نوعين: الصـــنف الأول يسمى بالأسباب العامة وهذا النوع لا يكاد يحصى كثيره أما الصنف الثاني وهـــو

الناجم عما يطرأ على نظم الحياة الاجتماعية من تغيرات وقد جمل أهم هـذه الأسـباب فيما يلي:

1-انعدام المراقبة في الوسط التعليمي الإسلامي: فتخلى عقلاء القـوم ومنكـريهم وحكامهم ....عن مراقبة أساليب التعليم ومناهجه ....وتحديد الصالح واثباته والضـار فتغيره جعل التعليم عند المسلمين يقبع على مناهج باد زمانها ويعتمـد أسـاليب تقـادم عهدها.

2-إهمال الضبط: يرى بن عاشور أن التعليم في معظم الدول الإسـلامية، يجـري بصفة اختيارية على جميع أحواله فالمتعلم باختياره والمعلم يدرس ما يشاء ويروق لـه من الكتب .... مما يؤثر على نسبة التحصيل وجودته عنه الطالب.

3-عزوف التعليم عن مادة الأداب: ويراه الطاهر بن عاشور السبب الـذي قضـى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد وهذا ما أدى الى تراجع المستوى عنـد المعلمين كذلك وفي هذا القول: ومن العار الكبير أن نرى كثيرا ممن ينتصـب لتعلـيم النشء تعجبك أجسامهم وتبهجك بزتهم وتعظم صورهم ولكن ما بينك وبين أن تـرمهم بضد ذلك إلا أن تحاكيهم وتعاشرهم أو تجادلهم فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة مـن الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة وبذلك رزئت الأمة أنفع عنصر فـي حيـاة الأمـم وكما لها وهو الأخلاق"[8]

4-سلب العلوم والتعليم حرية النقد الصحيح في المرتبة العالية وما يقـرب منهـا: وذلك بتجميد الأفكار وتحجير عقول المتعلمين من عدم تدريبها علـى نقـد المعـارف المتلقاة فتألف عقولهم قبول ما يتعلمون من غير نقد ولا ترجيح لمختلف فيـه أو أبـداء رأي....

5-الغفلة من إعطاء كل مرتبة من مراتب التعليم ما تحتاجه مـن أسـلوب لائـق ونافع.

6-إهمال التمرين والعمل بالمعلومات كما الغاية من كل علم.

7-تفكير الطلاب منذ البداية في تحصيل الشهادة.

8-ضعف الملكة اللسانية أو القصور اللغوي وهذا ما كان من جملة الأسباب التي أشار إليها الشيخ الطاهر بن عاشور والتي لم تعد ولا تكون سببًا في تراجع التعليم عند المسلمين إضافة إلى بعض الأسباب التي يمكن اعتبارها من دواعي ضعف التحصيل عند طالب العلم في بلاد الإسلام

9-عدم مراعاة قدرات الطالب فيما قدم له من معلومات فقد يتلقى ما لا يليق بمقامه فينفر أو ما هو دون مستواه ففكره من ثمة يركد.

10-عدم التدرج في تزويد الطالب بالمعارف ومراعاة المرحلية في التعليم قال ابن خلدون (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين أيما أن يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي الصول ذلك قوة عقله واستعداده لها يرد عليه9.

11-الشدة على المتعلمين مما يولد في نفوسهم النفور والكراهية للعلم، وإن كان المعلم قد يحتاج إلى بعض منها لترهيب الطلاب وترغيبهم من غير أن يتجاوز القدر المطلوب تحول دون حصول المقصود، وإلى هذا أشار ابن خلدون قائلا: لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا10.

الحلول المقترحة لإصلاح العملية التعلمية عند المسلمين: لقد اقترح الشيخ الطاهر بن عاشور جملة من الحلول التي بإمكانها أن تعود بالتعليم الإسلامي إلى مستواه الرفيع وهذا بعد جهد ودراسة كبيرة منذ أن اطلع على أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع التعليم في بلاد الإسلام وإذا نظرنا في الحلول التي قدمها الطاهر بن عاشور رحمه الله وجدناها في عمومها تمس جانبين وهما: الجانب النظامي بما فيه (مثلث التعليم) من معلم ومتعلم ومادة تعليمية والجانب البيداغوجي.

ومن الحلول التي اقترحها لإصلاح الجانب الأول نذكر منها:

1- اختيار كتابٍ جامعٍ من طرف اللجنة العلمية يتم تدريسه وهذه الطريقة اعتمدت من قبل الكثير من الكليات في الجامعات فأثبتت نجاعتها في التحصيل في حين

أن أولئك الذين يعتمدون على أخذ محاضرات من مراجع ومصادر مختلفة واجهوا العديد من النقائص من بينها:

- عدم إتمام البرنامج والإحاطة بأهم قضاياه
- تكرار محتوى بعض المحاضرات أحيانا
- عدم التوسع أثناء تدريس نفس المقبلين في مستوى آخر جديد لأن الأستاذ ليس على دراية بما تلقاه الطلبة من محاضرات في المستوى السابق في هذا المقياس ومن ثمة قد يضطر إلى إعادة بعض الدروس.

2- إعادة النظر في الفنون التي يشتمل عليها برنامج كل رتبة من رتب التعليم وتحقيق التناسق بين هذه الرتب

3- إعطاء المواد الأساسية قيمتها وقتا ودرجة أعلى من الفنون الفرعية

4-يخصص كل مدرس بتدريس فن واحد أو فنين لا غير.

5-يتبع الشيوخ في التعليم غير الأسلوب الذي هم عليه بأنه ينظر أحدهم الدرس الذي سيلقيه ويستجمعه ويرتبه في ذهنه ويلقيه للطلاب على أقرب وجه يمكن به الفهم له وتحصيله ولا يشوش على الطالب بسرد الكتب وإعرابها وذكر الخلافات وغيرها.

6-إعداد المقررات الدراسية إعدادا يتناسب وقدرات الطالب وبيئته الاجتماعية ...الخ

أسباب تأخر العلوم عند المسلمين: لقد حاول بن عاشور جاهدا البحث عن سبب تأخر العلوم عند المسلمين، فوجد نفسه كما وصف يرمي نفسه في متسع ربما لا يجد منها مخرجا في أمدٍ غير طويل وخلص في الأخير إلى أن تأخر العلوم عند المسلمين تصنف في مجملها إلى أسباب عامة و أسباب خاصة تتعلق بكل علم على حد ذاته[11].

الاسباب العامة:

1-الوقوف المفاجىء الذي عرض للعلوم عند انطفاء مدنية الدول بسبب الفتن التي استغلت الدولة العباسية وأضرم نارا حالت دون تقدم مسار علوم المسلمين وقضت وتخلّت على ما تركه الأقدمون

2- تداخل العلوم وربط بعضها ببعض خصوصا علم الكلام والحكمة الذي أدمجوا بكل علم فأوجب ذلك ضيقا في العلوم ونشأ عنه توسيع في الخلافات.

3-تعلق بعض المتقدمين بالتمحيص وانتقاد خلف في نفوس الكثير من المتخرجين الولع بالبحث عن الكتب التي تميل إلى التحزب وتأييد الرأي دون الرأي الأخر مما جعل اهتمام بعض العلوم دون الأخرى يتولد في نفوسهم

4-طموح النفوس إلى المشاركة في جميع العلوم مما جعل التأليف خليطا من المسائل التي يتوقف بعضها على فهم بعض على نحو طريقتهم في التعليم حتى نجم عن هذا أن الناس أصبحوا لا يحصلون من كل علم إلا القليل، وذلك كما قال ابن عاشور لأن العلم أصبح أوسع من الوقت.

5-الإعجاب الكبير بأراء المتقدمين وتنزيهها عن الخطأ إلى حد اعتقاد عدم خطئهم مما جعل العلم ينحصر في بعض الفنون عن المتقدمين وهنا نستحضر مقولة القائل:

بحرمت المبعوث من خير لؤ ما ترك الأول للاخير شيء

6-وهذا ما جمد العقول وجعلها تقف دون النظر فيما قدمه الأولون وأن خطأ في بعض الأحيان يرد الكتاب الواحد متضادات لكن لا يوجد من يناقش في أمرها إلا القليل.

7-انقطاع العمل أو التمرين عن التعليم قد محى أوج العلوم من الأذهان فصير العلم مجرد قواعد لمصطلحات

8-إهمال المراقبة للعلوم وقد ذكره، بن عاشور في سبب تراجم التعلـيم عنـد المسلمين

9- سوء التفاهم الذي كان بين أرباب فنون العلم وسرعتهم إلى نبذ المخـالفين والى إشاعة التشيع والسباب[12].

الاسباب الخاصة بكل علم: لما فرغ ابن عاشور من ذكر الأسباب العامة التـي أْدت إلى تأخر علوم المسلمين شرع في ذكر الأْسباب الخاصة بكل علم وهي كالآتي:

أسباب تأخر علم التفسير: يعتبر التفسير من العلوم التي تعد من الإسـهامات عند المسلمين بل إن الكثير من العلوم تعتبر مصدرا لها مثل الفقه وأصول الفقه.... الخ لذلك كان تأخره سببا في تأخرها ومن دواعي تراجع علم التفسير نذكر: الولـع بالتوفيق والنقل اتقاء للغلط الذي عظموا أمره في القرآن حتى قيل (خطـؤه كفـر) منعا للعامة من أن نتطرق إليه من غير أهمية.

الضعف في النقد والبلاغة وقليل من يحيط بعلم اللغة إلا من أمثال الزمخشـري ابن عطية ....الخ.

التراجع في علوم كان تظن أنها لا تربطها صلة بالقرآن مثل التـاريخ وفلسـفة العمران والأْديان والسياسة.

خروج بعض التفاسير عن ذكر العلوم التي لها تعلق بفهم الأْية إلى المسائل من علوم متنوعة ضعيفة المناسبة بموضوع تفسير تلك الآية.

أسباب تأخر علم الحديث: يراد بعلم الحديث الكلام المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول وعمل ومن أسباب تأخر هذا العلم ما يلي:

اغترار الناس بحسن أحوال الرواة من غير نقد فوقعوا في مصيبة الذهول فمـا سلموا من التدليس والوضع ....

قصور الهمم عن مزاولة علم الحديث مزاولة نقد وضبط فـاقتنعوا مـن صـفة المحدث بسرد الحديث أو حفظ كثير منه وربما كان مخلوطا صحيحه بضعيفه، ثـم الاقتناع في ذلك بالإجازة فيها ما لم يقرأه الشيخ[13].

أسباب تأخر علم الفقه وأصوله: يرى ابن عاشور اتقاء الفقهاء في الكثير من الأحيان كان باعثا منهم على تراجع الفقه باتقائهم في الأحكام، بأن يقول أحدهم هذا حلال، و هذا حرام فيعدلون عن ذلك إلى نحو قولهم لابأس به أو مكروه، بالإضافة إلى التعصب إلى المذاهب، و كذلك إبطال النظر في الترجيح والتعليل، واتهام من يعتمد ذلك على أنه يؤسس لمذهب جديد، أو إحداث قول ثابت، بالإضافة إلى إهمال النظر إلى مقاصد الشريعة من أحكامها، و أما أصوله فإن من أهم أسباب تأخره أن قواعد الأصول دونت بعد أن دون الفقه فوجد بين قواعده و بين الفروع الكثير من التعارضات، كما تضمن هذا العلم مسائل لا من وراء الخوض فيها مثل مسألة هل تعتبر النبي بشرع قبل نبوته .... والتي أعتبر الشاطبي وغيره الخوض فيها من العبث كما لا ننسى أن أهل هذا الفن لم يدون فيه مقاصد الشريعة، كما نص على ذلك ابن عاشور، ضف إلى ذلك غلق باب الاجتهاد وتحجير النظر الذي حط من قيمة علم الأصول عند طالبيه.

أسباب ترجع علم اللغة العربية: ومن هذه الأسباب نذكر:

اخلال القواميس اللغوية: فتجد القاموس الواحد يضم الكثير من المعاني المختلفة للفظة الواحدة أغلبها من الاستعمالات المجازية، وقد حاول الزمخشري تدارك هذه الظاهرة فوقع (أساس البلاغة)، وهذا ما يجعل الكثير يزهد في التعرف على لغته.

-سوء التعليم وطرقه والعناية بمناهج تعليم اللغة، وتطويرها وعدم التشجيع على تعليميها.

أسباب تراجع علم المنطق:

1- سوء الترجمة والغفلة على التطبيق على أسلوب العربية؛ كونه علما منقولا.

2- فراغ بعض مسائله وشغورها من التمرين[14].

أسباب تراجع علم التاريخ: ويقصد ابن عاشور علم التاريخ الزمن الذي ألفت فيه الكتب العربية، وقد كان من أسباب تراجع هذا العلم ما يلي:

1- حداثة المسلمين بعهد السياسة، ولم يكن لهم بها سبق سابق.

2- أثر الاسطورات القديمة الخرافية، والتي أستورد من اليونان على تاريخنا والتي يبنغي التنقيب على شوائبها وأكاذيبها.

3- التعصبات والأغراض الشخصيات من وراء تدوين التاريخ، مما جعله يفتقد الى الموضوعية.

4- سوء المأخذ وفساد الاستنتاج[15].

الخاتمــــة: وفي الأْخير من خلال هذه الأسطر الوجيزة نخلص إلى جملة من النقاط وهي:

1- التعليم ضرورة من ضرورات الحضارة.

2- تعتبر جهود العلامة الطاهر بن عاشور من خلال كتابه ألـيس الصـبح بقريب من أهم الأفكار التي تناولت التعليم الاسلامي بدقة، محاولة كشـف عيبويه وتقدير الحلول اللازمة لسد ثغراته.

3- تراجع التعليم من تراجع السياسة، ومن انعدام المراقبة والاهتمام من السلطة العليا.

4- لا يمكن أن يتحقق الإصلاح التعليمي ما لم نقف على العقبات، ونحاول سد الثغرات التي تؤدي إلى التراجع.

الإحالات:

[1].متابعات سياسية: داء الأمم.. والسياسة والأخلاق – موقع المسلم

[2] محمد بن طرفان الفارابي، تحصيل السعادة، المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1 .2011م.ص 49

[3] محمد باسم محمد، نظريات التعلم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1. 2007. ص42.

[4]محمد الطاهر بن عاشور، اليس الصبح قريب، دار السلام للطباعة والنشر ط1 سنة 2000م . 1428 ص 12

[5] المرجع نفسه ص 10

[6] المرجع نفسه ص 9

[7] الطاهر بن عاشور اليس الصبح بقريب، المرجع السابق. ص 8.

[8] الطاهر بن عاشور، اليس الصبح بقريب، المرجع السابق ص 108.

[9]عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، لبنان، 2009، ص 458.

[10] المرجع السابق , ص 464 .

[11]–محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، المرجع السابق، ص152.

[12]–محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، المرجع السابق، ص159–160.

[13]–محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، المرجع السابق، ص170.

[14]–محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، المرجع السابق، ص195.

[15]—المرجع نفسه، ص175.

جهود الجزائريين في صناعة المعاجم التربوية

- "قاموس التربية الحديث" أنموذجا-

د. جميلة روقاب♥

ج. الشلف الجزائر

تاريخ الإرسال: 15-02-2018 تاريخ القبول: 24-06-2018

الملخص: يروم هذا البحث كشف إسهامات الباحثين الجزائريين في صناعة المعاجم المتخصصة؛ من خلال رصد جهود بدر الدين بن تريدي في مجال وضع المعاجم التربوية، انطلاقا من مصنفه "قاموس التربية الحديث (عربي- إنجليزي- فرنسيي) الذي يعتبر- حسب واضعه- أول معجم تربوي متخصص في الجزائر مما مكّن صاحبه من إحراز جائزة اللغة العربية لعام 2010، اشتمل المعجم على 376 مصطلحاً تتعلق بمجالات معرفية ذات صلة وثيقة بحقل التربية، على غرار: البيداغوجيا، والتعليميات والتقييم، والمناهج، والكتاب المدرسي، وعلم النّفس، وعلم الامتحانات، وغيرها من العلوم.

وستتم معالجة هذا القاموس من خلال بيان عناصر مقدمته، وتوضيح أهدافه المعرفية، وتحديد طرائق وضع رصيده المصطلحي، وكشف مصادر جمعه والآليات المنتهجة في وضعه؛ سواء تعلق الأمر بطريقة الترتيب، وأنماط التعريف أم نظام الإحالة، ومختلف الملاحق التي ذُيل بها.

♥ d.rougab@univ-chlef.dz

rougab22@yahoo.fr

الكلمات المفتاحية: الصناعة المعجمية؛ اللغويين الجزائـــريين؛ علـــوم التربيـــة آليات الوضع؛ أسس الجمع.

Abstract: This research aims to uncover the contributions of Algerian researchers in specialized dictionaries industry by monitoring Badr eddine ben Tridi efforts want to develop educational, dictionaries from classified dictionary of modern education (Arabic-English-Arabic), which is considered as the first educational dictionary bearing specializes in Algeria, which enabled her to make Arabic language Award for 2010, including a lexicon on terms 376 knowledge in areas relevant to the field of education, as : Pedagogy, didactic, assessment, curriculum, textbook, psychology, and science exams, and other sciences. This dictionary will be processed by elements of his introduction, clarifying its objectives and cognitive modalities put the terminological tally, disclosed Friday, sources and mechanisms in place, whether it comes to ranking method, patterns, referral system, and various supplements that tail.

Résumé : Cette recherche vise à découvrir les contributions des chercheurs algériens dans l'industrie des dictionnaires spécialisés en surveillant Badruddin ben Tridi efforts veulent développer l'éducation, dictionnaires dictionnaire classées de l'éducation moderne (arabe-anglais-arabe), qui est considérée comme le premier roulement dictionnaire pédagogique se spécialise en Algérie, qui lui a permis de faire de la langue arabe pour 2010, y compris un lexique sur les termes 376 savoirs dans des domaines pertinents au domaine de l'éducation, comme : Examens pédagogie, didactiques, évaluation, programme, manuel, psychologie et sciences et autres sciences. Ce dictionnaire sera traité par des éléments de son introduction, clarifier ses objectifs et modalités cognitives mettent la concordance terminologique, divulguée vendredi, sources et mécanismes mis en place, si il s'agit de la méthode de classement, patrons, système d'aiguillage et divers compléments que de queue.

مقدمة: لقد شهد العالم في الآونة الأخيرة حركة نشيطة وفعالة في مراجعة المصطلحات وتحديثها في مختلف أطوار التعليم التي تسبق التعليم العالي، وهي نتيجة حتميّة للتغيرات التي مسّت مختلف جوانب حياة الإنسان، الاجتماعية، الثقافية الاقتصادية، ناهيك عن الانفجار المعرفي السريع في جميع المجالات، ورواج استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ظلّ الثورة الرقمية على نطاق أوسع في مختلف الميادين.

ولكون الجزائر جزءا لا يتجزأ من هذا العالم بات من الضروري ترجمة المصطلحات اللغوية والعلمية الجديدة، وتحديثها لكي تصبح مسايرة لتلك التطورات التي مسّت حياة أفراد المجتمع بأسره، ولذلك أصبحت الصناعة المعجمية في ظل علم المصطلح تشكل مشروع مجتمع لغوي بكلّ أبعاده تؤثر فيه وتتأثّر به مختلف القطاعات المعرفية، خاصة في مجال بيداغوجيا التربية والتعليم.

وباعتبار المعجم سجلاً حافظا للغة، ويحمل الرصيد المعرفي للغة التلميذ في مختلف مستوياته التعليمية سنتعرض إلى معالجة عناصر هذا المصنّف "قاموس التربية الحديث" ليتم من خلال نتائج الدراسة الحكم على مدى مسايرة القاموس لما يتطلبه الواقع الاستعمالي التواصلي الخاص بهذا القطاع المعرفي المتميّز في بلادنا وبخاصة ونحن نشهد إصلاح المنظومة التربوية تسير إلى الأمام بخطى حثيثة، وقد علقت بها بعض النواقص والعثرات.

وقد اخترت المصطلحات الخاصة بالتربية بالنظر إلى التطوّر الكبير الحاصل والمستمر في هذا القطاع من ناحية، وبالنظر إلى التداول المكثف لمصطلحات هذا الميدان التعليمي العملي، وذيوعها من قبل السواد الأعظم من الناس، وفي كثير من المقامات التواصلية من ناحية أخرى.

1–قاموس التربية الحديث: لمحة تعريفية:

أ–المعجم: هو قاموس لغوي متخصص ثلاثي اللغة (عربي–إنجليزي–فرنسي) لغة المدخل هي العربية، وهذا يعني أنّه يعين القراء العرب الذين يرغبون معرفة معنى المصطلحات العلمية العربية المتخصصة، أو الباحثين الذين يبتغون ترجمة بعض المصطلحات العربية إلى اللغتين الأجنبيتين، يقع في صفحة اشتمل المعجم على ما يناهز 376 مصطلحاً تتعلق بمجالات معرفية ذات صلة وثيقة بحقل التربية، على غرار: البيداغوجيا، والتعليميات، والتقييم، والمناهج، والكتاب المدرسي، وعلم النّفس وعلم الامتحانات، وغيرها من العلوم.

وقد اشتمل القاموس على مقدمة خاصة أسماها قاموس التربية الحديث كانت أشبه بالتصدير، ثمّ لم يتبعها بالرموز والمصطلحات التي غالبا ما تحتويها المعاجم بل أعقبها بالإهداء، ففهرس مواد القاموس، ثمّ جاء المتن القاموسي الذي يمثل الحجم الأكبر من المعجم، وأعقبه بكشّافين للمصطلحات أو بالأحرى مسردين للمصطلحات باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وفي الأخير نجده يضع ثبتا للمراجع المعتمدة.

ب–الواضع: ألفه الأستاذ بدر الدين بن تريدي، وهو من مواليد: 24 اكتوبر 1947 بقلعة بني عباس بولاية سطيف، وقد اشتغل بالتعليم بمختلف مراحله إلى أن أصبح أستاذا باحثا في علوم التربية، وهو حائز على عدّة شهادات في مجال تخصصه، منها شهادة في تعليمية اللغات من جامعة قرونوبل، ديبلوم حول منهجية التعلم وفق المنهج البنائي من جامعة ليون بفرنسا، وشهادة عن مهارة تصميم الكتاب المدرسي وتأليفه من جامعة الكيبك بكندا، وشهادات تخصص نالها في أعقاب دورات تدريبية حول بناء المناهج الدراسية وتقييمها، وله العديد من الإسهامات في الكتاب المدرسي والكتاب الداعم (الشبه المدرسي) وفي الثقافة العامة، ممّا أهله للمشاركة في جائزة المجلس الأعلى للغة العربية لعام 2010م

ويعتبر- حسب واضعه- أول معجم تربوي متخصص في الجزائـــر، ممـــا مكّـــن صاحبه من إحراز المرتبة الثانية.

ج-أهمية المعجم: جعل المصطلح مفتاح العلم فهو أبجدية التواصل المعرفـــي" ونقطة الضوء الوحيدة التي تضيء النص حينما تتشابك خيوط الظلام، بدونه يغـــدو الفكر كرجل أعمى في حجرة مظلمة يبحث عن قطّـــة ســـوداء لا وجـــود لهـــا"[1]. فالحديث عن معرفة ما بمعزل عن مصطلحاتها هو ضياع تامّ للمضامين المعرفيـــة والعلمية ويعدّ ضربا من التشويه لا يتغاضى عنه، وهذا يعني أنّ اللغة الاصطلاحية من شأنها أن تفقد فاعليتها خارج ذلك الاختصاص وبالتالي فهي لغة نخبوية خاصة لا داعي لاستعمالها مع عامة الناس الذين يجهلونها- وهذا هو شأن قاموس التربية الحديث وما ضمّه من مصطلحات تتعلق بعلوم كثيرة- لأنّ التعامل العـــامي مـــع المصطلح كالكلمة العادية لا جدوى منه، وفي هذا الصدد يقول **التهانوي** :"إنّ لكـــلّ علم اصطلاحا خاصّا به إذا لم يعلم بذلك لا تيسّر للشارع فيه الاهتداء إليـــه ســـبيلا وإلى انفهامه دليلا"[2].

2-دراسة تحليلية نقدية لقاموس التربية الحديث: أدوات بحثـــه، ومـــن تلـــك الخطوات الرئيسة انتقاء مصطلحات معجمه وتحديدها تحديدا دقيقا؛ لأنّه ما من شكّ أنّ تثبيت المصطلحات العلمية وضبط مفاهيمها، وتدقيق معانيهـــا لـــدى المتلقـــي العربي لحاجة ملحة، من شأنها تحقيق التواصل بين أهل هذا العلم، ودفـــع عجلـــة البحث العلمي في هذا الاختصاص قدما للحاق بالركب الحضاري المتطوّر.

ولقد تناول قاموس التربية الحديث - كما أشرنا سابقا-ما يقارب 376 مصطلحا فأدّت وفرة هذه المصطلحات إلى تصنيفها وفق حقول علمية متخصصة، وهدفنا في ذلك ليس الإنقاص من قيمة المعجم، بل سنبيّن إلى أيّ مدى ساهم صاحب المعجـــم في إثراء مصطلحاته لحقول التخصّص ذات الصـــلة بالتربيـــة والتعلـــيم، ومـــدى استيفائها الشروط والمبادئ المصطلحية مع مراعاة ضوابط الصناعة المعجمية.

أ–مقدمة القاموس: استهلّ بدر الدين بن تريدي" قــاموس التربيــة الحــديث " بمقدمة جاءت في حدود صفحتين، وقد تمّ التّعرّض فيها أوّلا إلى جملة من النقــاط الأساسية في الصناعة المعجمية تتمثّل إحداها في إشارته إلى الغرض من التــأليف حيث يقول:" وهذا يجعلنا ندرك أنّ هذا القاموس ليس ثبتا للمصــطلحات التربويــة فقط وإنّما هو عبارة عن مدوّنة للتربية تشتمل على معطيات معرفية متنوعة هــي أساس الثقافة التربوية. ومن ثمّ فهو – كما نراه–أداة للتكوين من جهــة، ووســيلة عمل من جهة أخرى، فهو سلاح المربّي والعدّة التي لا غنى له عنها"[3].

ويبدو بأنّه من المفيد التزوّد بالثقافة التربوية بمعطياتها ومفاهيمها المعرفية التي باتت أداة لتكوين الكثير من المربّين والمعلمين، ولكنّ المميّز هنا هو وسيلة عمــل هذه المدونة التربوية التي تدفع حاجة المستعمل اللغوية والمعرفية إلى اللجوء إلــى القواميس بصفة دائمة ومتكرّرة. أمّا قوله: "فهو سلاح المربّي والعدّة التي لا غنــى له عنها" فيعكس هذا القول مدى مسايرة التأليف المعجمي في الثقافــة الجزائريــة العربية التطوّرات المعرفية الكبيرة الحاصلة في مجال التربية.

وفي سياق الحديث عن المنهجية المعتمدة في وضع المداخل نبّه المؤلف قائلا: "عرض المصطلح بالعربية والفرنسية والإنجليزيــة؛ تقــديم تعريــف أو تعــريفين أو أكثر لكلّ مصطلح، مع العلم أنّ كلّ تعريف فيه متبوع باسم صاحب التعريــف أو المصدر الذي أُخذ منه، مع ملاحظة أنّ التعاريف التي لا يرد عقبها اسم المؤلف أو المصدر من اقتراح صاحب القاموس؛ اتباع معظم التعاريف ببيانات أو شــروح أو تعاليق أو أمثلة قد تطول أو تقصر[4]".

ويتضمّن هذا التنبيه إشارة إلى أنّ هناك كثيرا من القواميس الثلاثية اللغة التــي لا تعدو أن تكون سوى ترجمات مباشرة للقواميس الأجنبية، بحيث يكتفي واضــعها بذكر المقابلات العربية فقط، والحقّ انّ مثل هذه القواميس المترجمة إلى العربية لا تظهر شخصية مؤلفها، ولا منهجيته في التأليف، فهي لا تنطلق من الحاجة العلمية البلاغية للقارئ، وإنّما هي انعكاس مباشر لمؤلف القاموس الأجنبي، وربّما يشــفع

لبدر الدين بن تريدي أنّه كان ذكيّا في عرضه تعريف المصطلحات بالإحالة إلى أصحاب التعاريف تارة أو المصادر التي أخذت منها تارة أخرى، وفي بعض الأحيان يقترحها مؤلف القاموس فتكون من اجتهاده الخاص؛ حيث ينبغي أن يستعين – واضع المعجم– في تلك الخطوة بالمراجع الأساسية في تخصصه وكذلك الموسوعات والقواميس والمعاجم المتخصصة التي تحتوي على مجموعة من المصطلحات المستخدمة في تخصص معين، وهذا ما يعكس لنا مدى الجهد الكبير الذي بذله الباحث الجزائري في رحلة جمع المادة العلمية اللازمة في بحثه، وفي سبيل ذلك قام بالاطلاع على الكتب والمعاجم العربية والأجنبية كما حاول الاستعانة بالمراجع الأجنبية في الحصول على أحدث المصطلحات والأبحاث خصوصا

ب–فهرس موادّ القاموس: هو عبارة عن مسرد عربي ويقع في حدود (26) صفحة يقابله رقم الصفحة التي ورد فيها ذلك المصطلح، كما قام المؤلف بوضع مسردين أو فهرسين للمصطلحات الأجنبية– الإنجليزية والفرنسية– مواد القاموس، علما أنّ ذلك سيتطلب من القارئ خطوتين للوصول إلى المصطلح؛ أي أنّه سوف يستشير الكشاف أو المسرد الهجائي لمعرفة الرقم التسلسلي للمصطلح العربي أوّلا، ولا ضير في ذلك، إذ لن يكلف الباحث كثيرا من الجهد والعناء، إذا كان الهدف من القاموس هدفا مزدوجا، ألا وهو التعريف بالمصطلحات العربية، ثمّ التعرف على مقابلاتها الأجنبية.

احتوى "**قاموس التربية الحديث**" على ثلاثة مداخل الأوّل كان بالعربية والثاني بالفرنسية والثالث بالإنجليزية مرتبين بحسب الألفبائية العربية والأجنبية، شغلت أكثر من 346 صفحة من الحجم الكبير، ويتجلّى من خلال هذا العدد أنّ قاموس بدر الدين بن تريدي هو خير دليل وظيفي للمربّين والمتهمين بالقطاع، إذ يضمّ (658) مصطلحا– بدلا عن (376) مصطلحا كما هو مشار له في المقدمة[5]– مشفوعا بالتعريف الخاص به في ذلك المجال الذي قد يكون في البيداغوجيا أو علم

النّفس أو نظريات التعلم أو غيرها، فسعة هذا القاموس ليست سوى بمؤشر إيجابيّ يمكّن العاملين والمختصين بنسبة كبيرة العثور على الكثيــر مــن المفــاهيم التـــي يستأنس بها في وضع برامج تكوين المكوّنين والتوجيه المدرسي والتقويم التربـــوي وتأليف الكتاب المدرسي[6].

3-أسس الجمع:

أ-المصـــادر: إنّ المصادر هي مجموعة الكتب المختارة التي يرجع إليها واضع المعجم، ويتخذها سندا لوضع معجمه، وغاية هذه المصادر ضبط حدود الموضـــوع الذي يتناوله المعجم زمانا ومكانا، بالإضافة إلى توثيق المادّة التي يحتويها المعجـــم ففي نطاقها تدرس المظان التي يرجع إليها المعجمي لجمع مادته المعجميـــة التـــي يريد إثباتها في معجمه[7]، وهذه المصادر متنوعة بين المعاجم والمصـــادر العربيـــة والأجنبية والملاحظ لمتن هذا القاموس وجود كتابة أجزاء كثيرة مـــن تعريفـــات مصطلحاته باللغتين الفرنسية والانجليزية، ومن بـــين هـــذه المعـــاجم والمصـــادر الأجنبية التي اعتمدها القاموسي:

Dictionnaire actuel de l’éducation

Dictionnaire de l’évaluation et de la recherche en éducation

وبعد قراءة أولية لهذه المصادر يمكن إجمال المنهج الذي اتبعه المؤلـــف فـــي تعامله مع مصادر مدونته في النقاط التالية:

- يورد اسم الكاتب أو الكتاب الذي ينقل ويترجم عنه في معظم المواضع، فمن مواضـــع ذكـــر الكتـــاب قولـــه فـــي تعريـــف مصـــطلح العصـــامية-self culture /instruction Autodidaxie "هي الحالة التي يكون فيها الشخص مربيّ نفسِه، بتخطيط تعلُّمه بنفسه"[8](Dictionnaire actuel de l’éducation)

ومن مواضع ذكر المؤلف دون الإشارة إلى كتابه في مصطلح المسعى الفكري (Démarche intellectuelle) "مسار ذهنيّ يفضيربوساطته شخص من الأشخاص

انطلاقا من وضع محدد، إلى وضع جديد، أو إلى ناتج كان يترقبه أو يُنتظر منـــه" (D'Hainaut)[9].

– يكتفي بن تريدي بذكر اسم المصدر أو مؤلفه أو هما معا، ويغفل عن شـــيء مهمّ للغاية ألا وهو رقم الصفحة أو الجزء.

– لا ينقل صاحب القاموس في مصطلحات كثيرة من مصـــدر واحـــد، وإنّمـــا يحاول أن يترجم ما في عدّة مصادر أجنبية ثمّ يحيل مستعمل القاموس إليها، ففـــي مصطلح التقنية Technique Technique

" مجموعة إجراءات منظمة جرى ضبطها بشكل علميّ، تُستخدم في التحريـــات وتحويل الطبيعة" (Robertعن De Landsheere G .)[10].

– في بعض المواضع يعرّف بن تريدي المصطلح في مجال ما، وبعدها ينقـــل من أحد مصادره تعريفا هو التعريف الذي أتى به نفسه، وذلك من قبيل الاستشـــهاد على دقة التعريف، ولتقديم مزيد من التفاصيل الموثقة من مصادره حول تعريـــف المصطلح كما نجده يحرص على توجيه مستخدم القاموس هذا للاستزادة في فهـــم مصطلح معيّن أو قضية معينة إلى أحد المصادر المعتمد عليها، وقد تكرر معه ذلك كثيرا، فنلفيه يستطرد ويتوسع في الشرح والتفسير أكثر فأكثر كمـــا هـــو الحـــال لمصطلح التربية (Education) حيث يقول: "تأثير جيل على الأطفال والشبّان أو الراشدين من أجل جعلهم أفرادا مندمجين فـــي مجتمـــع مـــا" (Dictionnaire de pédagogie) ...وهي: "تنمية الشخصية البشرية الاجتماعية إلى أقصـــى درجـــة تسمح بها إمكاناتها واستعداداتها بحيث تصبح شخصية مبدعة خلاّقة منتجة متطوّرة لذاتها ولمجتمعها وبيئتها من حولها" (يوسف إبراهيم نبراوي)

ثمّ يذكر تعاريف أخرى مقتبسة من مصادر أجنبية (كتبا ومعاجم)، ويقدم للقارئ نبذة تاريخية عن ظهور مصطلح التربية وغايتها، مشيرا أيضـــا لأهـــمّ وظائفهـــا

وإسهاماتها في تنمية التراث الحضاري. بينما في مواضع أخرى لا نجد ذلك في كثير من المصطلحات التي وظفها كمداخل لقاموسه الخاصّ

على الرغم من غلبة الترجمة؛ أي (النقل من لغة أجنبية إلى العربية) من المصادر الأجنبية المتنوعة، فغنّ ذلك لم يقلل من مكانة القاموس الذي سيبقى له فضل الجمع والترتيب، وهذا عمل في حدّ ذاته لا تكفيه قدرة باحث واحد كما أنّ العمل المعجمي في المصطلحات يتطلب ذلك، فلا بدّ أن يعتمد المعجمي على مفاهيم المصطلحات التي يوردها أصحاب العلوم، وأن يجمع تعريفاتها من مصادرها ومعاجمها كما وجدت حتّى لا تختلط وتختلف مع بعضها، فيزيد بذلك من غموض مصطلح العلم بدل تفسيره وتبيينه.

إنّ دراسة مصادر قاموس التربية الحديث أكّدت لنا أنّ بن تريدي كان مؤلّفا معجميّا عمل على جمع المصطلحات، وتعريفها من مصادرها التي اختارها ورآها مناسبة لقاموسه المختص، فهو يدوّن المصطلحات التي وضعها غيره، ولم يكن مصطلحيّا يعمل على وضع مصطلحات جديدة لعلوم التربية.

وبخصوص المراجع المعتمدة، فقد كانت على ثلاثة أنواع منها معاجم عامة ميسرة الترتيب والتأليف مثل: لاروس المعجم العربي الحديث، والمعجم الوسيط

ومنها معاجم متخصّصة بمصطلح علم من العلوم، نحو:(dictionnaire actuel de l’éducation) ، أو كتبا لغوية والملاحظ أنّها متباينة في محتوياتها نحو: التدريس والتعلم الأسس النظرية والاستراتيجيات والفاعلية لجابر عبد الحميد، ومحاضرات في علم النّفس اللغوي لحنفي بن عيسى، كما أنّ المميّز فيها وجود مراجع أجنبية متنوّعة على غرار:(cours de linguistique générale de saussure)، (élément de linguistique générale André Martinet) وأخرى مصادر عربية مثل: الفهرست لابن النديم، والمقدمة لابن خلدون، وهذا ما ينعكس على طبيعة المادة المشكّلة لهذا القاموس التي جعلت منه مرجعا يستفيد منه المربّون في مجال التربية وعلومها الحديثة.

ب-المجالات المعرفية: تنوعت مجالات القاموس المعرفية، حيث تجاوزت العشرة منها: البيداغوجية، والتعليمية، والتقييم، المناهج، الكتاب المدرسي، وذات صلة بعلم النّفس وعلم النّفس المعرفي، التكوين، وعلم الاختبارات، فلسفة، دين.

المجال	عدد المصطلحات الواردة في القاموس	العدد الإجمالي	النسبة المئوية
البيداغوجيا	134	658	% 19.47
التعليميات	92	658	13.37%
علم النّفس	68	658	9.88%
المناهج	132	658	19.18%
التقويم	61	658	8.86%
علم النّفس المعرفي	57	658	8.28%
التكوين	38	658	5.52%
الامتحانات	39	658	5.66%
الكتاب المدرسي	27	658	3.92%
الفلسفة	25	658	%3.63
الدين	15	658	%2.18

نستنتج أنّ مصطلحات مجالات القاموس متفاوتة النسب فيما بينها غير أنّ **مصطلحات البيداغوجيا** كانت الأكثر حضورا في هذا القاموس بنسبة مئوية قاربت العشرين، تلتها **مصطلحات التعليمية حيث** تمّ توظيف مجال التعليميات في قاموس التربية الحديث بما يزيد عن 54 كلمة، مقسّمة بين مصطلحات في

التعليمية، وبين ألفاظ أفعال في الغالب مشتقة من المصطلحات توظّف بمعنى خاصّ في هذا المجال المعرفي، وقد أعاننا في إحصاء بعض مصطلحات نظريات التعلم وجود إحالات لمصادر تعاريف المصطلحات موضوعة بين قوسين، تالية للمدخل المعجمي العربي وهي مجموعة في الجدول أعلاه، ومرفقة بمقابلاتها الأجنبية وبتعريفاتها.

أمّا بخصوص **مصطلحات التقييم (التقويم)** نقول في مدارسنا الجزائرية نستخدم مصطلحين متداولين بكثرة لإصدار الأحكام هما: (التقييم والتقويم) ويعتبران عنصران أساسيان في الفعل التعليمي، وأصبحت العادة عند المعلم ربط العلامة بالتقويم حتّى صار المتعلّم متحمسا للنقطة أكثر من النشاط ذاته، وأصبحت النقاط عند الكثير منهم أداة ضبط –التشجيع أو العقوبة–الأمر الذي أدّى بالمتعلمين رفض الكشف عن ضعفهم، واللجوء إلى وسائل غير مشروعة كالغشّ والنقل على سبيل المثال[11].

وقد وردت بالقاموس العديد من هذه المصطلحات، ونذكر منها: الاختبار–الامتحان–الاستجواب–الفرض–القدرات–المعارف–معاينة المهارات والأداءات–التقويم المهاري–التقويم المعرفي–التقويم المبدئي–الختامي، التقويم التربوي

– **مصطلحات المناهج:** من نماذجها البطاقة الفنيّة–تحديد الأهداف–المحتوى–الطريقة–الوسيلة–النتيجة، وضعيات التعلم

– **مصطلحات الكتاب المدرسي: ومنها:** الوحدة التعليمية–المادة الدراسية–القراءة–الكتابة–الوضعية الإدماجية–تذليل الصعوبات–الرصيد اللغوي–الاتساق والانسجام النصي–التقصيية–العرض–المشروع

– **مصطلحات علم النّفس: من أمثلتها:** سلوك، الاضطراب، الشخصية، الفرد الحرية، الاستعداد والاستيعاب، الذكاء، النرجسية...الخ

– **مصطلحات علم النّفس المعرفي: نحو:** معالجة، استرجاع، الصراع والتنافس الذاكرة، العصامية...الخ

- **مصطلحات التكوين:** يهدف التكوين إلى تزويد المعلمين والأساتذة بالمعارف الأكاديمية المستجدة والمتعلقة بمواد تخصصهم، وكذا تمكينهم من المهارات المهنية وتعزيزها لديهم من خلال مسايرة العصر بالاطلاع على المستجدات التربوية، والتمكن منها وبالتالي تمكينهم من مسايرة التغيرات العلمية والتكنولوجية والإصلاحات التربوية ومعرفة مدى متطلبات المعلم والمتعلم لتطوير الأداء التربوي والتحصيل الدراسي[12] لهذا الغرض كان قاموس بن تريدي حافلا بمصطلحات التكوين، ومن ضمنها: التدرج التمهين، التحفيز، التكوين الذاتي(دعم وتعزيز)، التكوين الذاتي، التقويم العقلاني

-**مصطلحات علم الامتحانات نحو:** حل مشاكل، التفكير الإبداعي، التساؤلات المنهجية، **العلامة...الخ**

- **مصطلحات الفلسفة: مثل:** المنطق، الفلسفة، الاستدلال، المعرفة، الملكة الوجدان، الإدراك...الخ

-**مصطلحات الدين: منها على سبيل المثال:** التربية الإسلامية، العقيدة، الشريعة الصدق، القرآن الكريم، القراءات السبع وهي الأقل نسبة في القاموس.

4-آليات الوضع: هي دراسة لمداخل المعجم عن طريق معالجة المنهج المعتمد في ترتيبها وتصنيفها، ويتخذ الترتيب أنماطا ثلاثة هي المعمول بها في الصناعة المعجمية، نوردها على النحو التالي:

أ-الترتيب الألفبائي: أحد الأنواع الثلاثة للترتيب الهجائي: الأبجدي الألفبائي الصوتي[13]، ويقتضي هذا النوع ترتيب المداخل المصطلحية لحروفها ألفبائيّا عربيّا إذا كانت مداخل المعجم المختص باللغة العربية، أو أجنبيّا إذا كانت مداخلة بتلك اللغة الأجنبية.

ب-الترتيب الموضوعي: ومعناه ترتيب المداخل وفق المجالات الدلالية التي تنتمي إليها، "كما يمكن أن يختصّ المعجم بموضوع واحد كالفرس أو السيف"[14]

مع ترتيب مصطلحات كلّ حقل ترتيبا ألفبائيّا، ويساعد هذا التصنيف على فهم المصطلح؛ لأنّه يورده داخل المجال المعرفي الذي ينتمي إليه، كما يمنع من غموض المصطلح إذا كان مشتركا لفظيّا مستخدما في أكثر من حقل معرفي[15].

ج–الترتيب المفهومي: يعتبر أحدث أنواع الترتيب في المعاجم المتخصصة ويقوم على هذا النوع تصنيف المصطلحات وفق ترتيب خاضع للعلاقات المنطقية والوجودية التي تتحكّم في البناء العام للنسق المصطلحي، وذلك من خلال اعتماد علاقة النوع بالجنس، وعلاقة الجزء بالكل وغيرها...فلا تظهر قيمة المصطلح في صورته اللفظية أو شكله الخارجي؛ وإنّما في ما يدلّ عليه من مفهوم[16].

هذا القاموس أشبه بكشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي من حيث ترتيب المصطلحات على ما هي عليها من الصيغة، فلم يُعنى المؤلف بالجذور، بمعنى أنّ مصطلحات من قبيل: الإدماج[17]، تكوين[18]، المصنفة[19]...الخ ترد في الهمزة والتاء والميم على التوالي، ولو عُني بالجذر لوضع الإدماج في الدال بدل الهمزة والكاف بدل التاء في تكوين والصاد بدل الميم في المصنّفة، ولكنّه استبعد هذا النهج لأنّه يتعذّر في بعض الأحيان على القارئ (المتعلم) الاهتداء إلى المصطلح.

والملاحظ أنّ قاموس مصطلحات التربية الحديث المتبع للترتيب المفهومي ذيّل من قبل واضعه بكشّاف ألفبائي ضمّ جلّ المصطلحات التي كانت مرفقة بأرقام صفحاتها أو أرقام المفاهيم لتسهيل عملية البحث كما هو متوافر في معاجم متخصصة أخرى تخضع لنفس الترتيب.

ب–أنواع المداخل في القاموس: تنقسم المداخل حسب أصنافها إلى نوعين عام وآخر خاص، ووفق هذا المعيار تنقسم المعاجم إلى معاجم عامة ومتخصصة، وبما أنّ القاموس الذي نحن بصدد دراسته يعدّ بمثابة قاموس مختصّ فإنّ مداخله " تحمل مضمونا مفهوميّا ثابتا تختصّ به، فتدق حتّى تستعصي –في البحث الواحد على الأقل–على الاشتراك وتصير أحادية الدلالة قائمة بذاتها خارج السياق"[20] فلا تتغيّر

دلالتها مهما تغيّر السياق في العلم الواحد، هذه المداخل عبارة عن مصطلحات العلوم.

إذا رمنا الحديث عن أنواع المداخل من منظور آخر ألا وهو معيار البنية فتطالعنا ثلاثة أنواع في القاموس تراوحت بين البسيطة والمركبة والمعقدة. ويراد بالمداخل البسيطة "التي تظهر مجردة عن غيرها ومستقلة بنفسها صرفيّا، أمّا المركبة فهي المداخل التي تمزج فيها وحدتان لتعطي دلالة واحدة، وتتضمن هذه الأنواع المركبات كالمركب المزجي، والإضافي، والمنحوتات، والمقتطعات التي يتجاوز تركيبها عنصرين...أمّا بخصوص المركبات المعقدة فهي التي تتشابك في تشكيلها مجموعة من الوحدات والعناصر، تعطي في مجموعها دلالة واحدة وتشمل العبارات المسكوكة والمصطلحات العلمية المعقدة، والمقتطعات التي تتجاوز وحداتها الاثنين وغيرها"[21].

ج-نماذجها:

أ-المداخل البسيطة: وهي كثيرة منها (اختبار-تعلّم - تكوين-معلم-الاستبيان-الاستيعاب-الامتياز....)

ب-المداخل المركبة: وقد وردت في قاموس التربية الحديث على أربعة أنواع وهي:

1-مداخل مركبة تركيبا إضافيا: مثل (نظرية التعلم-علوم الطبيعة-رائز الذكاء-دمقرطة التعليم-تقنية البحث....)

2-مداخل مركبة من صفة وموصوف: نحو (القيمة الأداتية-العمر العقلي-الطفل المعوّق-التربية الأساسية...)

3-مداخل مركبة بالعطف: مثال ذلك السؤال والاختبار

4-مداخل مركبة بالجرّ: كما في (المقاربة عن طريق -المقاربة بالأهداف-المقاربة بالكفاءات)

ج–المداخل المعقدة: وفيها ثلاث كلمات فأكثر، نحو (الكتاب شبه المدرسي– برنامج التكوين المهني–علم اجتماع التربية–سؤال يقتضي بناء الإجابة–السؤال ذو التصحيح غير الموضوعي–رائز المكتسبات القبلية الضرورية...)[22]

د–التعريف: إنّ التعريف عند واضعي المعاجم هو "كلّ كلام يكتب عن يسار المدخل في القاموس العربي"، فوظيفته الأساسية تتجلّى في توضيح المداخل المعجمية وتمييزها، لأنّ التعريف مفتاح المفهوم وهو ثلاثة أنواع: منطقي معجمي، ومصطلحي.

ولن نقف عند معنى كلّ نوع؛ لأنّ المقام لا يسعنا بل سنكتفي فقط بتسليط الضوء على نوع التعريف المعتمد من قبل بن تريدي في قاموسه موضوع الدراسة ألا وهو التعريف المصطلحي وقد سعى واضعه إلى تحديد المصطلحات في موضعها من البنية المعرفية المناسبة، كما عمد إلى شرح معاني المفاهيم للمستعملين المختصين كالمترجمين والمختصين في الميادين التربوية، حيث ترجم المصطلحات بذكر مقابلاته وبيّن وظائفها المرجعية من خلال بيان الميادين الخاصة باستعمال المصطلحات المعرفية والمدعّمة في أحايين كثيرة بالرسوم البيانية الدالة على أصناف الأشياء ووظائفها الثانوية، وهدفه من ذلك تحقيق المقاصد العلمية في ربط المفاهيم بمصطلحاتها ضمن المجالات المحدّدة[23]، كما ضمّ هذا التعريف المصادر والمراجع المعتمدة في الوضع.

وعليه نقول عن القاموس أنّه تضمن فعلا تعاريف اشتملت شروحا مستفيضة تجاوز طولها أحيانا حدود الصفحة، ومن ذلك: الكتاب المدرسي

كما دعمت هذه الشروح بالأمثلة والجداول والمخططات زيادة في التفصيل ومن ذلك: الرسم البياني (المنحى العادي)[24]، وجداول كثيرة ومتفاوتة منها: (بطاقة مطالعة) (شبكة تقييم)، (طور نموّ الحكم الخلقي) ...الخ [25]

ه-**الترقيم:** كان استخدام قاموس مصطلحات التربية الحديث الترقيم من باب تسهيل البحث، وذلك بجعل الرقم جنبا إلى جنب مع المصطلح مهما كانت صفحته في المسارد بداية بالعربية التي جاءت في حدود 27صفحة (11-37) ومثال ذلك:

(التعلم-123)، (البيداغوجيا -89)، (المصنفة -303)، (اللعب التربوي-283) [26].

والطريقة ذاتها تتجسد في المسرد الإنجليزي يقع حدود 14 صفحة (403-416) ومثاله:

(CHILDREN LITERATURE-62) (DIDACTIC STRATEGY-129) (ANDRAGOGY-128) (WRITTEN EXPRESSION-122)[27]

وأخيرا المسرد الفرنسي الذي كان في حدود 16 صفحة (387-402)، ومثاله:

(TEST D'INTELLIGENCE- 199 activité d'apprentissage et d'enseignement-4 Système Educatif- 365 ،philosophie-252)[28]

لقد استخدم بن تريدي الترقيم في عرض مادّة قاموسه، إلاّ أنّ هذا الاستخدام غير وظيفي؛ بدليل أنّه لم يضع الأرقام المقابلة للمصطلحات في متن القاموس!

5-نقد المعجم: يكتشف المطلع على المصطلحات التي يضمها هذا القاموس أنها تغطي جميع التخصصات الفرعية التي تقع في ميدان التربية لذلك تجد مصطلحات في: المناهج وطرق التدريس، وعلم النّفس، والتعليمية، وعلم النّفس المعرفي غير أن المؤلف لم يستطع أن يخفي تحيزه للقسم الذي ينتمي إليه فاشتمل القاموس على عدد كبير من المصطلحات في مجال علوم التربية .ونفهم من حرصه على بناء قاموس متخصص أنّ المصطلحات هي بالفعل أدوات مهمة للتعبير الدقيق باللغة في المجالات التخصصية على النحو الذي يحقق التواصل السليم والفعّال بين أبناء اللغة في موضوعات العلوم والتقنيات[29]. تلك المصطلحات الواردة فيه هي التي يجب التخاطب بها أو استعمالها، أو أنها فقط هي المصطلحات

الصحيحة، لكنّها محاولة يتطلع عبرها –مؤلف القاموس–إلى الإسهام بمهنة المربي والمعلّم والارتقاء بها.

أ–الإيجابيات: في صناعة هذا القاموس المتخصص أشار بن تريدي في المقدمة إلى الفروع الثلاثة التي تفرّع منها جهده، وهو في هذا الصدد يبيّن للقارئ تلك الطرق المعتمدة في صياغة المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية، بحيث نجده يلجأ إلى توحيد أو محاولة توحيد الألفاظ والمصطلحات العربية التي تعبّر عن معنى أو مفهوم واحد، والمتمثل في قوله: "إيجاد المصطلح العربي لكلّ مفهوم تربوي متداول في الفرنسية أو الإنجليزية أو فيهما معا"[30]، ويبقى الشيء المميز في هذا القاموس هو اتباع معظم التعاريف ببيانات وشروح وتعاليق، وهي المتمثلة في: "مقتطفات من أقوال علماء ومختصين لهم وزنهم في حقل التربية على المستوى العالمي"[31]، وفي حقيقة الأمر فإنّ إيراد التعاريف بتحديدات موجزة أو مطوّلة سيخدم القارئ والمربي معا اللذيْن يجهلان المقابل الأجنبي للمصطلح العربي، وإضافة إلى ما سبق نبّه المؤلف في ختام المقدمة الموجزة إلى أنّه اعتمد أساليب أخرى في وضع المصطلحات وبخاصة التعريب والترجمة بحكم تجربته الشخصية في تعريب النصوص، يؤكد قوله:" ...فقد وجدت في العربية رحابة صدر، وبعد غور؛ فهي تسع كلّ شيء، وتهضم كلّ جديد، فإذا كان ثمة عجز أو تقصير في مجال الترجمة إلى العربية فلنبحث عن ذلك في أنفسنا وذواتنا لا في العربية.[32]" وهذا ما جعله ينشئ للقاموس مدخلين أحدهما باللغة الفرنسية والآخر باللغة الإنجليزية وضعهما في آخر الكتاب بالإضافة إلى مدخل العربية تسهيلا منه على المربي الذي يرغب في معرفة المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية.

ومما هو قمين بالذكر عن هذا القاموس التربوي المتخصص أنّنا نجد فيه بعض التصويبات في الشرح لبعض المداخل المصطلحية كاستدراكات، وهي على قلّتها إلاّ أنّ لها فائدة كبيرة لمستعمل القاموس، ومنها نذكر: (النظام العَشْرِي، ولسان التعليم واللسان الأجنبي الأوّل، وتعليم استدراكي)[33].

ب–السلبيات: يبدو من خلال ما تفيده الوقائع، أنّ هناك مجموعة من النـــواقص تحول دون الارتقاء بالصناعة المعجمية (lexicographie) العربية لإنجاز وظيفتها التعليمية بكيفية مناسبة، وإذا كان في الوسع أن نقول إنّ المعجم مثل النحو، وغيره من المباحث اللغوية، آلة تستخدم لتعليم اللغات ورصد خصائصها،[34] ويتبيّن ذلـــك في عدم حرص بن تريدي مثلا على تسمية الصيغة التي جاءت في المصطلح، فما كان منها اسم مكان، أو اسم مفعول، او اسم فاعل أو مصدرا لم يشر إلى ذلك مثل:

– بعض التعاريف موجزة لا تتعدى السطر الواحد، وبعضها تقع فـــي صـــفحة كاملة أو صفحتين أو أكثر مثال:

(الغموض، الفوج، القانون، المعنى، الموقف الإبداعي...)[35]

(التعليمية، القاموس، الكتاب المدرسي، القرآن الكريم، القيمة، التقييم، الحاجة)[36]

إن صناعة المعاجم في مجال ثنائية اللغة (عربي أجنبي–أجنبي عربي)، علـــى الرغم من كل التراكم الذي عرفته، بحاجة إلى المزيد مـــن التقنيـــة المعجماتيـــة، وتحسين أدواتها حتى أنها لا تخلو مـــن مظـــاهر التشـــويش الـــدلالي كـــالترادف والاشتراك اللفظي، وتعدد المعنى.

ومما هو قمين بالذكر أنّه قسّم القاموس إلى قسمين، خصّ الأوّل للمصـــطلحات العربية والثاني للمصطلحات الأجنبية، وقد فاق قسم المصـــطلحات العربيـــة قســـم المصطلحات الأجنبية من ناحيتي كمّ المداخل وغزارة التعريفات والشروح، إلاّ أنّ هذا لا يلغي المكانة التي تحتلها المصطلحات الأجنبية، "إذ إنّ قـــوة منزلـــة اللفـــظ الأعجمي أو ضعفها يؤثران أيّما تأثير في باب الجمع في المعجم، وفي تحديد حجم مدونته وضبط مكانته بين المعاجم الأخرى[37]. حيث مثّلـــت نســـبة مـــن مـــداخل القاموس فقد تبيّن البحث أنّ عدد المصطلحات الإنجليزية (496) مصـــطلحا مـــن أصل (658(مصطلحا عربيّا وهو العدد الإجمـــالي للمصـــطلحات الـــواردة فـــي القاموس؛ أي بنسبة 57% فتكون نسبة المصطلحات الإنجليزية فـــي حـــدود 42%

خاتمة: وصفوة القول، لعلّ هذا القاموس المتخصص في مصطلحات علوم التربيـــة الحديث يأتي كإسهام في سد النقص الحاصل في تعليم وممارسة مهنة التربية، حيث أنها تحتاج من المهتمين والمشتغلين بها من أساتذة والمكونين والمفتشين والمديرين وأعوان التربية في المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى فهم وإدراك المفـــاهيم والمصطلحات التي ترد عليهم والمفاهيم في مختلف العلوم والميادين التي تهمهم أو يعملون بها، مما يساعد على التواصل فيما بينهم خلال سنوات دراستهم، وبـــذلك يتيح لهم فتح المناقشات مع بعضهم البعض ومع أساتذتهم من خلال ما يظهر لهـــم من مصطلحات علمية وردت في هذا القاموس.

الإحالات:

[1] – عزة محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص:35.

[2] – محمد علي التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنـــان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص: المقدمة.

[3] – بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث (عربي–إنجليزي–فرنسي)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط2010م، ص:9.

[4] – بن تريدي، قاموس التربية الحديث، ص:9

[5] – ينظر: المصدر نفسه، المقدمة.

[6] – ينظر: م نفسه، ص:5.

[7] – محمد القطيطي، أسس الصياغة المعجمية في كشاف اصطلاحات الفنون، دار جرير للنشـــر والتوزيع، عمّان، الاردن، ط1، 1431هـ–2010م، ص:102.

[8] –بن تريدي، قاموس التربية الحديث، ص : 234.

[9] – المصدر نفسه، ص:301.

[10] – م ن ، ص:133.

[11] – ينظر: بن عوالي بوعلام وآخرون، المقاربة بالكفاءات، الملتقى الولائي لمديري الثانويـــات والمتاقن، مديرية التربية، سيدي بلعباس، الجزائر، الموسم 2006و2007، ص:14

[12] – ينظر: مديرية التكوين، تكوين معلمي التعليم الإبتدائي في إطار الجهاز الدائم، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، جويلية 1999م، ص:5 وما بعدها.

[13] – ينظر: عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان، بيروت، لبنـــان ط2، 1414هـ–1994م، ص:18.

[14] – ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وإجراءاتـــه العمليـــة، مكتبـــة لبنـــان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص:753.

[15] – حاج هني محمد، المعاجم اللسانية المتخصصة عند العرب المحدثين، إشراف: أحمد عـــزوز جامعة السانيا، وهران، 2012،2013م، ص: 40 (أطروحة دكتوراه).

[16] – ينظر: خالد الأشهب، المصطلح العربي–البنية والتمثيل، عالم الكتب الحديث، إربـــد الأردن ط1، 1432هـ–2011م، ص:85.

[17] – بن تريدي، قاموس التربية الحديث، ص:62.

[18] – المصدر نفسه، ص:143.

[19] – م ن، ص:303.

[20] – إبراهيم بن مراد، المصطلحية وعلم المعجم، مجلة المعجمية، تونس، العدد8، 1992م ص:11.

[21] – ينظر: حلاّم الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط1999م، ص: 84.

[22] – ينظر: بن تريدي، المصدر نفسه، الصفحات: 269، 83، 238، 208، 206، 195.

[23] – ينظر: عثمان بن طالب، علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة، الإشكالات النظرية والمنهجية ضمن تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م ص:94.

[24] – ينظر : بن تريدي، قاموس التربية الحديث، ص:346.

[25] – قاموس مصطلحات التربية الحديث، الصفحات:84، 85، 211، 229،

[26] – قاموس مصطلحات التربية الحديث، ص:17، 15، 32، 30.

[27] – ينظر المصدر نفسه، ص:406، 404، 416، 403.

[28] – ينظر: م ن، ص:401، 402، 397، 387.

[29] – ينظر: محمود فهمي حجازي، دور المصطلحات الموحدة في تعريب العلوم ونشر المعرفة مجلة اللسان العربي، المغرب، العدد47، 1999م، ص:41.

[30] – قاموس التربية الحديث، ص:10.

[31] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[32] – م ن، ص: نفسها.

[33] –ينظر: م ن، ص: 365، 282، 281، 126.

[34] – ينظر: على سبيل المثال

Gaonac'h, D. 1991, Théorie de l'apprentissage et acquisition d'une langue étrangère,CREDIF, Hatier,Didier, Paris

[35] – ينظر: قاموس مصطلحات التربية الحديث، ص: 248، 255، 259، 332، 352.

[36] – ينظر: المصدر نفسه، ص: 129،135 وما بعدها، 167 وما بعدها، 257 وما بعدها 265 وما بعدها، 270 وما بعدها.

[37] – ينظر: هلال حسين، منزلة اللفظ الأعجمي في المعجم العربي الحديث، مجلة المعجمية الجمعية المعجمية التونسية، العدد 7، تونس 1991م، ص:242.

بيبليوغرافي البحث:

1-إبراهيم بن مراد، المصطلحية وعلم المعجم، مجلة المعجمية، تونس، العدد8، 1992م

2-بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث (عربي-إنجليزي-فرنسي)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط2010م

3-بن عوالي بوعلام وآخرون، المقاربة بالكفاءات، الملتقى الولائي لمديري الثانويات والمتاقن مديرية التربية، سيدي بلعباس، الجزائر، الموسم 2006و2007

4-حاج هني محمد، المعاجم اللسانية المتخصصة عند العرب المحدثين، إشراف: أحمد عزوز جامعة السانيا، وهران، 2012،2013م، (أطروحة دكتوراه).

5-حلاّم الجيلالي، تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب دمشق ط1999م

6-خالد الأشهب، المصطلح العربي-البنية والتمثيل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 1432هـ-2011م،

7-عثمان بن طالب، علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة، الإشكالات النظرية والمنهجية ضمن تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، 1989م.

8-عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2 1414هـ-1994م

9-عزة محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.

10-علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وإجراءاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1 2008م.

11-محمد القطيطي، أسس الصياغة المعجمية في كشاف اصطلاحات الفنون، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان الاردن، ط1، 1431هـ-2010م

12-محمد علي التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 1996، ج1

13-محمود فهمي حجازي، دور المصطلحات الموحدة في تعريب العلوم ونشر المعرفة، مجلة اللسان العربي، المغرب العدد47، 1999م،

14-مديرية التكوين، تكوين معلمي التعليم الإبتدائي في إطـــار الجهـــاز الـــدائم، وزارة التربيـــة الوطنية، الجزائر، جويلية 1999م

15-هلال حسين، منزلة اللفظ الأعجمي في المعجم العربي الحديث، مجلة المعجميـــة، الجمعيـــة المعجمية التونسية العدد 7، تونس 1991م

معاجم التصحيح اللغوي في العصر الحديث

– نماذجها ومناهج معالجتها للأخطاء الشائعة–

الدكتور: حاج هني محمد♥

حسيبة بن بوعلي.الشلف

تاريخ الإرسال: 30-11-2017 **تاريخ القبول: 03-05-2018**

ملخص: يهدف هذا البحث إلى التعريف بجهود العرب المحدثين في مجال حماية اللغة العربية، وضمان تداولها بين المتكلمين فصيحة كما نطقها العرب الأقحاح وذلك من خلال وضعهم لمعاجم التصحيح اللغوي، التي تتعدد مصنفاتها وتختلف مناهجها، وتتفاوت أحجامها، وتتباين أهدافها، كل ذلك في سبيل محاربة اللحن وترسيخ التوظيف الأمثل للمفردات والتراكيب العربية في شتى أوجه الاستعمال اللغوي، مشافهة وتحريرا، انطلاقا من التعريف بالخطأ اللغوي الشائع وبيان صوابه وتدعيم ذلك بالتعليل والتمثيل، مع الاحتكام في التصويبات اللغوية للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومختلف المصادر اللغوية الأساسية التي عالجت قضية اللحن في التراث اللغوي، وجل المعاجم الرائدة التي حفظت مفردات اللسان العربي على مر العصور.

الكلمات المفتاحية: معاجم؛ التصحيح اللغوي؛ اللغة العربية؛ اللحن؛ الخطأ الشائع؛ العصر الحديث.

Abstract: This research aims to identify the modern Arabs efforts in protecting the Arabic language, in order to ensure its current and fluent use among the speakers as it was used by the eloquent Arabs, by making and developing dictionaries specialized in linguistic

♥ **mohamedhadjhenni@gmail.com**

correction. These dictionaries were classified differently in terms of their methods, their sizes, their approaches, and their objectives, intending to reduce the solecism, to embed and stabilize the suitable correct use of the Arabic vocabulary and syntax, in both spoken and written codes, by introducing the common linguistic errors, clarifying and stating its correction, supporting that by reasons and representation, depending on the Holy Quran, the Hadith, and other various basic linguistic sources which focused on the subject of solecism in our linguistic heritage; in addition to the most of the dictionaries that have preserved the Arabic vocabulary throughout the centuries.

Keywords: Dictionaries; linguistic correction; Arabic language, Solecism, common mistake; Modern Era.

مقدمة: لقد شاعت الأخطاء في الأداء اللغوي لدى العرب المحدثين، واستفحل خطرها مع تطور وسائل الإعلام، فعوض أن تكون اللغة وسيلة التعبير عن شتى الأغراض بطلاقة وفق ما تركه السابقون من قواعد مستقرأة من كلام العرب الأقحاح نحتذيها في الأداء اللغوي، صارت ركيكة غير خاضعة لتلك القوانين؛ وهذا ما شوه صورتها المشرقة، وطمس معالم حيويتها، وكادت تضيع هويتنا اللغوية وأمام هذا الوضع المزري انبرى عدد من اللغويين المحدثين لمعالجة هذه الإشكالية؛ من خلال قيامهم بتحديد الأخطاء الشائعة في التواصل اللغوي، مع بيان مظاهرها، وتعيين أسبابها، وضبط معايير التخطئة في الاستعمال، في مقابل تعيين معايير الصواب ولم تبق محاولاتهم تعليلا نظريا بحتا، بل جعلوها إجراءً تطبيقيا تجسد في معاجم عالجت قضية التصحيح اللغوي، والتي جمعت في متونها أهم الأخطاء الشائعة مقرونة بتصحيحاتها، مستندة في ذلك لأمهات المصادر اللغوية كل ذلك في سبيل حماية اللغة العربية من الخطأ، الذي يشكل شيوعه انحرافا عن قواعد العربية، وإخلالا بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، بل وحتى الأسلوبية منها.

- **معاجم التصحيح اللغوي:** اختلفت المصطلحات الدالة على معاجم التصحيح اللغوي لدى العرب المحدثين؛ فهناك من ينعتها بمعاجم الخطأ والصواب، أو معجم الأخطاء الشائعة، أو الصواب اللغوي.

ويمكن تعريفها بأنّها معاجم أحادية اللغة ترصد الأخطاء اللغوية الشائعة وتضع صوابها، مع تدعيم ذلك بشواهد وأمثلة مستقاة من مصادر متنوعة، كالقرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر العربي، ولقد وضع العرب عدة مصنفات في هذا الحقل اللغوي، سنوردها مرتبة بحسب تسلسلها التاريخي على هذا النحو:

1-معجم الأخطاء الشائعة: هو معجم يعالج الأخطاء الشائعة ويبين صوابها مع الشرح والأمثلة، يقع في حدود 362 صفحة وضعه محمد العدناني، وطبعته مكتبة لبنان ناشرون أول مرة سنة 1973م، وطبع ثانية سنة 1980م، وكانت له طبعة ثالثة عام 2008م، يتضمن المصنّف الأقسام الآتية:

- **مقدمة:** تقع في حدود 14 صفحة استهلها العدناني ببيان مصادر نصوص الكلمات/العبارات، وأدرفها بتحديد أهداف المعجم، وتوضيح دوافع تأليفه، لينتقل بعدها لضبط منهج المعالجة، وأخيرا ذيلها بقائمة المصادر الأساسية المعولة عليها في جمع المادة، والتي أوردها على هذا الترتيب: القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، أمهات المعاجم اللغوية، الشعر الجاهلي الصحيح، ما أقرته المجامع اللغوية العربية، وأمهات كتب النحو، مع التركيز على مدرستي البصرة والكوفة.

- **المعجم:** يضم 1186 مادة لغوية مرّقمة مرتبة ترتيبا ألفبائيا؛ يضع العدناني الصواب أولاً، ثم يورد الخطأ الشائع، ويتبعه بالصواب ثانية، وبعدها يذكر التعليلات المناسبة للتصويب المقترَح بناء على ما تضمنته معاجم اللغة، أو مما أقرته المجامع اللغوية، أو مما اشتملته كتب النحو، ويدعم ذلك بالشواهد اللازمة من القرآن أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر الجاهلي، وهذا ما يظهر في هذا النموذج:

(1) لم يدر أوسيم جاء أم تميم

يقولون: **لم يدر أجاء وسيمٌ أم تميم**، والصواب: **لم يدر أوسيمٌ جاء أم تميم** لأنّ همزة الاستفهام هنا هي لطلب التصوّر وهو إدراك التعيين، والتعيين هنا بين وسيم وتميم، وليس بين المجيء وتميم.

ومثله قولهم: **سواء أكان الخطيب مهندساً أم طبيباً**، والصواب: **سواء أمهندساً كان الخطيب أم طبيباً**، فالهمزة هنا للتسوية بين المهندس والطبيب، وأحدهما يجب أن يأتي بعد الهمزة مباشرة"[1].

– **دليل المعجم:** يبين فيه المؤلف الخطأ الشائع في العود الأيمن والصواب الذي خطأ في العمود الأيسر

– **مراجع المعجم:** وتتوزع على 28 صفحة، وتشتمل على أمهات المعاجم العربية، القديمة منها والحديثة بل وحتى المتخصصة، وكتب النحو، وقرارات المجامع اللغوية، ومصنّفات اللحن قديما وحديثا.

– **فهرس دليل المعجم:** يثبت فيه الواضع الباب والصفحة.

ولعل ما يمكن قوله عن هذا المعجم أنّه أول معجم عربي يتناول هذا المجال اللغوي، فهو أول من شق طريق البحث في هذا الحقل، وعلى شاكلته توالت المعاجم الأخرى، مع اختلاف طفيف بينها في الحجم، ومجال الأخطاء، ومنهج المعالجة أحيانا؛ وما عدد طبعاته إلا خير دليل على ذلك، كما يعد هذا المعجم من أهم المصادر التي اعتمدتها معاجم التصويب اللغوي التي جاءت بعده؛ إذ يكفي القارئ الاطلاع على قائمة مصادرها ومراجعها ليجد هذا المصنّف من أهم من أهمها.

وتبرز قيمة المعجم أيضا في مكانة واضعه؛ فمحمد العدناني من أبرز المتخصصين في مجال التصحيح اللغوي، إذ له بالإضافة لهذا المصنّف، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، والعديد من الكتب اللغوية، مع تميزه بدقة ضبط منهجية تصويب الأخطاء الشائعة، كما اعتمد صاحبه على قائمة ثرية من المصادر

اللغوية ناهيك عن إمكانية استغلال المعجم بسهولة من خلال الرجوع إلــى دليــل الاستعمال

كما لقي هذا المعجم شهرة واسعة في أوساط الدارسين؛ ويتجلى ذلك في الإقبال الشديد على اقتنائه، وتشجيع أعضاء المجامع اللغوية العربية له، ونيلــه استحســان كبار أدباء الضاد والنقاد؛ ونتيجة ما كتب عنه في الصحف والمجلات، وما قيل في الإذاعات العربية والأجنبية.[2]

2-معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة: هــو معجــم يعــالج الأغــلاط اللغويــة المعاصرة ويبين صوابها مع الشرح والأمثلة، وضعه محمد العدناني، طبعته مكتبة لبنان، عام 1984م، وصدرت له طبعة ثانية عام 1989م، تتــوزع مادتــه علــى 869صفحة، وهو يضم:

- **مقدمة:** تقع في 16 صفحة، استعرض فيها أهميــة معجمــه الأول "معجــم الأخطاء الشائعة" الصادر عام 1973م في ظهور هذا المصــنّف؛ والــذي اســتقى مادته من 136 مرجعا لغويا، وبعدها بيّن أهمية اللغة في تحقيق الوحدة العربيــة، وأكد على أن إصلاح اللغة هو عماد إصلاح المجتمعات، وعرّج علــى توضــيح المنهج المعتمد في التصويب، وضبط معاييره، كما اقترح ضرورة مواكبة التطــور اللغوي للتطور الحضاري، وتوسيع رقعة الفصاحة لتشمل المولّد والمعــرّب مــن المفردات المستحدثة.

- **المعجم** (أ-ي) يقع في 746 صفحة، تضم 2135 مادة لغوية، سار في بيان الأخطاء الشائعة، وتصويبها وفق منهج مصنفه الأول "معجم الأخطاء الشائعة" وهذا ما يبرزه هذا التعريف:

(2) **الآدميّ** : ويخطّئون من يقولون إنّ كلمة **الآدميّ** تعني الإنسان، لأنّهــم لــم يجدوها في كثير من المعجمات، ولكنّها صحيحة وردت في الحديث وفــي بعــض المعاجم.

أما الحديث فهو: "ما ملأ آدميّ وعاءً شرّاً من بطنٍ، حسب **الآدميّ** لُقيمات يُقمن صلبه"

وأما المعجمات فهي: المدّ، ودُوزي، وذيل أقرب المــوارد، والمعجــم الكبيــر والوسيط.

وقد تأتي **الآدميّ** نسبة إلى **آدم**"[3].

– **دليل المعجم:** يقع في 100 صفحة، يحدد فيه صفحة المادة اللغوية ورقمهــا والخطأ الشائع، وصوابه.

– **مراجع المعجم:** تتوزع على قرابة عشرين صفحة، تضم قائمة متنوعة مــن المعاجم وكتب النحو، ومصنفات اللحن، والتثقيف اللغوي.

ومن أبرز مميزات هذا القاموس أنّه يعد أول معجم عربي حاول رصد الأغلاط اللغوية المعاصرة، مستفيداً من تجربة واضعه في معالجة الأخطاء الشــائعة؛ فقــد استطاع واضعه إضافة 949 مادة جديدة على معجمه الأول، مستقياً مادته من عدد هائل من المصادر القديمة والحديثة؛ فقد وفّر على القــارئ عنــاء البحــث عــن الصواب فبفضل هذا المصنّف يتمكن المستعمِل من إيجاد صحة كلمة في أقل مــن دقيقة من الزمان، بدلاً من البحث عنها عشرات الساعات في عــدة معــاجم، هــذا بالإضافة إلى التزام العدناني بالدقة في تخريج الموضوعات، وتحريه للضبط فــي عرض المسائل اللغوية، سواء في إيراد حجج المخطئين، أم عنــد تحديــد شــواهد التصويب؛ حتى يقدم لطالب الصواب مادةً لغويةً صافيةً، مدعمّة بأكبر عــدد مــن الشواهد المنتقاة من أمهات المصادر اللغوية.

3-معجم الخطأ والصواب في العربية: هو معجم وضعه إميل يعقوب، يقع فــي حدود 383 صفحة، أصدرته دار العلم للملايين عام 1982م، وكانت له طبعة ثانية سنة 1986م، يتكون المصنّف من هذه الأقسام:

– **مقدمة:** استهلها يعقوب بالإشارة إلى أهمية التصحيح اللغوي لدى القدماء، ودوره في حماية العربية، وأبرز فوضى التخطيء في عصرنا الحديث، ثم تحدث عن أهداف هذا المعجم وغاياته، وبعدها استعرض أهم محتوياته. وينقسم المعجم إلى ثلاثة أقسام:

– **القسم الأول:** تتوزع مادته على 53 صفحة، واشتمل على ثلاثة فصول خُصّص أولها للتعريف باللحن، معناه، نشأته، وحدّد ثانيها معايير التخطيء والتصويب، وكشف ثالثها اضطراب منهجية كتب اللحن.

– **القسم الثاني: معجم التصويبات:** يقع في 211 صفحة؛ انتظمت مواده في أبواب وفق الترتيب الألفبائي، من الألف إلى الياء؛ يذكر جذر الخطأ بين قوسين تتبعه العبارة التي يُستعمل فيها، ثم يتم تحديد الأعلام المجيزين لذلك الخطأ، مع الإحالة على مصادرهم في الهامش، واستعراض حججهم، وبعدها يورد التصويب مفتتحا إياه بكلمة لكن، مع تدعيمه بالشواهد المختلفة، سواء في القرآن الكريم أم الحديث الشريف، أم الشعر العربي، أم بالاستناد إلى المعاجم العربية، قديمها وحديثها؛ وهذا ما يتجلى في هذا النموذج:

(أذن) أذِنَ لَهُ فِي السَّفَرِ وأذِنَ لَهُ بِالسَّفَرِ

يخطّئ محمد العدناني[10]، وزهدي جار الله[11]، وأسعد داغر[12]، من يقول: "أذِنَ لَهُ بالسَّفَرِ" بحجة أنّ:"أذِنَ بِالشَّيءِ" معناه: علِمَ بهِ، ومنه الآية:﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[13]، وأنّ: أذِنَ في الشَّيْءِ معناه: أباحه له.

ولكن

جاء الفعل: أذن متعدياً بالباء، وبمعنى: أباح في القرآن الكريم نفسه وفي الآية ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[14]. لذلك قُلْ: أَذِنَ لَهُ في السَّفَرِ، وأَذِنَ لَهُ بِالسَّفَرِ"[4].

– **القسم الثالث: معجم الأخطاء الشائعة:** يقع في 87 صفحة يورد فيه المــواد التي خطّأها المخطّئون، والتي لم يتمكن المؤلِّف من تصويبها؛ نحو:

الخطأ	الصواب	السبب
(إرب) مَزّقْتُ الوَحْشَ إرَبــاً إرَباً	مَزّقْتُ الوَحْشَ إرْبــاً إرْباً	لأنّ كلمة "الإرَب" معناها: الحاجة، أو العقل[5].

– **فهرس المصادر والمراجع:** واشتمل على طائفة متنوعة من المعاجم العربية وكتب اللحن والنحو.

وتتجلى أهمية هذا المعجم في اشتماله على الدراسة النظرية، والجانب التطبيقي معا؛ فقارئ المعجم بإمكانه معرفة اللحن ومعناه ونشأته، وباستطاعته أيضاً تحديــد معايير التخطيء[6] والتصويب[7] من جهة، وملاحظة تلك المعايير مجسّدة في القســم الثاني للمعجم (معجم التصويبات) من جهة أخرى، هذا بالإضافة إلى سهولة البحث لأنّ يعقوب حرص على فصل جذر الخطأ بين قوسين قبل عبارتــه بخــط ســميك بغية مساعدة القارئ على البحث السريع في المعجم؛ فأخطاء باب الضاد ترد منسّقة هكذا: (ض خ م) ضخم حجم فلان أو تضخّم، (ض غ ط) ضغطه وضــغط عليــه (ض ن ن) ضنّ به أو عليه، (ض ي ق) مضايق ومضائق[8]، ناهيك عن اعتمــاد واضعه على قائمة ثرية من المصادر القديمة والحديثة؛ شملت كل ما تناول اللحن والتصحيح اللغوي قديما وحديثا، بما في ذلك المعــاجم اللغويــة، وكتــب النحــو وقرارات المجامع اللغوية.

4–**المعجم الوجيز في الأخطاء الشائعة والإجازات اللغوية:** ألفه جودة مبــروك محمد، يضم 116 صفحة، طبعته مكتبة الآداب بالقاهرة، عام 2005م، وتم تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء هي:

- **مقدمة:** بيّن فيها المؤلف موقف اللغويين من التجديد اللغوي، وأشار أيضا إلى جهود العلماء القدماء في مجال معالجة الأخطاء اللغوية، وكشف دور كتب التصحيح في عصرنا في خلق التعصّب اللغوي، كما أكّد على أهمية المجامع اللغوية في مواكبة النهضة الحضارية بقبول المولّد من الألفاظ والمصطلحات العلمية، وبعدها تطرق لمنهجية تصنيف المعجم؛ من خلال تحديد منهجية الترتيب واعتماد قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معالجة الأخطاء الشائعة.

- **المعجم:** (أ-ي) تتوزع مادته على 102 صفحة، يذكر الواضع جذر الخطأ بين معقوفين، ويتبعهما بكلمة يقولون التي يردفها الخطأ الشائع، والقائلين به، مع الإحالة على مصادرهم في الهامش، ثم يحدد الصواب وحججه أحياناً، وهذا المثال يوضح ذلك:

" **[أثر]:** يقولون أثّر عليه، والصواب: أثّر فيه أو به[3]، وكذا: بكى من شدة التأثير الصواب: من شدة التأثّر، لأنّ التأثير مصدر الفعل أثّر، لا تأثّر "[9].

كما ينبه المعجم على الصواب الذي قيل عنه إنه خطأ، ويبين سبب ذلك ومن ذلك:

" **[عذر]:** يقولون اعتذر عن الحضور، والصواب عن عدم الحضور أو الغياب لأنّ الاعتذار عن الخطأ، وهو الغياب أو عدم الحضور، وليس عن الحضور[4] وكذا يقولون: تعذّر عن الأمر، أي امتنع عليه فعله، وعجز عنه، والصواب تعذار عليه الأمر "[10].

- **فهرس المراجع:** ويحتوي على ثلاثين (30) مصدرا، تم الاستعانة بها في جمع مادة المعجم، يأتي في مقدمتها "معجم الأخطاء الشائعة" للعدناني، و"معجم الخطأ والصواب" لإميل يعقوب.

ولعل من سمات هذا المعجم هو الاختصار والإيجاز؛ فحجمه صغير مقارنه ببقية المعاجم الأخرى؛ فهو يحدد الخطأ، ويبين صوابه، ولا يتوسع في ذكر

الحجج ولا يكثر من الأمثلة، إلا عند الضرورة، وهو بذلك يناسب المبتدئين من التلاميذ والطلاب.

5-معجم تصحيح لغة الإعلام (عربي-عربي): وضعه عبد الهادي بوطالب وأصدرته مكتبة لبنان ناشرون، بيروت عام 2006م، يقع في 168صفحة، وتضمن الأقسام الآتية:

- **مقدمة:** وردت في صفحتين، تناولت التعريف بالمعجم ومجاله، وطريقة تصحيح الأخطاء.

- **المعجم:** (أ-ي) 148 صفحة، تضم الصفحة الواحدة عمودين؛ يرد الصواب والخطأ مفصولا بينهما بكلمة لا، وبعدها يتم تقديم التبرير مع إعطاء الشاهد من القرآن الكريم، أو الشعر العربي في حالات معينة؛ ومثال ذلك:

أذَّنَ العصرُ وأذّنتِ العِشاءُ

الصواب أذّن المؤذّن بالعصر، أو بالعشاء (أو بفعل المجهول أُذِّن بالعصر، أو بالعشاء).

وأذّن تفيد أعلم بالشيء فالأذان هو الإعلام بالصلاة. لذلك تأتي الباء بعد فعل أذّن.

ويستعمل بدل أذّن أو أُذِّن فعل نادى أو نُودي فنقول نادى المؤذّن. ونقول عندئذ للصلاة، وليس بالصلاة، لأنّ النداء يكون لشيء وليس به.

وفي القرآن الكريم:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾.[11]

- **الخاتمة:** وردت في صفحتين، أكد الكاتب فيها أن مادة المعجم هي نماذج منتقاة رصدها في هذا المصنَّف المختصر ليستفيد منها النخبة في مجال الإعلام كما

حدد أهم أسباب تفشي الأخطاء الشائعة لدى الصحفيين في شتى وسائل الإعلام العربية.

– **مسارد المعجم:** وهي أربعة: مسرد الآيات، وثانٍ الأشعار، وثالث للألفاظ ورابع للمحتويات.

وما يمكن قوله عن هذا المعجم أنّه محاولة رصينة في خدمة العربية: غربلة ونقدا، وتصحيحا، وتوجيها، جمع فيه المؤلِف مجموعة كلمات وتعابير من لغة الصحافة في الوطن العربي، قد تسرّب إليها الخطأ صرفاً ونحواً وعُجمةً وتركيباً فسدّد استعمالها، وصوّب اعوجاجها؛ حفاظا على سلامة اللغة العربية، لاسيما أنّ هذا المعجم قد ركّز على لغة الإعلام؛ هذه اللغة التي يشيع استعمالها وسط أكبر فئة من الناطقين، ويتم تداولها بين أكبر شريحة من الألسن؛ ولذلك جاء المعجم ليسدد هذه اللغة؛ لأنّ للإعلامي مهمة دعم العربية الفصحى وتعميمها على أوسع نطاق.

6-معجم أخطاء لغة الكتّاب: هو معجم يقع في 801 صفحة وضع مسودته صلاح الدين زعبلاوي، قام بتدقيقه وإخراجه كل من محمد مكي الحسني ومروان البواب، صدرت طبعته الأولى عام 2007 عن دار الثقافة والتراث بدمشق، ويتألف هذا المصنّف من هذه الأقسام:

– **كلمة أسرة المؤلف:** بقلم نجله رافع صلاح الدين زعبلاوي، والذي نوّه بالعمل واعتبره تتويجا لمسار والده في البحث اللغوي الدؤوب طيلة ستين عاما[12] ورصد مختلف الإشادات التي حظي بها الكتاب النواة لهذا المعجم "أخطاؤنا في الصحف والدواوين" من قبل لغويين مشهورين على غرار: محمد الخضر حسين وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات، وصلاح الدين المجد، ومحمد المبارك، ومبارك المازن وغيرهم[13]، وحدد ظروف طباعة المعجم، ودوره في المساهمة في نشر الوعي اللغوي الذي يعد مفتاح الحضارة العربية في هذا العصر.

– **تقديم:** يقع في أربع صفحات؛ تناول مصادر هذه المادة اللغوية، وقيمته المعرفية، ومنهجية معالجة الأخطاء الشائعة من طرف مؤلفه الأصلي، وبعدها يوضح المحققان كيفية جمع مخطوطاته، وطريقة بناء المعجم.

– **قائمة أسماء الكتب الأكثر ورودا في المعجم:** وبلغ عددها 31 كتابا، من أمهات الكتب النحوية والصرفية، بالإضافة إلى المعاجم العربية قديمها وحديثها.

المعجم (أ–ي): يقع في 689 صفحة، تضم 1173 مادة لغوية مرقمة مرتبة ترتيبا ألفبائيا في عمودين؛ حيث ترد المادة، يتبعه الخطأ الشائع الذي تضمنته، ثم يأتي ذكر الصواب مدعَّما بالمصدر اللغوي المستنَد إليه، ومثال ذلك:

3.إبالة: يقولون: (جاء هذا ضِغْثاً على إبالَة)، أي جاء بليّة فوق بليّة، وهم يلفظون (إبَالِهِ)بكسر اللام، ويحسبون تاءه ضميراً للغائب أي هاءً. والصواب (إبالَة) بكسر الهمزة وباء مخففة أو مشددة [إبَّالَة] مع فتح اللام وتاء مربوطة، ومعناه الحزمة من الحشيش أو الحطب.

أما (الضِّغْث) بكسر الضاد، فقبضة من الحشيش كما في (اللسان)"[14].

– **فهرس الفهارس:** يضم خمسة فهارس هي: الآيات القرآنية، والمفردات اللغوية، ومباحث النحو والصرف واللغة والأدوات، والأخطاء الشائعة، وفقرات المعجم.

ومن خصائص هذا المعجم أنّه مصنّف غني المادة، يمثّل خلاصة تجربة طويلة وممارسة دائمة للتصحيح اللغوي؛ فقد قضى واضعه نحو ستين عاما من حياته في خدمة العربية؛ إذ كان يمضي جل وقته منقبا في أمهات الكتب ابتغاء الوصول إلى عربية سليمة من كل انحراف، ولعل هذا ما دعا كثيرا من اللغويين والأدباء إلى مدح عمله، والإشادة بصنيعه في حماية لغة الضاد.

كما أنّ منهجه في التخطئة لم يقتصر على اعتماد نصوص المعاجم فحسب، بل كان يوسع دائرة البحث لتطال كتب اللغة والأدب والتفسير، ودواوين الشعر

والصحف والرسائل، إيمانا منه بأن اللغة متطورة، تتدرج دلالاتها، وتتحول معانيها مواكبة لروح العصر، واعتماد النصوص المعجمية في كثير من الأحيان لا يفي بهذا الغرض لوقوفها على ظاهر النص فقط.

7-**معجم التثقيف اللغوي**: ألفه شوقي المعري، وأصدرته دار الحارث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2007م، يشتمل على 934 صفحة، وتم تصميمه على هذا النحو:

- **مقدمة**: وردت في 25 صفحة، ضمت ثمانية محاور، يتعلق اثنان منها ببيان دواعي تأليف المعجم، وكشف منهجية وضعه، أما ستة محاور الباقية فهي دراسة نظرية خصّصها شوقي المعري للحديث عن التأليف في الأخطاء الشائعة، وأنواع الخطأ، ومظاهر التبادل اللغوي، والثقافة اللغوية من غير الأخطاء، وأشكال التطور اللغوي، وأخيرا حلول واقتراحات.

- **معجم (أ-ي)**: يقع في 888صفحة، تضم 2189 مادة، تم ترتيبها على أساس جذر الخطأ الشائع، نُسقت في عمودين، يرد الخطأ مسبوقا برقمه، متبوعاً بمثال عنه، مع بيان التعليل، وتدعيمه بشواهد لغوية من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الشعر العربي، أو مأثور الكلام، ومثال ذلك:

6-أبداً: تُستعمل هذه الكلمة للدلالة على الزمن، لكنّنا لا نميز في استعمالنا الزّمن الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل فنستعملها بلا تحديد، تقول مثلا: لم أزر المعرض أبداً، وتقول: لم أقرأ رواية أبداً، وتقول: لم أحقّق نتيجة جيّدة أبداً وتلاحظ أنّ (أبداً) دلّ على الزمن الماضي، وهذا خطأ، أي أن تُستعمل (أبداً) للماضي، أما الصواب فهو استعمال هذا الظرف للدلالة على المستقبل، فتقول: لن أزورَ صديقي أبداً، وتقول: لن نتنازلَ عن حقوقنا أبداً، وتقول: لن أتراجَعَ عن موقفي أبداً، قال تعالى في سورة المائدة (24):﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) ﴾[15].

ومن أبرز خصائص هذا المعجم أنّه يجمع الدراسة النظرية بالجانب التطبيقي فقد استهله واضعه باستعراض عدة مباحث تتعلق بقضية التصحيح اللغوي والمسائل الوثيقة الصلة به، ولعل أبرزها الباب الثالث الذي رصد فيه أنواع الخطأ والتي رصدها في عدة أبواب، منها: الخطأ في استعمال حرف الجر، أخطأ نحوية ضبط عين المضارع، وغيرها من الأخطاء، وتم تقديم المادة في المعجم بلغة سهلة غير معقدة، قريبة من لغة الكتاب في هذا العصر، كل ذلك في سبيل أن تكون اللغة العربية نقية صافية من الشوائب والأخطاء التي تعكر صفوها، وتتنوع موضوعات هذا المعجم، وتتداخل مجالاتها؛ فبالإضافة إلى الخطأ الشائع نجد العامي الفصيح ومظاهر التطور اللغوي، والألفاظ الوافدة إلى المعجم العربي، ولكن ما يلاحظ على المصنّف هو عدم إشارة واضعه لقائمة المصادر المعول عليها.

8-معجم الصواب اللغوي: وضعه فريق عمل برئاسة المعجمي أحمد مختار عمر[16]، يقع في جزأين، يضمان معا 1360 صفحة، اشتمل على الأقسام الآتية:

- **مقدمة رئيس التحرير:** تقع في أربع صفحات؛ تناولت نقد مؤلفات ومعاجم الصواب اللغوي، وبيان أبرز عيوبها، والتي تم تفاديها في تصميم مادة هذا المصنّف ولاسيما أنه زُود بعنوان فرعي هو"دليل المثقف العربي"؛ حتى يكون في متناول كل متكلم عربي، مع تحديد أهم الأسس التي تمّ بناؤه وفقها، وكشف أهم الخصائص التي انفرد بها عما سواه من مصنفات في هذا الحقل اللغوي.

- **منهجية وضع المعجم:** وردت في حدود (17) صفحة؛ تضمنت طريقة ترتيب المواد، ووضحت أقسام المصنّف، مع تحديد أنواع الصواب في أربع درجات هي:

فصيح: وهو ما يُنصح بالالتزام به لتحقيق الصحة اللغوية.

صحيح: وهو أقل درجة من السابق وأعلى درجة من اللاحق، ولا ضرر من استعماله من طرف المثقف.

منقول: وهو ما يحقق أدنى درجات الصحة، ولا ينصح عادة باستخدامه.

فصيح مهمل: ويدخل عند القدماء في مرتبة الفصيح، ولكنه في المعجم أدنى من درجة المقبول؛ لأنه لا يحقق الشيوع في الاستخدام[17].

وتلا ذلك ذكر لأهم فهارس المعجم، مع الاستطراد في تعيين خصائصه ولاسيما إيراد بإحصائيات عامة تبرز عدد المداخل في كل من: الكلمات والأساليب والأمثلة بأنواعها، ثم تبع ذلك مجموعة الاختصارات والرموز المستخدمة لتسهيل البحث ناهيك عن تذييله بقائمة المصادر.

- **المعجم:** (أ-ي)، يقع في جزأين يضمان معا 1360 صفحة، اشتمل الجزء الأول على قسم الكلمات والأساليب؛ والذي جاءت مادته موزعة على 842 صفحة مجزّأة إلى عمودين، تضمنت 5591 مادة؛ تم توضيح الصواب اللغوي فيه انطلاقا من ذكر الكلمة، والمثال، وتعيين الخطأ اللغوي، وبيان الرأي والرتبة، مثال:

آخرٍ

اصطدم قطارٌ للركاب مع آخرٍ للشحن"، [مرفوضة]لصرف هذه الكلمة، مع وجود ما يستوجب منعها من الصرف، **الرأي والرتبة:** اصطدم قطار للركاب بآخرَ للشحن [فصيحة] تستحق كلمة آخر المنع من الصرف؛ لأنها صفة على وزن "**أفعل**"، وحقها في المثال الجر بالفتحة"[18].

أما الجزء الثاني فاشتمل على قسم الأساليب؛ والذي ورد في حدود 516 صفحة احتوت 806 مادة، جاء تعريفها على نفس نسق تعريف الكلمات، مثلما يبرزه هذا النموذج:

1- **إبدال الهمزة من الياء بعد ألف "مفاعل"**

"**مصائر الدول في أيدي أبنائها**" [مرفوضة عند بعضهم] لقلب الياء همزة مع أنها أصلية، وليست بزائدة. **الرأي والرتبة:** مصاير الدول في أيدي أبنائها

[فصيحة]–مصائر الدول في أيدي أبنائها [صحيحة] (انظر: قلب الياء الأصلية همزة بعد ألف "مفاعل")[19].

– **الفهارس: فهرس الكلمات والأساليب والقضايا:** يضم الكلمات وصفحاتها في أقسام المعجم، مثل:"آخَرٍ/4ك"[20].

– **فهرس جذور الكلمات والأساليب:** ترد فيه جميع مشتقات الجذر اللغوي مع صفحاتها، مثل:

"**أ خ ر:** آخر/3، آخرٍ/4، أخيراً/179، اثني عشر صندوقاً أخرى/ 659 الآخر: 852، تأخّر تأخيراً/1341، تأخّر على/ 1342، مؤخَّر العين/ 4293، هو الآخر/ 5196، هي الأُخرى/5204، وسيلة أو أخرى/5265"[21].

– **فهرس أمثلة القضايا:** يُذكر المثال ونوعه، وصفحاته سواء في قسم الكلمات أم قسم القضايا، نحو:

"مصاير الدول في أيدي أبنائها [ف] 1 ق، 4658ك، 617ق".

– **فهرس الأمثلة المرفوضة: ترد فيه الأمثلة المرفوضة مع صفحاتها،** نحو: آذَان الفجر/7/ك".

– **فهرس أمثلة الصواب ورتبتها:** يضم الأمثلة مع تحديد رتبتها، وصفحتها في الكلمات، أو القضايا، نحو:

"آخَذَه بذنبه [ف] 2 ك، 755ق

آخَذَه على ذنبه [ص] 2ك، 755ق"[22].

ويعد معجم الصواب اللغوي الجماعي الوضع؛ والذي أشرف عليه المعجمي الكبير أحمد مختار عمر– أحد أبرز المعجميين العرب في العصر الحديث[23] من أكبر معاجم التصحيح اللغوي حجما، وأغزرها مادة، وأدقها ترتيبا، كما يتسم بالإيجاز والتركيز، وتجنب الحشو والاستطراد؛ إذ يعثر القارئ على ضالته بكل يسر، خلافا لمعاجم التصحيح اللغوي السابقة، كما تكمن قيمته أيضا في ما تضمنه

من ملاحق من شأنها مساعدة القارئ على سرعة إيجاد المدخل؛ فهو يستطيع البحث في المعجم بعدة أساليب، منها: جذور الكلمات، أو القضايا، أو الأمثلة المرفوضة، أو أمثلة الصواب ورتبتها.

ومن أبرز سمات المعجم أنه متاح بطريقتين، ورقيا وحتى إلكترونيا؛ إذ أن إصدار المعجم في النسختين كفيل بتحقيق أكبر رواج له؛ لاسيما أن النسخة الرقمية يحتوي كل مدخل فيها على المصادر التي تم الرجوع إليها، بالإضافة إلى الإمكانيات الهائلة في استدعاء المعلومة المطلوبة بسرعة فائقة.

9-ألف خطا وخطأ: هو معجم في تصحيح لغة الإعلام وضعه وليد النجار وطبعته مكتبة لبنان ناشرون بلبنان عام 2008، يشتمل على 238 صفحة، ضمت هذه العناصر:

- **مقدمة:** جاءت في أربع صفحات؛ تناولت دواعي تأليف المعجم، وحددت منهجية البناء، وخطة الوضع، وكشفت أقسام المصنَّف، ومضامينها.
- **القسم الأول: أبواب الأخطاء الشائعة:** وتضمنت 805 مادة، جاء تنسيقها وفق هذا الترتيب: الاشتقاق، الإفراد والتثنية والجمع، الإملاء، التحريك، الدلالة التذكير والتأنيث، الصياغة، التعدية، قواعد اللغة.

يتناول كل باب الأخطاء الشائعة مرقّمةً وفق الترتيب الألفبائي، مع إضافة رقم آخر يدل على درجة التداول، كما يأتي:

1: كثيرة التداول.

2: معتدلة التداول.

3: قليلة التداول.

ويُستهل كل باب بتمهيد موجز يعرف بنوعية الخطأ المقصود، مع إعطاء مثال عنه، وتليه الأخطاء وتصويباتها في جدول يوضحها هذا النموذج الوارد في حرف الباء ضمن باب الاشتقاق:

خطأ			صواب
8-	(2)	مُباع –سلعة مُباعة	مَبِيع–سلعة مبيعة[24]

– **القسم الثاني: قواعد تصحيح الأخطاء:** يبيّن فيها المؤلِّف تعليل التصويبات اللغوية للمواد الواردة في القسم السابق، ومن ذلك:

8-الصواب هو "مبِيع" لأنّ اسم المصدر من "باع" هو "مبيع" لا "مباع"[25].

– **القسم الثالث: ملحق:** تضمن عددا من الأخطاء بلغ عددها (202)، وهذه الأخيرة أقل تداولا من سابقتها، لكنها تشكل رصيدا لا بأس به من الرصيد المعجم التواصلي، شفهيا أو كتابيا، ولقد تم ترتيب هذه المواد وفق تسلسل أخطاء الأبواب الواردة في القسمين الأول والثاني، لكن مع إدراج الخطأ وصوابه دفعة واحدة، مع إضافة رقمين: الأول خاص بتسلسل أخطاء المعجم، لتصل إلى 1007 خطأ والثاني متعلق بالأبواب التسعة الواردة في القسم الأول، نحو:

خطأ			صواب
807	(7)	انفجرت طائرة ركاب في... فذهب ضحيتها خمسة وأربعون راكباً	خمسة وأربعون راكباً ذهبوا–ويا للكارثة–ضحايا الانفجار
	الصواب هو "الصياغة الثانية" لأنه يكفي في "الصياغة الأولى" فاعل واحد لفعل"ذهب". أما "ضحيتها" فيجب نصبها على أنها حال[26].		

– **المصادر والمراجع:** لم يحدد الواضع قائمتها بدقة، ولكن أشار إليها إجمالا.

– **الفهارس:** وجاءت متسلسلة هكذا: المصطلحات، الآيات القرآنية، الأبيات الشعرية، المحتويات.

وتبرز أهمية هذا المعجم في كونه يرصد أكثر من ألف خطأ في لغة الإعلام كما أن واضعه استهدف ثلاثة قراء، هم: مدرّس العربية، ودارسها، ومتذوّقها وخضع تصميمه لخطة محكمة، وزعت الأخطاء الشائعة وفق حقول عديدة، تم

وتمحور الأخطاء اللغوية حول مختلف المهن والأعمال الإدارية والتجارية وغيرها من إعلام وطب وهندسة وقانون، بالإضافة إلى لغة الحياة اليومية، وما تشتمل عليه من تعابير وأقوال مأثورة.

10-معجم التصحيحات اللغوية المعاصرة: وضعه غازي جاسم العنبكي[27] طبعته دار دجلة، الأردن عام 2009م، يشتمل على 176 صفحة، ضمت هذه الأجزاء:

- **التقديم:** بقلم عناد غزوان؛ والذي اقترح تسمية المصنّف "المعجم الوجيز للألفاظ والتعابير العربية الفصيحة"، وبين قيمته اللغوية، وأهميته في حماية العربية وتنقيتها من الخطأ.

- **التمهيد:** كتبه سعيد حسون العنبكي، ويقع في خمس صفحات، تعرض فيها للتعريف بالمؤلِّف، وبين قيمة هذا المعجم الوجيز، ومجمل مصادره، ووضح منهج وضعه، كل ذلك في سبيل الحفاظ على العربية وفصاحتها، وتنقيتها من الخطأ والعمل على صيانة تراثها.

- **المعجم: (أ-ي)**: تتوزع مادته على 152 صفحة، تم تنسيق مواده وفق الترتيب الألفبائي، باعتماد الحرف الأول من الكلمة، سواء أكانت الكلمة ثلاثية أم رباعية أم خماسية، حاول فيه الواضع تصحيح العامي ورده إلى الفصيح، بالاستعانة بأمهات المعاجم العربية؛ والتي يثبتها في الهامش، إذ يختار العنبكي من الألفاظ والتعابير التي تبدو عامية، مع ضبط حركاتها أو تصريفها، رافضا ما لحق بها من لحن في نطق العامة، أو في مؤلفات المثقفين، ولغة الصحافة، لينتهي بنتيجة تؤكد عربيتها في المصادر اللغوية، معزّزا ذلك بالشواهد والأمثلة، ومثال ذلك:

[أكّدَ على الشيء] والصواب [أكَّدَ الشيءَ]

من التعابير التي يوظفها كثيرون غلطاً [أكد على الشيء] فيعدون الفعل بحرف الجر والصواب إنه يتعدى بنفسه فتقول [أكّد الشيء] ولا تقول أكّد على الشيء

ونقول: نؤكد أهمية الموضوع ولا نقول: نؤكد على أهمية الموضوع. جاء في صحاح الجوهري:"التأكيد لغة في التوكيد، وقد اكّدت الشيء ووكّدته" وفي مختار الصحاح جاء التأكيد لغة في التوكيد وقد أكد الشيء ووكّده". وجاء في القاموس المحيط "وأكّده تأكيداً وكّده"[28].

– **المصادر والمراجع:** وهي 15 مصدرا؛ منها القرآن الكريم، وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وسبعة معاجم لغوية، منها خمسة قديمة هي: الصحاح ولسان العرب، والقاموس المحيط، وأساس البلاغة، ومختار الصحاح للرازي ومعجمان حديثان هما: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، والمنجد في اللغة والأعلام للويس معلوف، وثلاثة دواوين لشعراء جاهليين هم: طرفة بن العبد، وعنترة بن شداد، وزهير بن أبي سلمى، والبيان والتبيين للجاحظ، والنحو الوافي لعباس حسن.

وتكمن قيمة هذا المعجم الوجيز في جهد واضعه الدؤوب في تفصيح العامي؛ من خلال البحث عن أصوله في المعجم العربي، بالاستناد إلى أربعة معاجم أساسية هي: الصحاح ومختاره، واللسان والقاموس هذا من جهة، مع اشتماله على حشد هائل من التصويبات اللغوية المعاصرة في لغة المثقفين والعامة من جهة أخرى، كما يمتاز المعجم بسهولة البحث؛ فقد عمد مؤلفه إلى جعل التصويبات في عناوين الكلمات وفي فهرس الموضوعات، لتكون أول ما يلتفت إليها القارئ ويزدان بفصاحتها من الوهلة الأولى.

11–معجم المنتقَى من الخطأ والصواب في اللغة العربية: وضعه شامل الشاهين يضم 433 صفحة، طبعته دار غار حراء، تركيا، وجاء تصميمه على هذا النحو:

– **مقدمة:** أشارت إلى أسباب التأليف، ومميزات المعجم، ومنهجية وضعه.

- **المعجم**: (أ-ي) يقع في حدود 418 صفحة، يورد فيه الأخطاء اللغوية وتصويباتها مع ملاحظات حولهما في جداول ملثما يوضحه هذا النموذج:

الخطأ	الصواب	الملاحظات
وضعتُ الوردةَ في الآنية	وضعتُ الوردةَ في الإناء	لأنّ الآنية هي جمع إناء، وجمع الجمع هو أوانٍ[29].

- **قائمة مراجع المعجم**: واشتملت على 63 مؤلَّفاً؛ منها المعاجم قديمة وحديثة ومصنّفات النحو، وكتب اللحن، ومؤلفات التصحيح اللغوي، وغيرها.

ويتميز هذا القاموس بالإيجاز؛ فهو لا يورد الشواهد المؤيِّدة للتخطيء، ولا تلك المدعّمة للتصويب، بل يكتفي بتحديد الخطأ، وبيان صوابه، مع إعطاء تعليل موجز غالبا؛ لأنّه غايته الاختصار والاقتصار على المهم والشائع والمشهور، والابتعاد عن كل ما هو نادر ولا يحتاج إليه الكُتّاب[30].

ولكن ما يُعاب على المعجم هو صعوبة البحث، لاسيما أنّ الأخطاء الشائعة واردة في عبارات، فكيف يمكن للقارئ الاهتداء بسهولة إلى الأخطاء المقصودة في عبارات من قبيل: شبت حريقة، هذا غلام حَرِك، أصبح المريض بلا حِراك، فلان حرب عليّ واردة في باب الحاء مثلا، وهنا كان على المؤلف تحديد الجذر بين قوسين كما فعل يعقوب في معجمه السالف الذكر، أو كتابة الخطأ المقصود في العبارة بخط بارز.

12-معجم تقويم اللغة وتخليصها من الأخطاء الشائعة:

هو معجم يضم 390 صفحة وضعته هلا أمون، أصدرته دار القلم، لبنان، ضم الأقسام الآتية:

- **مقدمة:** تضم سبع صفحات، تضمنت أسباب التأليف، وإشارة موجزة لنقد معاجم وكتب التصحيح اللغوي، كما ضبطت معظم المخالفات النحوية والصرفية

واستعرضت أسباب تفشي الأخطاء اللغوية لدى الناطقين بلغة الضاد، وبينت أقسام المعجم، ومضامينها، ومنهج معالجتها.

– **القسم الأول: الأخطاء والتجاوزات اللغوية الشائعة:** يقع في 284 صفحة رُتبت مواده وفق الجذر اللغوي، والتي تتعلق بالأخطاء والتجاوزات التي يشيع استعمالها في وسائل الإعلام، المرئية والمسموعة والمقروءة، مع بعض الشرح والتعليل والالتزام في تخطئتها وتصويبها بما ورد في المعاجم العربية القديمة والحديثة ومن ذلك هذا النموذج:

"**في باب الهمزة**

يقال ما فعلتُ هذا أبداً

والصواب: لا أفعلُ هذا أبداً، أو لن أفعلَ هذا أبداً، إذ إنّ "أبداً" هي ظرف زمان للتأكيد في المستقبل نفياً أو إثباتاً، وإذا قصدتَ الماضي تقول: "ما فعلتُ هذا قَطّ أي: في مضى من سنّي، إذ إنّ "قَطّ" هي ظرف زمان لاستغراق الماضي، ويختص بالنفي"[31].

– **القسم الثاني: (301–335) مفردات شائعة على ألسنة العامية:** وهي رصد لقائمة متنوعة من المفردات العامية الشائعة، مع إعطاء تصويبها اللغوي، نحو:

"**الإِبَالَةُ:** الحزمة من المنسوجات، والعامة تقول: "البَالَة""[32].

– **القسم الثالث: (337–367): بعض الألفاظ الدخيلة والمعرّبة:** مرتبة ترتيبا ألفبائيا، ترد الكلمة وشرحها، ومصدرها بين قوسين؛ مثال: "**أستاذ:** الماهر في صناعة الحاذق في عمله، العالِم (من الفارسية)"[33].

– **القسم الرابع: (368–385): أبواب تصريف الأفعال الأكثر استعمالا:** بذكر الماضي والمضارع والمصدر، وشرح المعنى، كما في حرف "الألف" الذي اشتمل على الفعل "أبه"، والذي جاء تصريفه هكذا:

"أَبَهَ يأبهُ أَبْهاً: له، وبه: فطن وتنبه"[34].

- **فهرس المصادر والمراجع:(386-388)**: وضم 23 مصــدرا لغويــا، منهــا القرآن الكريم، و19 معجما لغويا، منها 13 معجما حديثا؛ كالمعجم الوسيط لمجمع القاهرة، ومتن اللغة لأحمد رضا، والرائد لمسعود جبران، ومعجم الأخطاء الشائعة للعدناني، وثلاثة كتب نحوية فقط.

وما يمكن ملاحظته أنّ هذا المعجم يمثل موسوعة لغوية- على الرغم من صغر حجمه- ضمت أربعة مباحث لغوية وثيقة الصلة بالأخطاء الشائعة وسبل تصحيحها فبالإضافة إلى رصد التجاوزات اللغوية، ومعالجتها، نجــد تتبعــا لأشــكال تغيــر المفردات العامية، مع محاولة ردها لأصولها الفصيحة، مع إبراز الجانب التــأثيلي من خلال تأصيل الكلمات الدخيلة الوافدة على اللسان العربي، مع شــرح معناهــا وتحديد لغتها الأم، ناهيك عن تصريف الأفعال الشائعة، وضبطها بالشكل، كل ذلك في سبيل حماية اللغة من اللحن، ولاسيما ما تبثه وسائل الإعلام الواسعة الانتشار.

خاتمة: مما سبق يمكن ملاحظة مدى اهتمام اللغويين العــرب المحــدثين بوضــع معاجم الصواب اللغوي، والتي وُضعت أساسا لمعالجة الأخطاء الشــائعة، وبيــان نوعها، مع إعطاء تصويبات دقيقة لها مشفوعة- قدر الإمكان- بشواهد منتقاة مــن المصادر اللغوية المعروفة، وتدعيم ذلك بأمثلة مستقاة من الواقع اللغوي، كل ذلــك في سبيل حماية اللغة الفصحى، وترقية استعمالها، لتواكــب التطــورات الراهنــة وحتى لا تبقى العربية عرضة لممارسات الناطقين والكتاب الذين يخلون بنواميسها ويفسدون قوانينها، ولا سيما في مجال الإعلام والاتصال، ولهذا وجب الالتفات إلى هذا النمط من المعاجم، وإيلاءه المكانة اللازمة حتى نصون ألســنتنا مــن اللحــن ونحمي أقلامنا من الوقوع في الأخطاء، وكل ذلك سينعكس- لا محالة- إيجابا على تداول هذه اللغة الحيوية نقية فصيحة معبّرة كما تركها العرب الأقحــاح، ويضــمن استقرارها جيلا بعد جيل.

الهوامش:

[1]– معجم الأخطاء الشائعة، محمد العدناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط:3 2008م، ص:19.

[2]– ينظر: معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1 1989م، ص:ز.

[3]– المصدر نفسه، ص: 1.

[4]– معجم الخطأ والصواب في العربية، إميل يعقوب، دار العلم للملايين، ببروت، لبنان، ط:2 1986م، ص:66–67.

[5]– المصدر نفسه، ص:282.

[6]– وهي: عدم السماع، عدم القياس، عدم ورود اللفظة في المعاجم، الاستناد إلى تخطيء أحد اللغويين، الاستناد إلى اللغة الأفصح، الاستناد إلى قواعد النحو والصرف، رفض المولّد، ينظر: المصدر نفسه: 33–44.

[7]– وتتمثل في: السماع، القياس، الاستناد إلى المعاجم، الشيوع والاستعمال، قواعد النحو والصرف، قبول المولّد والمحدث، قرارات مجمع لغوي عربي، التضمين، ينظر: المصدر نفسه ص: 45–54.

[8]– ينظر: المصدر نفسه، ص:183–185.

[9]– المعجم الوجيز في الأخطاء الشائعة والإجازات اللغوية، جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 2005م، ص:10.

[10]– المصدر نفسه، ص:72.

[11]– معجم تصحيح لغة الإعلام (عربي– عربي)، عبد الهادي بوطالب، مكتبة لبنان ناشرون لبنان، ط:1، 2006م، ص:5.

[12]– وضع صلاح الدين زعبلاوي بالإضافة لكتاب "أخطاؤنا في الصحف والدواوين" عدة كتب لغوية قيمة منها: لغة العرب، مسالك القول في النقد اللغوي، مذاهب وآراء في نشوء اللغة وتدرج معانيها، ينظر: معجم أخطاء الكتاب، صلاح الدين زعبلاوي، تدقيق وإخراج: محمد مكي الحسني ومروان البواب، دار الثقافة والتراث بدمشق، سورية، ط:1، 1427ه–2006م، ص:7.

[13]– ينظر: المصدر نفسه، ص:5–6.

[14]– ينظر: المصدر نفسه، ص:2.

[15]– معجم التثقيف اللغوي، شوقي المعري، دار الحارث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط:1، 2007م، ص: 35.

[16]– تكون فريق العمل من 44 عضوا.

[17]– ينظر: معجم الصواب اللغوي: دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ط:1، 2008م، ص: و.

[18]– المصدر نفسه، ج:1، ص:1.

[19]– المصدر نفسه، ج:2، ص: 845.

[20]– المصدر نفسه، ج:2، ص: 1015.

[21]– المصدر نفسه، ج:2، ص: 1075.

[22]– المصدر نفسه، ج:2، ص:1227.

[23]– لقد زاوج أحمد مختار عمر بين الدراسة المعجمية النظرية والتطبيقية؛ فله– فبالإضافة لهذا المعجم –في هذا المجال تحقيقات لمعاجم تراثية، وعدة دراسات معجمية، ومعاجم عامة ومتخصصة، منها: ديوان الأدب للفارابي: تحقيق ودراسة (خمسة أجزاء)، مراجعة: ثلاثة أجزاء من معجم تاج العروس لمرتضى الزبيدي، صناعة المعجم الحديث، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، معجم اللغة العربية المعاصرة، المكنز الكبير، معجم ألفاظ الحضارة في القرآن الكريم، مع مشاركته في وضع المعجم العربي الأساسي.

[24]– ألف خطأ وخطأ (عربي–عربي)، وليد النجّار، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان ط:1 2007م ص:17.

[25]– المصدر نفسه، ص:113.

[26]– ينظر: المصدر نفسه، ص:191.

[27]– توفي المؤلف في 22 مارس 1999م، وترك معجمه مسودة، قام بمراجعتها الدكتور عناد غزوان إسماعيل العضو المؤازر في المجمع العلمي العراقي ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة بغداد، وقام الدكتور محمد ضاري حمادي عضو المجمع العلمي العراقي بإبداء ملاحظاته بشأن تحقيق المعجم، وكيفية العناية به ليحقق الأهداف التي يصبو إليها، وتكفل الدكتور سعيد حسون العنبكي بوضع تمهيد للمعجم.

[28]– معجم التصحيحات اللغوية المعاصرة، غازي جاسم العنبكي، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، ط:1 2009م، ص: 35–36.

[29]– معجم المنتقَى من الخطأ والصواب في اللغة العربية، شامل شـــاهين، دار غـــار حـــراء تركيا، ط:1، 1418ه ص:11.

[30]– ينظر: المصدر نفسه، ص:6.

[31]– معجم تقويم اللغة وتخليصها من الأخطاء الشائعة، هلا أمّون، دار القلم للطباعة والنشـــر والتوزيع، لبنان، د ط، د ت، ص: 17.

[32]– ينظر: المصدر نفسه، ص:303.

[33]– ينظر: المصدر نفسه، ص:340.

[34]– ينظر: المصدر نفسه، ص:371.



المحور الثّالث

دراسات لغوية معاصرة

الصراع اللغوي في أرخبيل الملايو ما بعد الاستعمار الأوربي
وضعية اللغة الملايوية والعربية133

أ. حنفي دوله الحاج ♥
د. زاليكا آدم
د. ناصر يوسف
الج. الإسلامية العالمية ماليزيا

تاريخ الإرسال: 10-01-2018   تاريخ القبول: 16-05-2018

ملخص البحث: يروم هذا البحث تقديم دراسة تحليلية تأصيلية حول صمود اللغة العربية في وجه الصراع اللغوي الحاصل في عالم الملايو؛ إذ انبثقت منه أزمة لغوية وسياسية واجتماعية متفاقمة. لقد ظلت منطقة الملايو لفترة طويلة جدًا تعاني من ويلات الاستعمار الأوربي، الإسباني والبرتغالي والهولندي والبريطاني، علاوة على أن واقع الصراع اللغوي الخطير استنزف قواها المعنوية والمادية، فكاد يأتي على اللغة العربية من القواعد بما فيها هوية المواطنين الملايويين المسلمين وثقافتهم المحلية المتشبعة باللغة العربية التي استقرت فيها منذ قرون عديدة. كما وأن مثل هذه الموضوعات لم تحظ باهتمام الباحثين العرب والملايويين على مستوى الأبحاث العلمية والمؤتمرات والمنتديات على الرغم من خطورتها وضرورتها. ومن ثم فإن هذا البحث يبرز مواقف تاريخية في حياة الملايويين المسلمين ومدى عشقهم المتفاني للغة العربية مما أدى بهم إلى الدفاع المستميت عن

♥ **norasjp17@gmail.com**

اللغة العربية، كما يفضح مزاعم الاستعمار الأوربي تجاه اللغة العربية وإزالتها من نفوس الملايويين وعقولهم باسم التقدم والتحضُّر. تقترح هذه الدراسة، أيضًا، آليات للدفاع عن اللغة العربية بعالم الملايو استنادًا إلى مبادئ التخطيط اللغوي السليمة.

تمهيد: اشتهر عالم الملايو سابقًا باسم أرخبيل الملايو (Malay Archiphilago) وهي منطقة حضارية مهمة كبرى بجنوب شرقي آسيا الغنية بالثروات الطبيعية. لقد نشأت في هذه المنطقة إمبراطوريات ملايوية إسلامية عديدة، ويقطنها حاليًا ما لا يقل عن 230 مليونًا من الملايويين المسلمين وحدهم، بوصفهم أغلبية في بعض الدول مثل: ماليزيا، وإندونيسيا، وسلطنة بروناي دار السلام، علاوة على أقليَّات ملايوية في دول أخرى، منها: تايلاند، والفلبين، وسنغافورة. أيضًا تقطن هذه المنطقة أمم وشعوب من غير المسلمين من التايلنديين والفلبنيين وغيرهم من أصحاب الديانات الوثنيَّة المختلفة الناطقة بلغات محلية متنوِّعة. وكما هو معلوم يعيش المسلمون الناطقون باللغة الملايوية الغنيَّة بالثقافة العربية في عالم الملايو وقد اتخذوا، ولوقت طويل من الحروف العربية "الجاويَّة" وسيلة للتأليف والكتابة من أجل تدوين لغتهم الشفاهية. كما يهتم هذا البحث بالحديث المباشر عن معالم صمود اللغة العربية ومظاهره متمثلاً في إبراز جهود الملايويين المسلمين ومواقفهم القوية وحبِّهم الكامل للغة العربية في مواجهة الصراع اللغوي المفروض على عالم الملايو.

أولاً: طبيعة الصراع اللغوي بعالم الملايو ومظاهره

تندرج أبحاث الصراع اللغوي تحت مجال علم اللغة الاجتماعي، وهو مجال يبحث في صراع اللغات، وبيان طبيعته وأسبابه ونتائجه وخطورته على المجتمع اللغوي في العالم. إن الصراع اللغوي بات ظاهرة عالمية شملت اللغات والشعوب جميعًا وازدادت فاعليته وحدَّته في عصر العولمة لا سيما في ظل التطورات الهائلة في مجالات الاتصالات والمواصلات والتعايش. وقد ذهب إلى تقرير هذا الواقع

الخطير معظم العلماء في علم اللغة الاجتماعي من أمثال: على وافي، ونهاد الموسى وهوجين (Heugen)، ونيوستبني.Neustupny) .J) وعلى صعيد الأبحاث العربية فقد مسَّت الظاهرة اللغوية الاجتماعية اهتمام الباحثين العرب فعنوا بالحديث المباشر عن صراع اللغات، كما نحتوا المصطلحات ذات الصلة بالصراع اللغوي ونتائجها منها: الغلبة اللغوية، والازدواجية، والثنائية، والتعريب والترجمة، والاندماج، وما إلى ذلك. وبات من الواضح أن التخطيط اللغوي الحالي في عالم الملايو يتشابك تلقائيًّا بتلك القوة اللغوية المتصارعة في عصرنا كما حدث في آفاق أخرى من العالم، وهما: السلطة الاقتصادية التي تميل إلى اللغات العالمية مثل اللغة الإنجليزية أكثر من اللغة الوطنية، والسلطات الثقافية والدينية والسياسية التي تتسبب في الصراعات بين اللغة الوطنية واللغات العرقية[1] في المناطق ذات المشكلات في تلك البلاد.[2] وقد أقرّ الخبراء واللغويون العالميون والمحلّيون أنّ معظم الدول في جنوب شرقي آسيا أو أرخبيل الملايو التي يقطنها المسلمون الناطقون باللغة الملايوية الغنيَّة بالثقافة العربية الإسلامية، تعاني أزمة لغوية قد تؤدّي بدورها إلى أزمة سياسية حساسة يمكنها أن تقضي على الهوية الملايوية وثقافتها.

1. وضعية اللغة الملايوية في ظل الاستعمار الأوربي لأرخبيل الملايو: تعد مجموعة اللغات الملايوية الأصيلة (Classical Malay) المستخدمة لغة قومية لمملكات وسلطنات عديدة في أرخبيل الملايو، سواء في جزر إندونيسيا أم بورنيو (Borneo) أم مِنْدَاناو (Mindanao) أم شبه جزيرة ملايو أم فطاني. وقد استقر وضع هذه اللغات مع اكتمال الحضارة التي قامت في مملكة بروناي دار السلام ومملكة فطاني دار السلام، وإمبراطوريات ملايوية عديدة في أرخبيل الملايو منها: إمبراطورية آتشيه (Acheh) وإمبراطورية ملاكا (Malacca)الإسلاميتين وإمبراطورية جاوه (Jawa)[3]. وقد وصف المستشرق ميس (Mees) اللغة الملايوية بأنها لغة غنية بالثقافة والآداب والمبادئ الإسلامية العربية.[4] حيث تنتمي

هذه اللغة إلى فصيلة اللغات الأسترونيسية (Austronesia) التـي تنتشـر بشـكل واسع في أرخبيل الملايو في جنوب شرقي آسيا والمحيط الهادي.[5] وهي لغة تتميّز باعتمادها الكبير على الإلصاق (Affixe) في بناء الكلمات وتبيان وظيفة الكلمـات النحوية في الجملة، وتبنى ألفاظها من مادة أصلية تتألّف من مقطع أو أكثـر تبقـى ثابتة، ويستعان بها لتنويع الصيغ الصرفية بزوائد مقطعية تلصق بالمادَّة الأصـلية على صورة مورفيمات مقيَّدة (Bounding morphemes)، وعلى صورة سوابق (Prefixes) أو لواحق (Suffixes) وغيرهما.[6]

وقد كُتبت اللغة الملايوية بالحروف العربيـة المعدَّلـة المعروفـة "بـالحروف الجاوية" بوصفها كتابة رسمية لـــ: "إمبراطوريّـة ملاكـا الملايويـة" (1402-1511م) والممالك العديدة، والسلطنات المنتشرة في شـبه الجزيـرة الملايويـة والجزر المجاورة، كما استخدمت بوصفها لغـة دبلوماسـية وتجاريـة وسـياحية وإدارية. وبدأت نقطة التحوّل عندما جاء المستعمرون الأوروبيون إلى تلك المنطقة ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي؛ ما جعل اللغة الملايوية تعاني مـن الغـزو الفكري اللغوي المبرمج منذ أوَّل يوم لاحتلال المنطقة.

2. مكانة اللغة العربية في أرخبيل الملايو: من الجدير بالذكر أن اللغة العربية التي انتشرت مع انتشار الدعوة الإسلامية كان لها مكانة خاصة لـدى الملايـويين وكانت مملكة بروناي دار السلام تهتم باللغة العربية في جميع المجـالات الدينيـة والتربية الإسلامية. وقد قررت حكومة بروناي في دستورها سـنة 1959م بـأن الدين الرسمي لهذا البلد هو الإسلام. وانطلاقًا من هذا الإقرار خططـت البـرامج العديدة لتطوير شعار الإسلام في هذا البلد، فظهرت المدارس والمعاهـد والكليـات الدينية التي تدرِّس هذه اللغة العربية والمواد الدينية إلى جانب المـواد الأكاديميـة كالعلوم والجغرافيا والحساب والتاريخ التـي تـدرَّس باللغـة الملايويـة واللغـة الإنجليزية.[7] علمًا أن هذه المملكة العريقة هي المملكة الوحيدة التي ما تزال تستخدم الحروف العربية المعدَّلة المعروفة "بالحروف الجاوية" (Huruf Jawi)بوصفها كتابة

رسميّة فريدة ظلت قائمة منذ الأيام الأولى لقيام مملكة بروناي دار السلام إلى الآن.

أما في إندونيسيا التي يبلغ عدد المسلمين 91% من سكانها، فإن العلاقة بين هذه اللغة والإندونيسيين في المقام الأول هي علاقة دينية. كما وأنهم يفضّلون هذه اللغة ويستفيدون منها في فهم التعاليم الإسلامية، وتوجد فيها مدارس كثيرة جدًّا لا تهتم إلا باللغة العربية.[8] فقد كانت تكتب اللغة الملايوية بالأبجدية العربية في الصحف والمجلات الرسمية إضافة إلى اللاتينية التي نجد فيها كثيرًا من الكلمات ذات الأصول العربية، بالإضافة إلى أنها وسيلة للتعليم في بعض المدارس والكليات والجامعات الإسلامية. وعلاوةً على ذلك، فإن العلاقة بين اللغة العربية وبين الإندونيسيين، في المقام الأول، هي علاقة دينية.

لقد انتشرت اللغة العربية في ولاية فطاني جنوب تايلاند؛ فمعظم السكان في هذه الولاية مسلمون يحبون اللغة العربية؛ لأن هناك مدارس ومعاهد ومساجد بنيت منذ أمد بعيد على امتداد الولاية، تُدرَّس فيها اللغة العربية والعلوم الدينية. كما واصل الطلاب الفطانيين دراستهم العربية في الجامعات العربية العديدة أو في الجامعات الإقليمية بماليزيا وبروناي وإندونيسيا.[9] وعلاوةً على ذلك كانت ولاية ميندناو الفلبينية تقدِّر اللغة العربية وتقيم لها مكانة خاصة في أرضها. وعلى الرغم من أن ولاية ميندناو جزء من الفلبين التي تهتم باللغة تغالوغ واللغة الإنجليزية والدين المسيحي إلا أنها تعد ولاية خاصة ذات أغلبية مسلمة[10] تستخدم اللغة العربية في عبادتها اليومية كما تأسّست فيها إدارات ومساجد ومدارس ومعاهد إسلامية. وبالعكس من ذلك، فإن مكانة اللغة العربية في سنغافورة ليست كمكانة اللغة العربية في البلدان المذكورة؛ لأن الإسلام ليس دينًا رسميًا لها؛ ولكن هذه اللغة ما زالت تستخدم لدى من يهتمون بالثقافة الإسلامية والعربية في المدارس والمعاهد السنغافورية.

2. مكانة اللغات الإقليمية الأخرى ولغات المحتلين الأوربيين في أرخبيل الملايو:

تعد اللغة تغالوغ[11] (Tagalog) من أهم اللغات الإقليمية والمحلية في الفلبين التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الأسترونيسية.(Austronesia Families) [12] وهي لغة وطنية رسمية للفلبين منذ سنة 1937م، ويستخدمها 98% من الفلبينيين بوصفها لغة وطنية.[13] وقد جاء في دستور الحكومة بأن اللغة تغالوغ[14] واللغة الإنجليزية لغتان رسميتان للفلبين؛ أما اللغة السيامية فهي اللغة الوطنية التايلاندية، ويطلق عليها اختصارًا اللغة تاي (Thai)، وهي لغة كادية (Kadai) ويصل عدد المتكلمين بها نسبة 80% من السكان.

لقد كانت اللغة الإنجليزية اللغة المهيمنة في فترة الاستعمار البريطاني وانتشرت بشكل واسع في أرخبيل الملايو، وأدَّت أدوارًا مهمة اجتماعية وتاريخية واستخدمت في مجالات واسعة. كما وأنها تعد لغة ثانية في بعض البلاد، مثل: مملكة بروناي وماليزيا وإندونيسيا. كما أنها تعد لغة رسمية مشتركة في بعض البلدان، مثل: سنغافورة والفلبين. أما اللغة الإسبانية التي تعد إحدى اللغات المهمة في العالم، فقد انتشرت في الفلبين تزامنًا مع الاستعمار الإسباني؛ بينما استخدمت اللغة الهولندية بشكل واسع في إندونسيا المحتلة من قبل الهولنديين. ولا تقل اللغة البرتغالية عن نظيرتها أهمية، فقد احتلّ البرتغاليون "ملاكا" عام 1511م، كما احتلوا الجزر الإندونيسية الكثيرة، منها: سولاويسي (Sulawesi) ومالوكو(Maluku)، وتورنادو (Ternado)، وجزر تيمور الشرقية (Timor Timur، وبدأت اللغة البرتغالية في الانتشار. كما استقرت عائلات برتغالية وما زالت قائمة في ملاكا الماليزية وفي الجزر الإندونيسية، وهم يتكلمون بلغتهم الأم داخل مجتمعهم، ومن ثم فإنهم يتوارثونها جيلاً عن جيل، غير أنها لغة تختلف عن اللغات الآسيوية العرقية المحلية مثل الصينية والتاملية؛ إذ لا توجد أية مدرسة عامة لتعليمها.[15]

لا يخفى على الآسيويين أن اللغة الإنجليزية تنافس تنافسًا شديدًا لغات أخرى في أرخبيل الملايو؛ إذ يلاحظ بسهولة في إندونيسيا والفلبين أن اللغتين الهولندية والإسبانية تنحسران حاليًا بعد فترة الاستعمار مقابل اللغة الإنجليزية التي تتقدم بسرعة في هذا المجال ويزداد تعليمها للاستفادة من جديدها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الظاهرة ليست ظاهرة خاصة بإندونيسيا والفلبين؛ ففي كل بلدان العالم يتم إدخال اللغة الإنجليزية بوصفها لغة تكنولوجيا وتجارة نظرًا إلى التغلغل الاقتصادي الأميريكي البريطاني.

ثانيًا: عوامل الصراع اللغوي بين اللغات في أرخبيل الملايو ومظاهرها: ما من شك في أن اللغة عامل أساسي في بناء الأوطان والوحدة والانتماء، كما أنها تعد من أهم عوامل الانقسام والأزمات خاصةً في الوطن الذي ينتمي سكانه إلى أكثر من لغة واحدة ودين واحد كما هو حاصل في أرخبيل الملايو بسبب عوامل نجملها في الآتي:

1. **هجرات العناصر الصينيية والهندية:** بات من الواضح أن من أهم عوامل الصراع في أرخبيل الملايو حصول هجرات غير شرعية وناشزة، أدت إلى تغيير الخريطة اللغوية لدول كثيرة في المنطقة، كما حدث في ماليزيا وسنغافورة؛ إذ قام الاستعمار البريطاني باستجلاب الصينيين والهندوس للعمل في المطاط والقصدير وأيضًا لتمزيق النسيج الاجتماعي الملايوي المسلم؛ إذ بات يشكِّل هؤلاء المهاجرون الصينيون الناطقون بالصينية والإنجليزية والهنود الناطقون بالهندية والتاميلية والإنجليزية ما لا يقلّ عن 40% من عدد سكان ماليزيا، و75% من عدد السكان في سنغافورة. في حين لا تبلغ نسبة الملايويين المسلمين أصحاب الأرض الحقيقيين غير 60% من السكان بماليزيا، و25% في سنغافورة المنفصلة عن ماليزيا سنة 1965م.

بدأ الصراع اللغوي يتضخَّم في أرخبيل الملايو، وقذ ظهرت جماعات تدافع عن لغتها الأقلية، وهي تمثِّل تجمعًا دينيًا وعرقيًا وسياسيًا، ونضرب مثلاً لهذه الظاهرة بهؤلاء الهندوس المتحدثين باللغة التاميلية في ماليزيا وسنغافورة الذين يُعدّون من العناصر المهاجرة، وقد يكونون من الأغنياء أو الفقراء أو من التجمعات السياسية المختلفة لكن مع مرور الوقت جمعتهم اللغة التاملية تحت رباط الوحدة العرقية والدينية والحالة نفسها تنطبق على التجمعات العرقية الأقلية الأخرى. ولا ريب في أن نزوح العناصر الأجنبية الآسيوية من الصينيين والهندوس إلى ماليزيا – علاوة على هيمنة الصينيين على المصالح التجارية في هذه البلدان–يستجلب معه الصراع اللغوي كما فصَّل خبراء علم اللغة الاجتماعي.

2. تجاور اللغات وخطر احتكاكها: لا شكَّ في أن الصراع اللغوي ينشأ من تجاور أو معايشة لغات لبعضها البعض واحتكاكهما، سواء أكانت هذه اللغات لأمتين مختلفتين أم لأمة واحدة. إن الشعوب في أرخبيل الملايو ذات لغة واحدة ولكنها تتخذ لغات أخرى في بعض شؤونها الحيوية، مثل تدريس بعض العلوم وخاصة العلوم التطبيقية كالرياضيات والطب والهندسة وغيرها في المعاهد والجامعات، شأنها شأن بعض البلاد الإسلامية الأخرى. ومن ثم فرضت على نفسها صراعًا لغويًا كان بإمكانها دفعه لو أنها استخدمت لغتها الأصلية في هذه المعاهد أو تلك المصالح الحيوية.

إن المسألة الألسنية في تايلاند قد رافقت تاريخ هذا البلد الحديث؛ فالثنائية اللغوية قد نصَّت عليها قوانين الدولة منذ الحكم الملكي المطلق؛ أما الولايات التايلاندية الجنوبية الأربع فهي منطقة يقطنها أغلبية المسلمين الملايويين، وإن كانوا أقلية على مستوى الوطن. وإن كفاح الأقليَّة الملايوية في الجنوب التايلاندي هي في سبيل المحافظة على هويتها الإسلامية ولغتها الملايوية وتراثها الديني وحروفها العربية. ومنذ قيام الدولة الملكية التايلاندية حتى الحرب العالمية الثانية كان الملايويون (الفطانيون) في أغلبهم يعملون في مجال الزراعة، وكان عدد

المتعلمين منهم قليلاً جدًّا بالنسبة إلى السياميين؛ ما جعل استعمال اللغة الملايوية يقتصر على سكان الولايات الفطانية الأربع؛ إلا أن الملايويين في تايلاند في النصف الثاني من القرن العشرين صاروا ينظِّمون أنفسهم؛ إذ ظهرت قيادات شابة تطالب بالمساواة؛ ما أتاح ظهور حركات فطانية تدعو إلى استقلال فطاني الملايوية عن تايلاند.[16]

3. بداية الاستعمار: لقد جاء المستعمرون إلى هذه المنطقة بكل كوادرهم اللغوية والأدبية والتخطيطية، فقام هؤلاء بأدوارهم في نشر لغتهم الأوربية عن طريق دراسة اللغة المحلية المختلفة من كل جوانبها الصوتية والمعجمية والتاريخية، ونجحوا في غزو اللغة المحلية وإدخال جوانب كثيرة من اللغات الأوربية من المفردات والكلمات والحروف اللاتينية، ونظام التحليل الصرفي والنحوي وإعداد المعاجم والدراسات اللغوية، كما نجحوا في تهميش الألفاظ العربية الكثيرة وإسقاطها من المعاجم الملايوية الرسمية، وعدَّت هذه الألفاظ مجرد كلمات خاصة لبعض المناطق. وقد سلك الاستعمار المسالك الآتية:

1.1 دراسات لغوية متعددة: ظهرت دراسات لغوية متعددة قام بها الاستعمار البريطاني لصالحه، فحاول خبراؤه إحصاء عدد الألفاظ العربية في اللغة الملايوية. وقد بدأ المستشرقون هذه المحاولات منذ القرن الثامن عشر الميلادي؛ لكن لم يوفقوا لعدم إلمامهم التام باللغتين العربية والملايوية. وقد أورد بيج (Beg) نتائج هذه الدراسات؛[17] حيث ذكر أن هويسن (Howison) في عام 1801م استخرج 150 كلمة عربية من الملايوية، وفي عام 1902م توصَّل شاليبير (Shellabear) إلى 285 كلمة، تم تراجع عدد هذه الكلمات في عام 1910م على يد شويتنهام (Swettenham) إلى 219 كلمة. وفي عام 1921م، ازداد العدد بشكل متزايد على يد وينستد لنجي (Winsteadt–Linggi) حتى وصل إلى 1001 كلمة، وفي عام 1961 وضع ولكينسن (Wilkinson) قاموسًا أشار فيه إلى 892 كلمة ملايوية من

أصول عربية ثم قام وينستد (Winstedt) في عام 1964م بإعداد قاموس آخر أعلن فيه عن النتيجة نفسها التي توصَّل إليها ولكينسن، وهي 892 كلمة. لقد أثَّر هؤلاء الإنجليز سلبيًا في الماليزيين المهتمين بالعمل المعجمي. وقد ترتَّب على هذا التأثير عدم الاعتماد على ألفاظ عربية كثيرة متوغِّلة في اللغة الملايوية واعتبارها مجرد لهجة من اللهجات فسقطت بذلك الآلاف من الكلمات العربية المستخدمة على امتداد الوطن.

أما على صعيد الأبحاث المحلية، فقد توصَّل بعض الباحثين من أبناء اللغة الملايوية في دراسة الألفاظ العربية المقترضة إلى نتائج أكبر بكثير من تلك التي توصَّل إليها هؤلاء المستشرقون. ففي عام 1931م توصَّل محمد سعيد بن سليمان إلى 1725 كلمة، وفي عام 1941م أعلن حميد بن أحمد الرقم القياسي باكتشافه 2000 كلمة،[18] وفي عام 1987م أعاد عمران كاسمين (A. Kasimin) حصر الألفاظ العربية المقترضة فحصل على 1679 كلمة.[19]

وقد بحث المجمع اللغوي الماليزي في أصول الكلمات الملايوية أثناء القيام بتأليفه قاموس الديوان (Kamus Dewan)؛ حيث وضع علامات خاصة للألفاظ المقترضة للإشارة إلى اللغة التي جاءت منها، وقد احتلت حصيلة الألفاظ العربية المقترضة في اللغة لملايوية المرتبة الثانية بمجموع 1117 كلمة فقط، بعد الإنجليزية التي بلغ عدد ألفاظها المقترضة 1556 كلمة.[20] ولكن هذه النتيجة التي توصَّل إليها المجمع لم ترضِ بعض الباحثين، فقد صرَّح عمران كاسمين أن قاموس الديوان لم يتحَرَّ الدقة في تعيين الألفاظ العربية المقترضة؛ إذ أغفل الإشارة إلى بعض الألفاظ العربية الشديدة الوضوح، مثل: awal (أول)، وberkat (بركة) وghalib (غالب)، وhemah (همة). كما أعاد أرسل إبراهيم إحصاء الألفاظ العربية المقترضة في قاموس الديوان فاستدرك 205 كلمة لم يُشر إليها.[21]

لقد كان الملايويون كغيرهم من الشعوب الحرة في بدايتها لا يقبِلون على اللغة الإنجليزية كرهًا في الاستعمار نظرًا لما جلبه عليهم من سلب حرية وخيرات كانوا

ينعمون بها من قبل. وقد عبَّر وليم مارسدن W. Marsden)) أثناء وضعه قاموس اللغة الملايوية (Dictionary of the Malayan Language) عام 1812م، عن استيائه لوضع اللغة الإنجليزية في منطقة أرخبيل الملايو؛ حيث ذكر أن الألفاظ الإنجليزية التي أحصاها في اللغة الملايوية في ذلك الحين لم تتجاوز خمسة ألفاظ فقط. وبعد قرن من الزمان، أعلن ولكينسن (Wilkinson) عام 1901م في قاموسه ملايو-إنجيزي (Malay –English Dictionary) عن دخول 198 كلمة إنجليزية في قائمة الألفاظ الملايوية، وهي نسبة ضئيلة جدًا تمثل 1% من مجمل الألفاظ الملايوية التي كانت تبلغ 20000 كلمة في ذلك الوقت.[22]

ولكن مع بزوغ شمس النهضة العلمية والفكرية الحديثة في مطلع عصر العولمة وتسلم الإنجليزية زمام القيادة، فقد استطاعت اللغة الإنجليزية أن تفرض نفسها على العالم بأسره. ولم تكن اللغة الملايوية بدعًا عن غيرها من اللغات، فقد جرفها سيل الثورة العلمية التي رجت لأصدائها المعمورة. وبعد قرن من الصمود، انهار أرخبيل الملايو واستسلم للغزو الإنجليزي اللغوي والثقافي، وتمكنت ألفاظ إنجليزية كثيرة من التسرب طواعية إلى القاموس الملايوي. وما كدنا نصل إلى منتصف القرن العشرين حتى وجدنا أن اللغة الإنجليزية قد نجحت في بناء قاعدة صلبة في محيط اللغة الملايوية، ولم يمض وقت طويل حتى تجاوز عدد الألفاظ الإنجليزية الدخيلة عدد الألفاظ العربية[23] التي عكفت الملايوية على جمعها وتحويرها قرونًا عدة.[24]

2.1 إدخال نظام التحليل الصرفي والتركيبي الغربي وإهمال النظام اللغوي العربي: لقد تمَّ إدخال نظام التحليل الصرفي والتركيبي الغربي وإهمال النظام العربي السائد في أنظمة اللغة الملايوية، فتحوّلت أقسام الكلم الملايوية إلى تقسيم سباعي[25] يتأثّر بالنحو البنيوي، أو تقسيم رباعي يتأثر بالنحو التوليدي التحويلي [26] كما نراه الآن في الكتب النحوية المعتمدة في ماليزيا، بعد أن كانت ثلاثة، وهي:

اسم، وفعل وحرف. وهو تقسيم تاريخي أيَّده العلامة اللغوي الملايوي " زَعْبا" (Zaaba) في كتابه الموسوم بـ: مصباح اللغة (Pelita Bahasa).[27] كما ذهب إلى هذا التقسيم الرائد النحوي الملايوي راجَ علي الحاج (R. A. Haji) في أوّل كتاب نحوي للغة الملايوية كتبه ملايوي أصيل بعنوان: بستان الكاتبين Bustanul (Katibin)، سنة 1857م. وقد علَّق عليه الباحث الماليزي أوانج ساريان A. (Sariyan) بإن نحو اللغة الملايوية بعد كتاب بستان الكاتبين بدا واضحًا أنه متأثر بالنحو العربي. بل أكّد اللغوي الإندونيسي هاريمورتي كيريدلكسانا (.H) Kridalaksana أن هيكل تقسيم الكلم للغة الملايوية حسب تقسيم راجَ علي الحاج قد تأثر بهيكل تقسيم الكلم في النظام اللغوي العربي. هذا وقد استخدم راجَ علي الحاج مصطلحات: (nama) و(perbuatan) و(harf) لأقسام الكلم الثلاثة وهو ترجمة حرفية من أقسام الكلم العربية.

3.1 ابتعاث الطلاب الملايويين إلى أوربا والقضاء تدريجيًا على الحرف الجاوي: لقد فضَّل المثقفون المتشربون بثقافة غربية والمسيطرون على دوائر الدولة المصطلحات الصرفية النحوية الغربية أو السنسكريتية؛ حيث يُستخدم المصطلح (Tatabahasa) السنسكريتي (Sanskrit) –اليوم على سبيل المثال–بدلاً من مصطلح "النحو" (Nahu) العربي المستخدم من قبل. ومع ذلك فقد استخدمت اللغة الملايوية الماليزية اليوم كلا من الحروف العربية الجاوية واللاتينية، وصار يُفضَّل استخدام الحروف الرومانية في كتابة اللغة الماليزية. لقد قام أصحاب الثقافات الغربية من الماليزيين بإنشاء مدارس تدرِّس اللغة الإنجليزية وبعض المواد الأكاديمية في المدن الكبرى، كما بعثوا الطلبة النجباء إلى أوربا فتدرَّبوا على علمائهم ومدارسهم وآمنوا بأفكارهم جلها أو بعضها، وطبقوها بعد عودتهم إلى الوطن. وقد آمنوا بأفضلية الكتابة اللاتينية على الكتابة العربية الجاوية السائدة فنظَّموا نشاطات لغوية، كما أقاموا دورتين لغويتين باسم المؤتمر اللغوي الوطني التاريخي بماليزيا في عام 1942م و1945م؛ حيث فشلت المحاولة الأولى وأجّلت

إلى الثانية، وتمّ اتخاذ موقف من شأنه أن يسهم في تعزيز كتابة اللغة الملايوية على النمط الروماني؛ إذ أمدّت الدراسات الغربية هؤلاء المؤيّدين للكتابة على النمط الروماني بمزيد من الأبحاث العلمية واللغوية التي أمكنها تقويض آراء المحافظين فنجحوا بذلك في إلغاء الحروف العربية الجاوية السائدة واحتلت مكانها الحروف اللاتينية، بالإضافة إلى أنه تمَّ اتخاذ إجراءات وقرارات لغوية أخرى خطيرة، على الرغم من بقاء مملكة بروناي دار السلام وفيَّة للنمط العربي في الكتابة الملايوية في بعض مجالاتها، خاصة اعتمادها على الحروف العربية الجاوية بوصفها كتابة رسمية للمملكة.[28]

4. الدين من أهم مصادر الصراع: ما من شك في أن الدين يعد أهم مصادر الصراع في تحديد مكانة اللغة في جنوب شرقي آسيا، مع أن هذه البلدان لا تمتلك لغة دين ثابتة، لكن نجد دائمًا أن كل الأديان في تلك المنطقة كغيرها مرتبطة بلغات معيَّنة في مؤسسات الدولة وفي الإعلام والتقاليد، وكذلك في المساجد أو الكنائس والمعابد.[29]

وفي جنوب شرقي آسيا جاء التصنيف اللغوي على أساس ديني لا ينحصر فقط في اللغات العربية الفصحى (الإسلام) أو اللاتينية (المسيحي)؛ لكن تبرز في الساحة أيضًا لغات أخرى، مثل: بالي، وتاميل (الهندوسية)، وتاي، وصينية (البوذية). كما نلفي اللغات الملايوية الوطنية والعربية الخاصة بالمسلمين، والصينية الخاصة بالصينيين والهندية الخاصة بالهنود، واللغة العرقية الخاصة بالأعراق المعينة واللغة الإنجليزية التي يتحمس لها الكثيرون. كل هذه اللغات في أرخبيل الملايو تتصارع فيما بينها للحصول على استحقاقات أكبر في المنطقة، وقد تحوَّل هذا الموضوع إلى مسألة في غاية الحساسية، انقسمت حولها الآراء؛ حيث انتهت ماليزيا إلى الفتنة الطائفية الدامية في 13 مايو 1969م.

ثالثًا: خطورة هيمنة اللغة الهولاندية واللغة الإنجليزية: كانت اللغة الهولاندية والإنجليزية في أرخبيل الملايو قبل الاستقلال تشكِّل عاملاً حاسمًا لتأهيل المواطنين للحصول على الشهادات المدرسية، وللالتحاق بالمؤسسات التعليمية العالية والحصول على المنح الدراسية، وكذلك الحصول على فرص العمل في المصالح الحكومية. وهي خاصية كانت تتمتع بها اللغة الإنجليزية والهولاندية؛ أما اللغة الملايوية فلم تكن تؤدي دورًا ملموسًا حتى في المدراس الابتدائية إلا في المناطق القروية. بينما نجد المدارس الهولاندية والإنجليزية قد نشأت في المدن الكبرى وفي مناطق يقع معظمها في الجهة الغربية من ماليزيا في الحدود مع سنغافورة وعواصم إندونيسيا وبروناي دار السلام والمدن الكبرى التي تسكنها طبقات مرموقة من المواطنين. وبما أن هذه المدارس لا تتواجد في المناطق القروية، فلم يكن يلتحق بها أبناء الملاويين العاديين. ونتيجة لهذا الوضع، انقسم المواطنون انقسامًا طبقيًا لغويًا خطيرًا.

إن الصينيين القاطنين في المدن ألحقوا أولادهم بالمدارس الإنجليزية والهولاندية؛ أما الملايويون في القرى فقد ألحقوا أبناءهم بالمدارس الوطنية، بينما نجد الصينيين القرويين قد ألحقوا أبناءهم بالمدارس الصينية المعروفة، كما أن الهنود حوّلوا أولادهم إلى المدارس التاميلية. من هنا جاء التمييز والتقسيم بين المواطنين داخل الوطن الواحد؛ أي بين الملايويين أصحاب الأرض الحقيقيين القاطنين في القرى، وبين الصينيين المقيمين بالمدن ممن استجلبهم الاستعمار. بل انقسم الملايويون أنفسهم بين هؤلاء القاطنين بالمدن وضواحيها، وغيرهم من القاطنين بالقرى والأرياف.

من جانب آخر، نلفي المدارس الإنجليزية والهولاندية كانت تقدِّم فرصًا واسعة للتعلم إذ امتدت المدارس من هذا النوع من الابتدائية الأولى مرورًا بالإعدادية والثانوية والعالية وقد تنتهي بالجامعات. بينما لم يحصل الطلاب الدارسون باللغة الملايوية قبل الاستقلال على فرص الدراسة إلا في السنة السادسة الابتدائية فقط

وكانوا يعانون صعوبات بالغة للالتحاق بالمدارس الثانوية والجامعات التي كانت تستعمل لغات غير اللغة الأم.[30]

أدّت هذه الاستيراتيجية الخطيرة التي طبَّقها المستعمر الإنجليزي إلى انقسام خطير بين الجنسيات، أو كما عبرت عنه الخبيرة اللغوية أسمه عمر بقولها: "لقد كانت بمثابة البركان الذي تحترق جذوره في داخل الأرض وكان ينتظر ساعة الانفجار في أية لحظة مناسبة".[31] فالاستعمار الإنجليزي قسَّم نظام المدارس إلى أربعة أنظمة لغوية؛ إنجليزية وملايوية وصينية وتاميلية، ومن ثم تحقق ذاك التقسيم العنصري واللغوي، نجم عنه تتويج اللغة الإنجليزية بوصفها اللغة الوحيدة التي ترفع من مستوى المرء اجتماعيًا واقتصاديًا، وتهيئ له مستقبلاً مضمونًا؛ إذ من شأن ذلك أن يجعل المواطنين يتنافسون فيما بينهم لدراستها رغبًا ورهبًا. [32]

وقد سجلت أسمه عمر بأن معظم الميزانية الحكومية المخصصة للتعليم بماليزيا ذهبت إلى المدارس الإنجليزية، وليست إلى المدارس الملايوية، وهذا واضح لمن يطلع على المواثيق التعليمية حينذاك خاصة التقارير المعروفة بـ " A Summary Report"[33] الصادرة من الوزارة التعليمية لعام 1983م والتي تنص على أن 83% من الملايويين بعثوا أولادهم إلى المدارس الوطنية، بينما تميل الطبقة الميَسَّرة منهم خاصة بالمدن إلى إلحاق أبنائهم بالمدارس الإنجليزية المعروفة بالتفوق الأكاديمي للأسباب المادية، ونظرًا إلى التسهيلات وهيئة التدريس والبنية التحتية وغيرها.[34] وكل هذا التمايز يزيد من تأجيج الصراع اللغوي، لاسيما وأن اللغة الإنجليزية ما زالت تتمتع بمكانة عالية حتى اليوم؛ إذ إنها تعد لغة ثانية إجبارية يجب تدريسها لجميع التلاميذ والدارسين في ماليزيا بخاصة وفي أرخبيل الملايو بعامة.

وفي ظل هذا الوضع لإثبات الهويات قام نوع آخر من المدراس الدينية أنشأها العلماء المسلمون الواعون بخطر التبشير المسيحي حفاظًا على عقيدة الأمة. وقد قامت هذه المدراس الدينية باستعمال اللغة العربية أو الكتابة الملايوية الجاوية

القديمة لتدريس طلابها اللغة العربية والمواد الدينية، مثل: الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والأخلاق وغيرها، بحيث يواصل الخريجون فيها دراساتهم العليا في البلدان العربية والإسلامية وجامعاتها المختلفة.[35]

رابعًا: حلول مقترحة لمشكلة الصراع اللغوي بأرخبيل الملايو: اللغة عامل أساسي في احترام الجماعات الطائفية للوطن، فهي التي تقوِّي الشعور بالانتماء إلى الوطن، وتُنمِّي الحاجة إلى التعاون بين المواطنين، وتربط الفرد بأسلافه وتراثه وتساعد على تطوير النظام التعليمي بحيث تتاح للجميع فرص التعلُّم.[36]

لا بد هنا، من أن نقترح حلاًّ ناجعًا لهذا الصراع اللغوي الخطير. ونعتقد ابتداء على السلطة أن تبدي محاولة جادة عبر التخطيط اللغوي لإيجاد الحلول المناسبة لمسائل اللغة في المجتمع، بحيث لا ينحصر التخطيط اللغوي بعمل الحكومة فقط وإنما بإمكان مؤسسات وأجهزة تمكِّنها السلطة من القيام بهذه المهمة الكبرى؛ إلا أن عمل الحكومة يبقى دائمًا عملاً أساسيًا في هذا المجال. وفي المنطقة الملايوية أولت الحكومات الملايوية الثلاث بماليزيا وبروناي وإندونيسيا اهتمامًا بالتقريب بين اللغات الملايوية الماليزية والإندونيسية والبروناوية وبتوحيد الكتابة والإملاء تحت مشروع ما يسمى بـ "مجلس اللغات الماليزية والبروناوية والإندونيسية المشتركة (MABIM)". وفي بروناي ألزمت الحكومة المؤسسات الرسمية اعتماد الكتابة العربية الجاوية، كما التزمت الحكومة بجمهورية إندونيسيا بدعم اللغة الملايوية لأسباب تعود إلى صراع اللغات ضمن الاتحاد الإندونيسي. تجدر الإشارة إلى أن تسلُّم الحكومات لملف التخطيط في المجال اللغوي ليس فيه ضمان أكيد في أن التخطيط سيؤدي إلى النتائج المرغوبة فيها. ومحاولات الحكومات الماليزية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي للاستغناء عن الرسم الكتابي العربي الجاوي خير مثال على فشل السياسة اللغوية.

ومن ثم نعتقد أن أهم الخطوات لتقديم الحلول لهذه الإشكالات اللغوية هي على النحو الآتي:

1. مواجهة الصراع اللغوي من خلال مبادئ التخطيط اللغوي السليمة: يستدعي التخطيط اللغوي دراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل، ووضع خطط العمل وتقييمها والالتزام بالخيار المناسب وتنفيذ الخطط، ومراقبة النتائج. لذلك ينبغي على المسؤول عن التخطيط أن يلم بقضايا اللغة في المجتمع قبل البدء بعمله وأن يتحرى المشكلات اللغوية ويقف على خطورتها، وأن يدرس العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع. أمام هذا الواقع يثور السؤال الآتي: ما هي خيارات اللغويات الاجتماعية المطروحة أمام الدول بأرخبيل الملايو تجاه هذا الواقع؟ على الرغم من أن تفاصيل التخطيط متنوعة من بلد إلى آخر، فغالبًا ما يأخذ هذا التخطيط أحد الاتجاهات منها:[37]

أ-اتجاه سلبي يتمثل في محاولة إزالة كل اللغات باستثناء لغة واحدة أو لغتين. وهذا الاتجاه يهدف إلى إزالة التعددية اللغوية وإلى دمج الأقليات لاسيما الإسلامية في بوتقة الثقافة الوطنية الواحدة. وهذا للأسف طُبِّقَ حديثًا في جنوب تايلاند حيث تتواجد الأقلية الإسلامية الملايوية الفطانية وذلك على حساب اللغة الملايوية والعربية المنتشرة في ولايات جنوب تايلاند.

ب-الاعتراف بالتعددية اللغوية، والمحافظة على اللغات الأساسية في إطار الدولة وتبنِّي لغة واحدة رسمية تخدم التواصل بين المقاطعات في داخل الدولة الواحدة. وهذا الاتجاه يعترف بالتعددية الثقافية كطابع تتَّسم به الدولة، وتسلك الدول الملايوية الثلاث-ماليزيا وإندونيسيا وبروناي-هذا الاتجاه الإيجابي الذي يحاول أن يتوافق مع التخطيط اللغوي والتركيبة اللغوية الوطنية. هذا الاتجاه يحاول إقامة المساواة بين المجموعات اللغوية التي تتكون منها البلاد.

2. تحديد الاستحقاقات اللغوية: لقد وعى رجال السياسة أهمية الصراع اللغوي في قيام الدول كما أشار إلى ذلك بوضوح فخته (Fitche). إن التخطيط اللغوي

الناجح الذي يتناسب مع تطلعات الشعب في أرخبيل الملايو، يستدعي ابتداء وضع خطط العمل المنصفة وتقييمها والالتزام بالخيار المناسب على النحو الآتي:

1.2 إقرار اللغة الملايوية لغة وطنية: ينبغي على المسؤولين السياسيين في أرخبيل الملايو أن يلموا بأهمية اللغة الملايوية في المجتمع، وأن يقوموا بتشخيصها قبل البدء بالعلاج، وأن يدرسوا العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتربوية التي تتداخل مع المسائل اللغوية في هذا المجتمع المتعدد اللغات. وهذا ما يحدث في أرخبيل الملايو حيث اعترضت الأقليات الملايوية المسلمة في جنوب تايلاند والفلبين وسنغافورة عن تهميشها لما شعروا بثقل الاضطهاد اللغوي؛ إذ ما فتئت تلك الحكومات –من حين لآخر–تسعى إلى استئصال الثقافة العربية والملايوية وهويتها الإسلامية من التعليم والدوائر الرسمية والحيوية.

كان دستور ماليزيا سنة 1957م (Perlembagaan Malaysia) قد نصّ على أن اللغة الوطنية هي اللغة الملايوية؛ ولكن الدستور نفسه لا يمنع أي ماليزي من أن يتعلَّم أية لغة بيناكولارية (Vernacular) أو عرقية كاللغة الصينية والتاميلية. وقد استكمل هذا النص الدستوري بقرار لغوي آخر جاء في سياق قرارات اللغة الوطنية لعام 1967/1963م المعروفة بوثيقة اللغة الوطنية (Akta Bahasa Kebangsaan). وينص قرار رزاق لعام 1956م (Penyata Razak 1956) على أن اللغة الوطنية هي التي تستخدم في مجال التعليم والتعلم. فضلاً عن ذلك جعلت الحكومة الماليزية مادة اللغة الماليزية مادة إجبارية في قرار رحمن طالب لعام 1960م (Penyata Rahman Talib 1960). [38] فاللغة الوطنية في ماليزيا وإندونيسيا وبروناي هي اللغة الملايوية.[39]

هذا وقد أسَّست الحكومة الماليزية المجمع اللغوي الماليزي الذي سمي بمجمع اللغة والكتب Dewan Bahasa dan Pustaka))، وكان الهدف من تأسيسه هو إثراء اللغة الوطنية بالمفردات والثروات اللغوية الجديدة وتطويرها، وتقديم المهارات الأدبية في اللغة الوطنية، ونشر الكتب والمجلات والمقالات في اللغة

الوطنية، وما إلى ذلك. وهو بذلك يتخذ خطوات عديدة لتحقيق الأهــداف المرجــوة منها: تأسيس المكتبة اللغوية، ونشر المجلات الشهرية، وإقامة حملة اللغة الوطنيــة وتوفير الهدايا لمسابقة الكتابة باللغة الملايوية، كما قام المجمع بتدوين المصطلحات العديدة وتأليف القواميس.[40]

إن النظرة إلى الدستور الماليزي الموضوع ســنة 1957م كافيــة لأن تُظهــر بوضوح موقف الحكومة الماليزية من إقرار اللغة الملايوية مع الإبقاء في الوقــت نفسه على اللغة الإنجليزية؛ ففي المادة 72، ينص البند الأول على الآتي: ســتكون اللغة الرسمية للاتحاد هي اللغة الملايوية وسيكون الشكل المستعمل في المعــاملات الرسمية في الاتحاد كما جاء في شكل الحروف الملايوية العالمية.

2.2 التخطيط للغة العربية والاهتمام بها بوصفها لغة دينية: إن وجــود أمــة ملايوية قائمة ذات شخصية متميزة وكيان مستقل وذات تقاليد وأعــراف وطبــائع نفسية وسلوكية مرتبط تمام الارتباط ببقاء لغة هذه الأمة، بل مرتهن بحياة هذه اللغة أو موتها. تأتي هذه الشخصية الحضارية لتعزيز أهمية اللغة العربيــة للملايــويين نظرًا إلى ارتباط اللسان العربي بالملة الحنيفية دين الإسلام. ولا غرو فقد جــاءت خاتمة رسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مبين، وقد كانت هذه الرسالة هي الدين الذي أراد الله سبحانه ظهوره وهيمنته في الأرض على سائر الملل والأديــان الأخرى، بل حذّر الله البشرية من التعبُّد بسواه﴿ ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِينــاً فَلَــن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾(آل عمران: 85)، فكــان –كمــا هــو معلوم–أن نزل القرآن بلغة العرب.

ومن هنا يمكن القول أنّ أية محاولة للقضاء على اللغة العربية أو النيــل منهــا يصطدم بالمجتمع ويصيِّره مجتمعًا ضائعًا وفاشلاً. ولهذا من الخطأ الفادح مزاحمة اللغة الوطنية والعربية الدينية باللغات الأخرى في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية على العموم والملايوية على وجه الخصوص. فليس هناك مبــرر يجعــل اللغــات

الأخرى تُفرض في المدارس على جميع الطلبة وعلى غالبيتهم، وفي كل المستويات.

إن الحكومة الماليزية لا تمنع الماليزيين من أن يتعلموا لغات أخرى أو يتكلموا بها شريطة ألا يهملوا اللغة الوطنية. وقد أجازت الحكومة– حسب قرار خاص يتعلق باللغة الوطنية 67/1963–ما نصه: "يسمح للماليزيين أن يكتبوا بالحروف العربية واستخدام أرقامها".[41] ومن هنا بدأت خطوات في تحسين وضع اللغة العربية في ماليزيا، وما زالت هذه الخطوات مستمرة ومثمرة.

إن اللغة العربية تؤثر في مجال التربية أكثر من مجالات أخرى. وتعد اللغة العربية إحدى المواد الدراسية في المدارس الحكومية المركزية والمدارس الأهلية وغيرها. وقد دخلت مادة اللغة العربية في نظام التربية الماليزية بعد أن اُعتمد مشروع "إسلامية المعارف والعلوم" (Islamization of Knowledge)، انبثق من "تقرير مجلس الوزراء لعام 1971م" (Laporan Kabinet 1971)، وكان التقرير يدعو إلى وضع المحتويات الإسلامية والقيم الأخلاقية الكريمة في نظام التربية في ماليزيا. وفي هذا الصدد رأى الأستاذ المبرز كمال حسان – مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا الأسبق – " أن اللغة العربية تعدُّ عنصرًا من عناصر أسلمة التربية في ماليزيا".[42] وفي الواقع أنها تُدرَّس لأجل فهم القرآن الكريم والحديث الشريف والإحاطة بأمهات الكتب التراثية الإسلامية والاستفادة منها.[43] ولها أهمية كبرى في الاتصالية العالمية وإتقان مهارتي القراءة والكتابة.

طبعًا لا تدرَّس اللغة العربية في كل المدارس الابتدائية والثانوية؛ لكن تدرَّس في بعض المدارس الثانوية الدينية والعربية، كما تدرَّس في بعض المدارس غير الدينية المختارة كالمدارس الحكومية اليومية. وبما أنها تنتظم وزاريًا مع المدارس الحكومية المركزية فهي تتبع المنهج الذي وضعته وزارة التربية، كما تشارك في الامتحانات الوطنية المركزية المختلفة كالامتحان الثانوي المتوسط (PMR) والشهادة الثانوية العامة الماليزية (SPM)، والشهادة العالية المدرسية الماليزية

(STPM)، والشهادة العالية الدينية الماليزية (STAM). كما بذلت وزارة التربية الماليزية جهدًا عظيمًا –في الآونة الأخيرة– في إعداد مادة اللغة العربية لجميع تلاميذ المدارس الابتدائية الحكومية.

ينقسم برنامج اللغة العربية في الجامعات إلى برنامج اللغة العربية للمتخصصين وبرنامج اللغة العربية لغير المتخصصين. إن المراد باللغة العربية للمتخصصين هو حصول أصحابها على شهادة في اللغة العربية وآدابها سواء أكانت هذه الشهادة في مرحلة البكالوريوس أم الماجستير أم الدكتوراه. وهذا البرنامج يُدرَّس في الجامعات الحكومية المركزية وغيرها، ومن تلك الجامعات الحكومية نجد الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا (IIUM)، والجامعة الوطنية بماليزيا (UKM)، وجامعة بوترا الماليزية (UPM)، وجامعة ملايا (UM)، وجامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM) وجامعة السلطان زين العابدين (UNISSA) بولاية ترجانو، ومعاهد المعلمين الماليزية (IPGM). كما تُعِدُّ الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا والجامعة الوطنية وجامعة ملايا والجامعة الوطنية برامج اللغة العربية في مراحلها الشاملة؛ البكالوريوس والماجستير والدكتوراة. وأما جامعة بوترا وجامعة السلطان زين العابدين فتعدان اللغة العربية لمرحلة البكالوريوس ((اللّيسانس)) فقط. وإلى جانب ذلك، نجد الماليزيين يدرسون اللغة العربية في الجامعات أو الكليات شبه الحكومية أو الأهلية التي تُصْدِر شهادات البكالوريوس الليسانس في اللغة العربية بالتعاون مع الجامعات العربية المختلفة، منها: الكلية الجامعية الإسلامية (KUIS) بولاية سلانجور دار الإحسان (Selangor)، والكلية الإسلامية بولاية جوهر (Johor) والكلية الإسلامية العالمية (KIAS)، بولاية كلنتان والكلية الإسلامية (IKIP) بولاية باهنج (Pahang) وغير ذلك. وقد درِّست اللغة العربية –في الجامعات– لغير المتخصصين، فيدرسها الطلبة بوصفها إحدى متطلَّبات التخرج أو بوصفها مادة إضافية أو مادة ثانوية. وكل الجامعات الحكومية

المذكورة تعد برنامج اللغة العربية لغير المتخصصين.

خلاصة القول فإنه ينبغي علينا ألا نكتفي بالاستحقاقات العربية الحالية، بل يجب علينا أن نسعى جاهدين لتخطيط الفرص العديدة للغة العربية في عصر العولمة والتغلب على الإشكالات التي تعترض سبيلها، وذلك مع الاعتراف بأن (التعدد اللغوي المنظَّم)[44] قد أسهم في تنمية أرخبيل الملايو لا سيما ماليزيا.

خاتمة: لقد طوَّحنا في أرخبيل الملايو المتعدِّد الثقافات والديانات، وأبرزنا المشكلة اللغوية، سواء لغة الملايو أصحاب الأرض أم اللغة العربية التي هي لغة الإسلام الذي ابتغاه الملايو دينًا لاسيما في ماليزيا وإندونيسيا وبروناي وفطاني وبعض الأقليات في سنغافورة والفلبين، أم اللغة الدخيلة التي رافقت الاستعمار الإسباني والبرتغالي والهولندي والإنجليزي لأرخبيل الملايو. رأينا كيف كانت اللغة العربية ذات قيمة دينية سعى الاستعمار الأوربي إلى استئصالها؛ حتى أنه نجح في أن جعل لغة الملايو لا تكتَب وفق النمط العربي من اليمين إلى اليسار (اللغة الجاوية)، بل تحوَّلت إلى الكتابة وفق النمط اللاتيني من اليسار إلى اليمين، واستقرَّ الأمر على ذلك ما بعد الاستقلال؛ ولكن على الرغم من هذه الهزائم اللغوية الملايوية والعربية، فقد تعالت أصوات ملايوية تنادي بإحياء اللغة العربية للحفاظ على دينهم الذي توارثوا نصوصه بالخط الجاوي، لا سيما مع بروز سياسة إحياء الأعراق الصينية والهندية لدياناتهم والاهتمام بلغتهم في مناطق ذات أغلبية مسلمة.

كما وجدنا أن الملايويين يعتقدون أن اللغة الملايوية هي لغة دين مرتبطة في جزء كبير منها باللغة العربية، ومن ثم أنشأوا مدارس ومعاهد للاهتمام باللغة العربية بشكل رسمي تحت رعاية الحكومات الماليزية والإندونيسية والبروناوية وذلك من منطلق الحفاظ على اللغة العربية الذي هو طريق أفضل للحفاظ على على التراث الثقافي والعلمي والمعرفي الملايوي المكتوب باللغة العربية، والعمل على إحيائه وانتشاره؛ لأن اللغة العربية باتت جزءًا من هوية الملايويين، فهم يقرأون القرآن الكريم باللغة العربية ومن ثم يمتحون أحكامهم التي تنظِّم حياتهم

العامة والخاصة، وهي أيضًا تمثِّل لهم عنصرًا مهمًّا من عناصر التحدي الذي يشرعونه في وجه أطماع الأعراق المتعايشة معهم، علاوة على العولمة التي جعلت اللغة الإنجليزية مرتكزًا حيويًا وخطيرًا في حياة الملايو الفكرية والمادية وتكاد هي الأخرى تعصف باللغة العربية والتراث الملايوي.

من نتائج البحث ما يأتي:

1-اللغة الملايوية بوصفها لغة سيادية، لا يمكن المساومة حيالها أمام لغات الاستعمار، لا سيما أنها لغة دين أسهمت في توحيد أرخبيل الملايو، وطرد الاستعمار المتعدِّد اللغات والثقافات.

2-اللغة العربية جزء لا يتجزَّأ من اللغة الملايو، كونها تعد حافظة أمينة للتراث الملايوي لا سيما الديني.

3-وعي حكومات أرخبيل الملايو بأهمية اللغة الملايوية في ظل الغزو الثقافي الأمريكي والإنجليزي، وذلك للحفاظ على شخصية الأمة الملايوية، علاوة على إحياء تراثها الديني؛ إذ تعد اللغة العربية بنيته، لا سيما في ماليزيا وإندونيسيا وبروناي.

4-تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية يعد مقترحًا حكوميًا استراتيجيًا للحد من الانتشار المنظَّم للغة الإنجليزية التي لا تعد لغة دين، بل لغة استعمار ما زالت تشكل خطرًا على الهوية الملايوية.

الهوامش والمراجع:

[1] Noss, Richard B: *An Overview of Language Issues in South- east Asia 1950-1980*, Oxford University Press, Singapore, 1984 in Abdullah Hassan (Translator), *Perancangan Bahasa Di Asia Tenggara* , DBP& KPM 1989 , p19.

[2] Ibid, p19.

[3]Oxford University Press, Kuala Lumpur, 1967.

[4] Karim, Nik Safiah, et al: *Tata bahasa Dewan*, DBP, 1992: 1/12. Mees, C.A: *Ilmu Perbandingan Bahasa- Bahasa Austronesia*,

[5] Ibid, 1992: 1/12.

[6] Ibid, 1992: 1/19.

[7] العبودي، محمد بن ناصر: زيارة **لسلطنة بروناي دار السلام**، الرياض: د.ن.، ط2، 1985م ص19.

[8] شاكر، محمود: **إندونيسيا**، بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م، ص 78-80.

[9] سوجيمون، محمد معصوم، وآخرون: "الشيخ داود فطاني وإسهاماته في نشر العلوم الإسلامية بماليزيا"، **في: دراسة عن نخبة المفكرين الملايويين**، مركز البحوث: الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2005م، ص47.

[10] المرجع السابق، ص 58.

[11] Omar, Asmah and Noor Ein Mohd, National Language Medium of Instruction, Kuala Lumpur: DBP and KPM 1981, p 93.

[12] Campbell, George L.: Compendium of the World's Language, London: Routledge, Vol.2, 1991, p1301.

[13] Berita Harian, 25 Disember 2003, p 1-2.

[14] Asmah and Noor, National Language Medium of Instruction, p 200.

[15] ما زالت اللغة البرتغالية منتشرة في الجزر الإندونيسية الكثيرة التي سبق لهم احتلالها منها؛ سولاويسي، ومالوكو، ووتورنادو، وجزر تيمور الشرقية التي استقلت عن إندونيسيا. وهذه المناطق تشكِّل بؤرًا لأعمال العنف المتكررة.

[16] شهاب، محمد أسد: **إندونيسيا المعاصرة**، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر 1971م ص 50-51.

(17) Beg, M.A.J.:Arabic Loan-words in Malay: A comparative Study, The University of Malaya Press, Kuala Lumpur, 1979, p 81.

(18) Karim, Nik Safiah: Pendahuluan, Unsur Bahasa Asing Dalam Bahasa Melayu, Siri Monograf Sejarah Bahasa Melayu, Kuala Lumpur: DBP, 1996, P: xi.

(19) Kasimin, Amran: Perbendaharaan Kata Arab Dalam Bahasa Melayu (Bangi: University Kebangsaan Malaysia, 1987, p 23.

(20) Ibid, p 23.

(21) إبراهيم، أرسل: "التطور الدلالي في الكلمات العربية المقترضة في اللغة الملايوية" رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 1994م، ص 189.

(22) Hsia, Camel Heah Lee: The influence of English on the Lexical of Bahasa Malaysia (Dewan Bahasa dan Pustaka, Kuala Lumpur, 1989), p 52.

(23) Hendershot, V.: First Year of Standard Malay, California: Pacific Press Association, 1943).

(24) انظر الألفاظ المقترضة في الملايوية التي قام بإحصائها قاموس الديوان.

(25) هذا التقسيم من أسمه عمر التي تأثرت بالنحو البنيوي؛ إذ طبَّقته في النحو الملايوي في كتابها: وقد جاء تقسيمها حسب المباني وحدها، انظر:

Omar Asmah Hj: 1975, Essays on Malaysian Lingustics: An Introduction to Malay Grammar, p 172

(26) انظر: Sariyan, Awang: Warna dan Suasana Perancangan Bahasa Melayu di Malayasia (Kuala Lumpur: DBP, 1994 p 186.

(27) بالعربية "مصباح اللغة الملايوية". وقد تأثّر المؤلف المعروف بالفيلسوف"زعبا" في تقسيمه للغة العربية التي تَتغلغَل في اللغة الملايوية. ولا يخلو من التأثر بنحو اللغة العربية ومنه استخدام مصطلحي: Nahu وAyat للدلالة على النحو والجملة.

(28) العبودي، **زيارة لسلطنة بروناي دار السلام**، مرجع سابق.

(29) Noss: An Overview of Language Issues in South- East Asia 1950-1980, p 23.

(30) Omar Asmah: Pengantar Pengajaran Bahasa Malaysia, DBP, Kuala Lumpur, p 4.

(31) Ibid, p 5.

(32) Ibid, p 5.

[33] Ibid, p 6.

[34] Ibid, p 7.

[35] سوجيمون، "الشيخ داود فطاني وإسهاماته في نشر العلوم الإسلامية بماليزيا"، **في: دراسة عن نخبة المفكرين الملايوين**، مرجع سابق، ص45.

[36] الوافي، علي عبد الواحد: **علم اللغة**، القاهرة: مكتبة نهضة مصـــر، ط5، 1962م، ص18-19.

[37] See: Joan, Rubin: “Evaluation and Language Planning”, In J.A. Fishman (ed), **Advances in Sociology of Language**,New York: Mouton,1968, vol II.

[38] Hassan, Abdullah: 30 Tahun Perancangan Bahasa Malaysia , Kuala Lumpur: DBP, KPM, 1989, p 14.

[39] Yusoff, Ahmad Mohd, et al: Laporan Kaji Selidik Penggunaan Bahasa Melayu dalam Bidang Kehakiman dan Undang- undang Bank,Kuala Lumpur: DBP & KPM, 1992, p 232 .

[40] Hassan, Abdullah: Isu- Isu –Perancangan Bahasa: Pengintelektualan Bahasa Malaysia (Kuala Lumpur: DBP & KPM, p 36.

[41] Hassan, 30 Tahun Perancangan Bahasa Malaysia, p 44.

[42] Saad ,Ibrahim, Isu Pendidikan di Malaysia, Kuala Lumpur: DBP, & KPM, 1990 , p 340.

[43] Tajul Arifin, b. Noordin and Nor Aini bt. Dan, Pendidikan dan Wawasan, 2020 (Kuala Lumpur: Arena Ilmu Sdn Bhd, 1992, p 8.

[44] انظر: يوسف، ناصر، وآدم، زليكا: "التعدد اللغوي ودوره الحضاري فـــي تنميـــة ماليزيـــا: دروس مستفادة عربيًا وإسلاميًا"، **مجلة الإسلام والعالم المعاصر**، الرياض: مر كـــز الملـــك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2014م.

تقييم التجربة الجزائرية والعربيّة في رقمنة المحتوى العلمي

(الواقع والآفاق)

أ.آســية لوحيشي[♥]

ج. منتوري قسنطينة

تاريخ الإرسال: 30-12-2017   تاريخ القبول: 22-04-2018

الملخص: أرادت الجزائر الأمّة العربيّة في اقتراح أضخم مشروع ثقافيّ، علميّ لغويّ، وهو مشروع الذخيرة اللغويّة العربيّة. وهو بالأهميّة بمكــان ليبعــث روح الحضارة العربيّة، ويقف بها في ركب التقدّم في عالم يطالب كلّ شــيء أن يكــون رقميا، وذلك باستثمار الحرف العربيّ والمعرفة العربيّة، والكونيّة حاســوبيا. ممــا يتيح للباحث استخدام انترنت عربيّ بقاعدة بيانات عربيّة، ليحصل على أي معلومة أراد، وفي أي فن من الفنون، وفي أيّ علم من العلوم كان مــن جــذوره الأولــى وبتطوّراته عبر العصور، وصولا إلى نتائجه الحديثة كلّ ذلك أتيح له وسيتاح أكثر من خلال رقمنة المزيد من المعارف باللغة العربيّة، فأثبتت جدارتها بذلك فأصــبح التعرّف الآلي على المكتوب العربيّ ممكنا.

فهل فعّلت الجزائر مشروع الذخيرة اللّغويّة العربيّة على أرض الواقع؟؟ مــاهي المنجزات المحققة في هذا السياق؟؟ وهل تمّ ذلك عربيا؟؟ ثمّ ما موقــع المكتبــات والموسوعات الالكترونية من ذلك؟؟

الكلمات المفتاحية: الجزائر-عبد الرحمن الحاج صالح-التكنولوجيــا-الــذخيرة اللّغوية العربيّة-انترنت.

[♥] assiaarab@hotmail.fr

Evaluation of the Algerian and Arab experience in digitizing scientific content. (Reality and prospects)

Summary: Algeria has supported the Arab nation in proposing the largest cultural, scientific and linguistic project, the Arabic Language Ammunition Project. Which is of great importance to the spirit of Arab civilization, and stands in the way of progress in a world that demands everything to be digitized, by investing Arabic and Arabic knowledge, and the universe computer. This allows the researcher to use Arabic internet in an Arabic database to get any information he wanted, in any art of the arts, and in any science that was from its first roots, and through its development through the ages, and to its modern results, all this was made available to him. Of knowledge in Arabic, has proved its worth so that the automatic identification of the Arabic script is possible.

Has Algeria done the Arabic language ammunition project on the ground? What are the achievements in this context ?? Was this done in Arabic ?? Then what site libraries, electronic encyclopedias of it ??

key words:

Algeria – Abd el Rahman lhag Saleh - Technology - Arabic language ammunition.

تمهيد: على مرِّ العصور كانت اللّغة وعاء للفكر، وحاملة للعلم والمعرفة، فاللّغة الأقوى هي لغة المتقدِّم علميا، وهي التي يتنافس العالم على تعلّمها، لأنّ اكتساب العلم لن يمر إلا عبر بوابتها. وبذا يحصل الانتشار اللّغويّ للغة من اللّغات ويجعلها ذات قيمة. أما ما يجعل لها قيمة في نظر عالمنا **عبد الرحمن الحاج صالح** في عالمنا المعاصر، هي التكنولوجيا.[1]

نعم، التكنولوجيا وحدها القادرة على نشر اللّغة العربيّة، وإتاحة المعلومة للعرب بلغتهم. ومع التطوّر الخارق لها وظهور الأنترنت والبرامج، أصبحنا بين ضرورة حتميّة، هي اللّجوء إلى اللّغة العربيّة الرّقمية. فالتكنولوجيا وبالأخص الانترنت لها حد موجب كما لها آخر سلبيّ. ولا منجى من هذا الأخير إلا باللّجوء إليه، عبر

تحصين لغتنا وعقولنا وبناء مجتمع معرفة عربيّ عالميّ، من خلال استغلال ثمـــار **غوغل العربيّ**، أو **الأنترنت العربيّ**، الذي هو الهدف المـــأمول للـــذخيرة اللّغويـــة العربيّة. فما هي هذه الأخيرة وكيف بدأت؟؟ وأين وصلت؟؟

1. نبذة عن العلامة الجزائري، عبد الرحمن الحاج صالح: أبـــو اللِّســـانيات العربيّة وواحد من رجالات اللّغة، ولد في 08 جويلية 1927 بوهران. بداياته مـــع اللّغة العربيّة كانت مع إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين، حيث كـــان يـــدرس بالموازاة في المدرسة الحكومية، وبعد إكماله التعليم الأساسي التحق بكليّـــة الطـــب سنة1954م ليتوجه إلى مصر ويتخصص في جراحة الأعصاب، ثم اختار الأزهر حيث ذهب إلى الأصول، وانتسب إلى كلية اللغة العربية، بمسابقة. وكانت رحلتـــه إلى المشرق منعطفا هاما، يمتثل في تحوّل جوهري في مسيرته التي كانت علميّـــة محضة، فاختار العربيّة واحتفظ بالمفاهيم العلميّة وبالأخص الرياضيات.

وباتصاله بالتراث اللّغوي العربيّ، أعجب جدا **بالخليل بن أحمد الفراهيدي** وشـــدّه في ذلك أكثر الجزء الرياضي لدى الخليل، حيث اكتشف أمورا عجيبة فـــي نظريـــة الخليل اللّغوية، جعلته يسخّر حياته لمعرفة ماذا أراد الخليل. ونتائج أبحاثه فـــي هـــذا المجال، حصرها في رسالته التي تخرّج بها من جامعة السوربون بباريس. [2] ولعشقه اللّغة العربيّة اعتذر عن المناصب السياسية التي عرضت عليه، واتّجه لتأسيس معهد اللِّسانيات سنة1963م، الذي حلّ بعد 20 سنة من العطاء والعمل الجاد [3].

انتخب رئيسا لقسم اللغة العربية، بجامعة الجزائر سنة 1964م، ثم عميدا بهـــا إلى غاية 1968م، وفي غضون السنة نفسها، عيِّن أستاذا زائرا بجامعـــة فلوريـــدا بالولايات المتحدة الأمريكية، وفيها تناظر مع نعوم شومسكي، فأفحمه المرحوم عبد الرحمن الحاج صالح.[4]

عيَّنه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة على رأس المجمع الأعلى للّغة العربية، ســـنة 2000م. كما عيِّن عضوا بعدّة مجامع ومجالس علميّة دوليّة. وكرّمه الملـــك عبـــد

العزيز آل سعود بجائزته للدِّراسات اللّغوية العالميّة، سنة 2012م، لخدمته اللغة العربيّة في جانب الدّراسات التي خصّصها لدراسة الفكر النحويّ عند العرب وعلاقته بالدراسات اللسانية الحديثة. **جائزة كلّلت مسيرته البحثية.** وفي الخامس من مارس 2017، توفي عن عمر يناهز التسعين سنة.

له أعمال علمية كثيرة تزيد عن المائة، باللغات الثلاث: العربيّة، والفرنسية والانجليزية. ومنها: النظريّة الخليلية الحديثة، والسماع اللغوي العلمي عند العرب وغيرها...

2. الذخيرة اللغوية العربيّة:

1) **المفهوم: الذخيرة** كما عرّفها" **الحاج صالح بقوله:**" هي المكنز، ولا نعني به المال، بل هو الذي نكنز فيه كل المعلومات أي: بنك المعلومات بما فيها آخر ما يتوصّل إليه العلم يوميا." [5] هذه القاعدة من المعطيات العظيمة المحتوى يمكن أن تكون قادرة على الإجابة عن أي سؤال يُلقى عليها فهي ليست مجرّد مكتبة إلكترونية بل جهاز متفاعل بينه وبين المستعمل السائل.[6]

والذخيرة فكرة لغويّة محضة تمخضت ابتداء من كونه لغويّ. كانت بدايات التفكير فيها، من خلال العمل المعجميّ الذي قام به وفريقه، في معهد العلوم الصوتيّة واللّغوية وهو: جمع الرّصيد اللغوي للأطفال[7]، وباعتبار أنّ المعجم في إيمانه هو المستعمل وليس المخزّن في القواميس التراثية فقد أراد أن يجاوز معجم الرّصيد اللغويّ للطفل إلى الرّصيد العام، يقول: ومع مرور الوقت ظهرت الانترنت، فأدركنا أنّ الانترنت هي المستقبل لخدمة العربيّة، ففكّرنا في الاستفادة منه عبر إنشاء انترنت عربي لا يختص بالأمور اللّغويّة فقط، بل في شتى مجالات المعرفة.[8]

2) تأسيسها:[9] انعقد بالعاصمة عمان سنة 1986م مؤتمر التعريب، فعرض العلّامة **الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح** فكرة مشروعه، موضحا أهميته في البحوث اللّغوية والعلمية، من خلال استثمار وسائل التكنولوجيا الحديثة وبخاصة

على مستوى توحيد المصطلحات ورصد المفاهيم...الخ، فوافق أعضاء المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية، والثقافة، والعلوم، على المشروع الذي عرضته الجزائر في ديسمبر 1988م. وفي ماي 1991 نظمت جامعة الجزائر، بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أول ندوة للمشروع، وتوّجت بتوصيات تخص تنظيم العمل وكيفية المشاركة، ورصد هيئات المتابعة.

ومن الندوات المهمة لحصر الأطراف المشاركة، وكيفية مشاركتها وإقناع بعض الهيئات من أجل تبني المشروع نذكر: الندوة الدولية حول حوسبة الذخيرة اللغوية العربية المنعقدة بالجزائر من 03 إلى 05 نوفمبر 2001م والتي شارك فيها عدة باحثين ودارسين عرب من الجزائر، تونس، المغرب، مصر، الأردن والكويت، والتي دارت محاورها حول أهمية المشروع، وتوظيف وسائل التكنولوجيا الحديثة لخدمته، وتطويعها من أجله ومن أجل فعالية أكثر.

تبنى المجمع الجزائري للّغة العربيّة المشروع، فنظم بالمشاركة الجزئية لجامعة الجزائر، ندوة تأسيسية انعقدت في الجزائر بين 26و 27 ديسمبر من السنة نفسها بالرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية وجمعت تسع دول عربية، ومن أهم منجزات تلك الندوة: إنشاء لجنة دولية دائمة للمتابعة والتخطيط والتنسيق. أما اجتماع السودان بالخرطوم سنة 2002 بجامعة الخرطوم فتقرّر فيه ما يأتي:

- أن يقدم اقتراح إلى جامعة الدول العربية للتكفل بالمشروع.
- تسمية المشروع بـ:" مشروع الذخيرة العربية " بعد أن كان يسمى بـ: مشروع الذخيرة اللغوية العربية.

وفي14 سبتمبر2004 تبنى المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية المشروع بالإجماع، والذي يقوم على أن تكون هناك لجنة قُطرية، أو وطنيّة، في كل بلد يترأسها المسؤول المحلي للمشروع، ومقر الهيئة العليا للمشروع تكون بأرض الجزائر، بمقر المجمع الجزائري للغة العربية. فوافقت 18 دولة وقدمت مرشحيها إلى غاية 12 أفريل

2006، وفي27-28 جوان 2009 تم تنظيم اجتماع بالجزائر ضم ممثلي جل الدول العربيّة، وهيئة جامعة الدول العربيّة من أجل تبنيها للمشروع بشكل رسميّ، نظرا لأهميته العلمية، والفكرية والحضارية. وتمّ فيه تعين الأستاذ **الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح** رئيس المجمع الجزائري للغة العربية، وصاحب فكرة المشروع، رئيسا لمشروع الذخيرة العربية، ومقره بالمجمع الجزائري للغة العربية.

ولا يختلف عاقلان في الأهميّة الحضاريّة للمشروع، فهو فتح من الفتوحات للغة العربيّة عبر الاستعانة بالثورة التقنية. وبعد أن أصبح حقيقة قال البروفسور الحاج صالح منوها بمن أعانه:" الذخيرة أصبحت حقيقة والحمد لله، أذكر فضل رجل عظيم عرفته في الجهاد، وكان رفيقي، وهو الرئيس عبد العزيز بوتفليقة ولولاه شخصيا، هو وحده مع من يتفاهم معه من بعض المتعاونين ممن تحمّسوا للمشروع. لولاه لبقي حبرا على ورق والحمد لله."[10] هذا الرجل الذي آمن بأنّه لا استقلال دون الاستقلال اللّغويّ، فعلى الرغم من إيمانه بفائدة اللغات الأخرى، فقد آمن أيضا أنّه لا مناص من استغلال اللغة الوطنية للمعرفة.

ومع أنّ المشروع بدأ لسانيا محضا، فإنّه غدا خادما لشتى الفروع. فكيف تخدم الذخيرة العربية اللغة بمستوياتها؟؟؟ وما دورها في خدمة المجالات العلميّة الحضارية الأخرى. ؟؟؟

3) الفائدة المرجوّة من الذخيرة: وضَّح البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح عندما سئل عن فائدة مشروعه، ما ملخّصه في نقاط:[11]

- الاطلاع على حياة الناطقين بالعربية، وأحوالهم، وعلى الاستعمال الحقيقي للّغة العربيّة خاصّة.
- وفيما يخص الحياة اليومية الاجتماعية، والفنية، وغيرها، فتسجيل أحداثها من خلال الأخبار اليومية والمقالات الصحفية، ستتكوّن منه ثروة من المعلومات يمكن أن يستفيد منها المواطن أيا كان اختصاصه.

- ونخص بالذكر اللّغوي وواضع المصطلحات، فسيجد في الـذخيرة، اللّغـة العربية الفصحى المستعملة بالفعل فيـتمكن مـن التعـرف علـى الشـائع مـن المصطلحات، وعلى القليل النادر منه في الاستعمال وذلك بالنسبة إلى جميع البلدان العربية.
- وبما أن هذا الكشف لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الانترنـت، فـيمكن الآن للمَجامع اللغوية أولا أن تتعرف على الشيوع الحقيقي للألفاظ، وتعتمد على ذلك في وضعها للجديد منها، وتستفتي جمهور المثقفين عن صلاحية لفظ تضـعه لمفهـوم جديد فإذا أقبلوا عليه استعملوه بدون تردّد وبذلك لا تبقى المصطلحات التي تضعها المجامع حبرا على ورق في رفـوف مكتباتها.

4) **الذخيرة العربيّة بين مستويات اللّغة، والمجالات الحضارية:**[12]

- يقدم معلومات عن كلّ كلمة عربية عادية كانت أم مصطلحا.
- التطوّر الدلالي للكلمة، (متى ضاق المعنى، ومتى اتّسـع، المعـرّب منهـا والدّخيل...) بسياقاتها منذ الجاهليّة للعصر الحاليّ.
- صيغ الجمل والأساليب.
- معلومات عن أسماء الأعلام، والأمكنة، وانواع الأسماء المختلفة.
- العروض
- معجم تاريخي للعربيّة، ولا يمكن ذلك دون تدوين كلّ ما أنتجته العربيّة من نصوص، انطلاقا من البنك النّصي الآليّ.
- كما يوفر كلّ المقالات، والدّراسات، العربيّة والغربية الصادرة حديثا، مـن خلال إتاحة ترجمة لها.

أما خدمتها للمجالات الحضاريّة غير اللّغويّة، فإنّها تجبر الهوّة وتختصرها بين الأمّة العربيّة وغيرها من الأمم، وعلى غرار ذلك فإنّ خير إحياء للغة العربيّة هو حوسبتها، بالاستعانة بالبرمجيات المتطوِّرة.

5) **تقييم صاحب الذخيرة لمشروعه جزائريا وعربيا:**[13] بعد الجهد العظيم الذي قدّمته **الجزائر** في سعيها لرقمنة المحتوى العربي، **تقدّمت في إنجاز جزء كبير من** العمل. وسبقتها في حجم النتائج، الأردن. وتهيئ السعودية منذ وقت غير طويل، لإنجاز رقمنة سبعمائة مليون كلمة من داخل النصوص.

فيما تعطلت بعض الدول الأخرى، إما لعدم إدراك أصحابها للدور العظيم الذي ستلعبه الذخيرة، لرفع المستوى العلمي والثقافي للمواطن العربي، أو عدم إدراكهم لعظمة الدور الخاص بالإنترنيت.

إذ أكّد البروفسور عبد الرحمن الحاج صالح على النقاط التالية:

- لا استقلال إلا مع الاستقلال اللغوي.
- اللغة الوطنيّة مطلب أساسي لتطوير، وضمان وصول المعلومة بشكل صحيح للشعب العربيّ.
- النمط الحضاري الحالي يتطلّب منا التعايش معه وترويض منجزاته وبالأخص التقنيّة والتكنولوجية، لخدمة لغتنا ونشرها وللذخيرة العربيّة، الدور الفعّال في رقمنة ونشر المحتوى العلمي العربيّ.

6) **محمّد الحنّاش:** أما الأمثلة العربيّة التي تستحق الذكر الدكتور محمّد الحنّاش رئيس تحرير مجلة التواصل المغربية، والمتخصص في الهندسة اللغويّة وهو يعمل منذ وقت غير يسير على تطوير محلل تركيبي للّغة العربيّة. فهو يؤمن بانتقال البشرية إلى طور متقدّم، فمن توصيف المعلومة، إلى تفسيرها، بله إنّ مجتمع المعرفة يقول: يعمل على الانتقال إلى اقتصاد المعلومة واللغة العربيّة في نظره، تنسجم إلى حدّ كبير مع التكنولوجيا، ما يجعل منها لغة عالميّة.

أما ما يهيئ لها ذلك، فالهندسة اللغويّة، التي تعدّ تكاملا حيا بين اللّسانيين والتقني[14] وهذا ما دعا إليه الراحل **عبد الرحمن الحاج صالح** منذ أوّل ظهور

للأنترنت، ومنذ بزوغ فكرة مشروعه، حتى توفاه الله. وبالعودة إلى الهندسة اللغويّة، يقول **محمّد الحناش** مميزا لها عن اللغويات الحاسوبية:[15]

- ينطلق أصحاب اللِّسانيات الحاسوبية من اللغة، لتهييء اللّغة للحاسوبيين.
- ثمّ تأخذ الهندسة اللّغوية ما جهزه اللِّسانيون وتبني عليه تطبيقات.

ويؤكد **الحناش** على أنّه توجد تطبيقات كثيرة للّغة العربيّة، طوّرتها دول غربيّة ونحن إذا اتكأنا عليها، فلن نكون مضطرين إلى الانطلاق من الصفر، لحوسبة لغتنا. ومنها: **اليونيكود** [16]، **والباك والتر**، الذي يستهدف المستوى الحرفي والصوتي، أما الحرفي فمن خلال التعرف على الحرف العربي بصريا، وأما المستوى الصوتي فالهدف منه جعل الآلة تتكلّم بالعربيّة، وإنتاج منظومة ترجمية صوتيّة. فيما يعمل **نظام باما** كمحلل صرفيّ للّغة العربيّة.

أما جامعة بنسلفانيا فاخترعت **برنامج كاتب**، وبه تمتلك أكبر قاعدة بيانات ويعمل **كاتب** على المستوى التركيبي للعربيّة.

ومن بين كلّ الأنظمة التي طورها غربيون لحوسبة العربيّة، يفضل الحناش **منصّة نوج**، فهي في نظره من شأنها أن تسد الفجوة الرقمية بيننا وبين العالم، لما لها من مميزات تضمنها لاستخدام العربيّة.

ويعرف "عز الدين غازي" منصة **نوج *NooJ*** بأنّها: بيئة لغوية، وتطويرية تمثل نظاما آليا لمعالجة اللغات الطبيعية ومعجماً إلكترونياً، توفر للمترجم فرصاً لعلاج اللّغة، كما تتيح للمستخدم، إجراءات البحث، والإختبار، والتدريب.[17] أما الهدف من إنجاز نوج، هو:" تمكين المستخدم من بناء وصفي دقيق للقواعد واستكشاف المعلومات اللِّسانية الدقيقة، باستخدام الأنحاء الالكترونية المحلية، والوظائف الدلالية، والتركيبية للبنيات المحللة، وهذا يحصل بصفة تفاعلية."[18]

ويعرّفها محمّد الحناش:" هي آليات تشتغل على الbig data، أي المحتويات اللغوية الضخمة، تصل إلى ملايين الصفحات تبحث من خلالها عن أي معلومة في

رمشة العين، وأينما كان بطريقة تستنتج منها الخبر والمعلومة ويضيف، هي بمثابة دماغ الكتروني للغة العربيّة، فهي تضع خريطة للدماغ البشري، تشبه الأعصاب تربط بين مكوِّنات اللغة، وكلّ خط يمثل وظيفة تواصلية كما تقوم أيضا بالتحليل الصرفي والبحث النصيّ، والتحليل النحوي للتراكيب اللغوية، وتعليم اللغات الحيّة.[19]

7) **الأردن والذخيرة العربية:** حظي المشروع باهتمام كبير من مجلس الوزراء ومن وزير الثقافة الأردنيّ وسارعت بتشكيل اللّجنةالوطنيّة الأردنيّة لمشروع الذخيرة العربيّة، وربطها مع وزارة الثقافة، وتقديم الدعم الكامل لتنفيذ مشروعها.

كما أسّست موقعا على الشابكة، تحت إشراف اللجنة الوطنية الأردنية لمشروع الذخيرة العربية.[20] يقول أحمد الطراونة:" اليوم وبعد مرور أكثر من عقد على هذا المشروع الريادي، تقوم وزارة الثقافة بإلغاء موازنة مشروع الذخيرة العربية والذي يعد من أهم المشاريع الثقافية، لولوج عالم المعرفة التكنولوجية والذي رفعت عليه الوزارات مئات الكتب، لتعود عن هذا المشروع وتوقف دعمه هذا العام نهائيا وتلغي موازنته "[21] للأسف إذن تمّ رفع ميزانية الذخيرة العربيّة من ميزانية وزارة الثقافة الأردنية.

8) **فلسطين:** ومن الجهود العربية التي تنضوي في مضمونها ضمن أهداف الذخيرة العربية، إلا أنّها ليست تحت جناحها، ما قام به "مصطفى جرار" أستاذ علم الحاسوب بجامعة بيرزيت الفلسطينية، فاز بجائزة قوقل العالمية للهندسة اللغويّة لسنة2016، والمقدرة ب50 ألف دولار، عن أضخم قاعدة بيانات باللّغة العربيّة عبارة عن 140 معجم محوسب، حيث حاول بناء محتوى معجمي، محوسب يصل إليه جميع العرب الباحثين والمطوِّرين. فالعربيّة في نظره ليست فقط للنثر والشعر بل هي صناعة تحتاجها التكنولوجيا، فحياتنا يضيف: تعتمد على التطبيقات الحاسوبية، وبالتالي دعم اللغة العربيّة.

ومن الفوائد التي ذكرها مصطفى جرار لعمله؛ تحسين البرمجيات، والمترجمات الآلية، والتدقيق الإملائي والنحويّ، كما يدعم أيضا التطبيقات التي تترجم النص المكتوب، للمنطوق، والمنطوق إلى المكتوب وبالأخص أنّه لم يحدث تقدّم في أعمال الذخيرة العربيّة.[22]

9) السعوديّة: ومن الجهود العظيمة في هذا الصدد، المدونة اللّغوية لمؤسسة الملك عبد العزيز، وينخرط هذا المشروع، ضمن مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز لإثراء المحتوى العربيّ على الانترنت. حيث تمّ بناء مدونة نصوص عربية، تغطي فترة تاريخية، بداية من العصر الجاهلي، وحتى العصر الحديث وبحجم 700 مليون كلمة من مصادر متنوعة، تغطي كامل فروع المعرفة الإنسانية من علوم صرفة، وتطبيقية وعلوم أدبية، وإنسانية شتّى.[23]

كما تنوع الإنتاج العربيّ في مجال اللِّسانيات الحاسوبيّة، ومنه نذكر كتاب: دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبيّة لوليد العناتي وخالد عبد الرؤوف جبر، وكتاب العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللّسانيات الحاسوبية لنهاد الموسى، وكتاب بناء الكلمة العربية وتحليلها مقاربة في اللسانيات الحاسوبيّة لزراعي حسين بن عليّ، وكتاب الرقمنة وتقنياتها في المكتبات العربية لنجلاء ياسين.

وبذكرنا للمكتبات العربيّة فإنّ المتصفح للشبكة العالميّة، وبالضبط للمحتوى العربي يجد عددا لا بأس به من المكتبات الرقمية.

10) **المكتبات العربيّة الرقميّة:**[24] والمكتبة الالكترونية هي: مساحة علمية وفضاء رحب، تتيحه جهة من الجهات المهتمّة بنشر العلم، إذا دخلت أبوابها وجدت ثبتا أو فهرسا للكتب المتنوعة الاختصاصات، لتبحث عن أي كتاب شئت وقد يطلب منك التسجيل فيها للاستفادة من خدمات التصفح، والتحميل، وقد لا يطلب منك ذلك. ومنها: المكتبة الشاملة، مكتبة الوراق، مكتبة نون، مكتبة الألوكة

مكتبة المصطفى مكتبة الإسكندرية...الخ وهي تتيح خدمات كبيرة في مجال تصفح الكتب وتحميلها ونخصّ بالذكر المكتبة الشاملة.

أما الشاملة فتتميّز ب:[25]

- المجانيّة: فهي برنامج خيريّ وقفيّ، متاح للتحميل دائمًا –إن شاء الله – بجميع تحديثاته وكتبه عبر الموقع الرسمي.(http://shamela.ws)
- مرن وقابل للتوسعة والإضافة؛ ففيه إمكانية استقبال ملفات النصوص بمختلف صيغها، وترتيبها في المكتبة في إطار واحد، ليمكن بعد ذلك التعامل معها والتعديل فيها أو نقل كتاب من قسم لآخر أليق به أو غير ذلك، مما يجعل طالب العلم يرتبط بالمكتبة.
- المتابعة المستمرة: إضافة مميزات جديدة وإصلاح أي شوائب تظهر بالبرنامج أولا بأول.
- سهولة الاستخدام: تجد عامة الوظائف سهلة لا تكاد تحتاج لشرح فيتعود عليها طالب العلم بسرعة ويبدأ في الاستفادة منها فورا، على عكس بعض البرامج قد يكون به إمكانات كبيرة لكن لا يستفيد طالب العلم منها لصعوبة الوصول إليها.
- دقة محرك البحث: من أهم مميزاته الشاملة قوة محرّك البحث ومرونته الكبيرة بحيث يسمح لطالب العلم أن يبحث في كتبه بدقة وسهولة.
- موافقة الكتب للمطبوع: بحيث يتمكن طالب العلم، من التوثيق الصحيح في بحوثه، ودراساته.

خاتمة: وفي الختام، يبقى للحديث شجون، فعلى الصعيد الكونيّ أنشئ مؤخرا ما يصطلح عليه **بمدفن يوم القيامة في سفالبارد بالنرويج، على أمل حماية أهم الكتب في العالم** ويهدف إلى تخزين الكتب الثمينة بشكل رقمي، وهي تحتوي على كميات هائلة من البيانات مما يسمح بحمايتها من التلف أو الضرر، حتى في أشد الظروف قساوة، بما في ذلك حدوث حرب نووية. وكانت البرازيل والمكسيك، إلى

جانب النرويج أولى الدول التي ستجهز نسخا رقمية، وتقوم بتخزينها في القبـو[26]. وفي الوقت الذي يسعى فيه العالم الرقمي الغربي للتلاحم، ننزع فيـه نحـن إلـى التفرق.

النتائج والتوصيات:

- الذخيرة العربيّة مشروع حضاريّ رائد، من شأنه أن ينشر المحتوى العلمي العربيّ قديمه وحديثه، بل يساير المستجدات العلمية والثقافية الكونية ويضعها بـين يديك في حين صدورها، عبر بوابة الترجمة، مما يمنحك المعرفة في أوانها وليس بعد مرور طي من الزمن.
- الجهود العربيّة في مجال رقمنة المحتوى العربي، وأخصّ منه العلميّ كبيرة إلا أنّها تبقى متفرقة شذر مذر، يغيب عنها **التنسيق** بين الـدول العربيّـة، التـي يتسابق كلّ منها إلى حيازة قصب السبق في تحقيق اللّقب.
- فلو أنّ الجهود توحدت تحت لواء واحد هو الذخيرة العربيّة، لسـهلت علـى الباحث العربيّ في الانترنت الكثير من المتاعب فـي الحصـول علـى المعلومـة ولأختصرت عليه الوقت فهو سيبحث في محرك بحث واحد، يجد فيـه كـل مـا يحتاجه من معارف.
- إذا تحقق حلمنا بغوغل العربيّ، فسنزيد من نسبة نشـر المحتـوى العربـي ورفعه عالميا.
- لن يصبح الحلم حقيقة، **إلا بإشراك الجامعة** بمخابرها وطلابهـا كـلّ فـي اختصاصه لهندسة اللّغة، أو تجهيزها للهندسة، عبر بحوث التخرج وغيرها.

الهوامش:

[1] – مداخلة البروفسور عبد الرحمن الحاج صالح، عند زيارته لجامعة الشلف، يوم 22 ماي 2012، وهي موجودة في قناة جامعة الشلف على اليوتيوب، csricteduniversite dz

[2] – البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح، في حوار خاص مع قناة النهار الجزائرية، 14 جوان 2013م

[3] – حوار مع جريدة الشروق الالكترونية، حاورته: فريدة لكحل، سنة 2015: منشور على موقع: echoroukonline.com يوم 23_04_2017، 8:40سا

[4] – المرجع نفسه.

[5] – المرجع نفسه

[6] – الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: هذه أبعاد مشروع الذخيرة العربية·· وهذا موقع الجزائر منه، مجلة اخبار اليوم، www.akhbarelyoum.dz 25 يونيو 2014

[7] – نشرته المنظمة العربيّة التونسية النابعة لجامعة الدول العربيّة.

[8] – مداخلته في جامعة الشلف.

[9]– عبد الحليم ريوقي: أهداف مشروع الذخيرة العربية في رفع المستوى العلمي والثقافي للمواطن العربيّ، مجلة اللغة والأدب الالكترونية، يصدرها مركز البصيرة للدراسات والبحوث الجزائر، سبتمبر 2010م، http://elcheyekh.blogspot.com

[10]– مداخلة البروفسور عبد الرحمن الحاج صالح، عند زيارته لجامعة الشلف، يوم 22 ماي 2012، وهي موجودة في قناة جامعة الشلف على اليوتيوب، csricteduniversite

[11]–في حوار مع جريدة أخبار اليوم الجزائرية، حاورته : عبلة عيساني، 2014 http://www.akhbarelyoum.dz

[12]– محمد بن سالم: جهود المعالجة الرقمية للغة و مشروع الذخيرة العربية، حاوره: محمّد بن سعيد الحجري، برنامج حوارات في الثقافة والفكر، تلفزيون سلطنة عُمان. مقطع فيديو على اليوتيوب، قناة Mohammed N. Alhajri

[13]– حوار مع جريدة أخبار اليوم الجزائرية، حاورته : عبلة عيساني، 2014 http://www.akhbarelyoum.dz

[14] – محمد الحناش: اللغة العربية وسؤال المعرفة، مداخلته في المؤتمر الوطني الثالث للغة العربية، الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربيّة، ديسمبر 2015، الرباط المغرب http://www.al-erfan.com

[15] – المرجع نفسه.

[16] – ويقوم على 11000 رمز، ويهتم بالتعرف البصري على الحرف العربي.

[17] عزا لدين غازي، المعالجة الآلية للغات الطبيعية والترجمة الآلية: **تطبيقات نظام"نوج *NooJ*** **مؤتمر "الترجمة الآلية والحاسوب" أيام 15و16و17ماي 2014** جامعة محمد بن عبد الله فاس / المغرب، ص01.

[18] عزا لدين غازي، المعالجة الآلية للغات الطبيعية والترجمة الآلية: **تطبيقات نظام"نوج *NooJ*** **ص01.**

[19] محمد الحناشي: هندسة اللغة، www.alirfan.com، سا:14.45، يوم:21- 04-2017.

[20] مؤسسة الذخيرة العربية الأردن: www .dhakhira.Jo

[21] مشروع الذخيرة العربية الأردني إلى زوال، http://www.rasseen.com، 30-04-2017، سا:8:34.

[22] مقطع فيديو متاح على موقع www.alirfan.com، يوم 25-04-2017

[23] مدونة مدينة الملك عبد العزيز http://success.naseej.com

[24] موسوعة الشاملة (http://shamela.ws

[25] https://arabic.rt.com، يوم 19-04-2017

[26] https://arabic.rt.com، يوم 19-04-2017

حوسبة اللغة العربية

بين المقاربة اللغوية والمقاربة الإحصائية

د. سهيلة بربارة♥

جـــامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال:07-07-2017   تاريخ القبول: 3-05-2018

Abstract **Arabic language Processing**
Between the linguistic approach and the statistical approach

In all times, translation has always been a powerful tool for communication between people and has played a key role in the rapprochement among civilizations. Its importance, in all dimensions was enhanced as demand for translation services increased sharply in the current century and, at the threshold of the twenty-first century, we will be inevitably witnessing a rush for translation work in record time. Moreover, the phenomenon of acculturation experienced by the present era makes translation a more complex and multifaceted process.

The persistent demand for the exchange of information and communication in different languages as a result of technological breakthrough and the enrollment of all active actors in the global network, resulted in a lot of pressure for the exchange of information in different languages and in record time in order to facilitate meeting the most urgent needs in the various aspects of human life (commercial, military, technical ,cultural, social, etc ...)

If human translation managed in the last time run to fulfill these requirements, it could no longer do it , due to the increasing

♥ lynatrad@gmail.com

performance and efficiency of computers connected to the Internet. Therefore, translators had to resort to digital tools to speed up the process of the completion of translation work, especially in the technical fields and the world of business services characterized by repeated terminology texts, free of creative and rhetorical figures which cannot be subject to automatic representation.

ملخص: شكّلت الترجمة على مرّ العصور، أداة قوية للتواصل بين الناس وللاحتكاك في ما بين الحضارات كما تضاعفت أهميتها بجميع أبعادها وتأجّج الطلب عليها في القرن الحالي وها نحن مقبلين على القرن الواحد والعشرين الذي سيشهد، لا محالة، تزايدا في الطلب على عمل الترجمة في وقت قياسي، ثمّ إنّ ظاهرة المثاقفة(Acculturation) التي يعيشها عصرنا الحالي، تجعل من الترجمة عملية أكثر تعقيدا وتعدّدا.

تمخّض عن المطالب المتواصلة لتبادل المعلومات والاتصال في لغات مختلفة نتيجة التسارع التكنولوجي، والتحاق جميع الجهات الفاعلة بالشبكة العنكبوتية العالمية ضغط كبير لتبادل المعلومات في لغات مختلفة وفي وقت قياسي قصد تسهيل تلبية الاحتياجات الأكثر إلحاحا في مختلف مناحي حياة الإنسان (التجارية والعسكرية والتقنية، والثقافية والاجتماعية ... الخ)

إذا كانت هذه التبادلات تتم في الوقت الماضي البعيد، من خلال الترجمة البشرية فقد أصبحت منذ تزايد سرعة الحواسيب وكفاءتها وارتباطها بشبكة الإنترنت تستعين بأدوات رقمية للتسريع من عملية إنجاز أعمال الترجمة ولا سيما في المجالات التقنية وعالم الخدمات التجارية المُتّسم بالنصوص ذات المصطلحات المتكرّرة والخالية من الصور الإبداعية والبلاغية التي يعجز الحاسوب عن تمثيلها.

الكلمات الدالة: الترجمة الآلية، المعالجة الحاسوبية، المقاربة اللغوية المقاربة الإحصائية، المقاربة الهجينة، وحدة نمطية للترجمة الآلية.

مقدمـــــة: يتناول بحثنا جانبا هاما من الرهانات التي تواجه المعالجة الحاســوبية للغة العربية لأغراض الترجمة تحديدًا، والتي تعرف تأخرا ملموسا بالمقارنـــة مـــع اللغات التي تحتل الصدارة في المجال التكنولوجي.

نستهل دراستنا بلمحة تمهيدية عن نشأة الترجمة الآلية و روادها ونسترســل فــي الحديث عن أبرز الفاعلين في مجال تصميم برمجيات للترجمـــة الآليـــة و عــرض العوامل التاريخية الداعية لحوسبة اللغة العربية، والعوامل العمليـــة الدوليـــة انتهـــاءً بالعوامل الخاصة المرتبطة بخصائص هذه اللغة التي تؤهّلها للتمثيل الحاســوبي فـــي ضوء المبادرات التي شُرع فيها في هذا المجال، مما يسوقنا للتطرق إلى المســاعي المبذولة في مجال حوسبة اللغة العربية لأغراض الترجمة و لا سيما منتجات شــركة صـــخر وشــركة آي تـــي آي (ATA Software Technology) التـــي انفــردت بتصميمها لبرمجيات للترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها تعتمـــد علـــى المقاربـــة اللّغوية في ظل توفّر مقاربات متباينة لبناء برمجيات الترجمة الآلية.

غايتنا من هذه الدراسة هي التعريف بأبرز المقاربات المتاحة في هـــذا المجـــال واقتراح المقاربة الأنسب، إمّا لتصميم برمجية آلية للترجمة من اللّغـــة العربيـــة، ولا سيما إليها أو اقتراح تحسينات على الوحدة النمطية التي تُوفّرها شركة "آي تـــي آي" في ضوء النتائج التي حصلنا عليها عند تقييم نتاج برمجية "آي تي آي" ذات المقاربة اللغوية وبرمجية "غوغل" (Google) ذات المقاربة الإحصائية.

يتعين التذكير بأنّ موضوع الدراسة ينحصر في البرمجيات المُصـــمَّمة لترجمـــة النصوص والشاملة للغة العربية على وجه الخصوص، وننطلق من فكـــرة أنّ هـــذه المنظومات أدوات مساعدة على الترجمة (CAT tools) بحاجة دائمة لتلقيح بشــري لاحق (Post-editing).

علاوة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أن هذا الجانب التحليلي من هذه الدراسة هي عرض لعيّنة فقط من النماذج التي شكّلت موضوع دراسة تحليلية شـــاملة وواســـعة

مضمونة في رسالة الدكتوراه التي تناولنا فيها هذا الموضوع من زوايا مختلفة.

يعقب وصفنا لمقاربات الترجمة الآلية ولا سيما اللغوية والإحصائية منها عـرض حالة تطبيقية لترجمة نموذج نصي في الاتجاه الأحادي انجليزي ــ عربي بواسـطة منظومة "الوافي الذهبي" اللّغوية ومنظومة "غوغل" الإحصائية مـع تحديـد مـواطن ضعف وقوة كلتا المنظومتين وفقًا للطريقة الموصوفة في العرض التطبيقي، ومثّلنـا النتائج التي في جداول ورسوم بيانية توضيحية قُمنا على أساسـها بـاقتراح الوحـدة النمطية الأنسب لمعالجة اللغة العربية في شكل توصيات أُدرِجت ضمن خاتمة هـذا البحث.

منذ الإرهاصات الأولى من ولادة مشروع آلة تُترجم سواء علـى يـد المهنـدس الروسي بيتر سـميرنوف ترويانسـكي (Petr Smirnov Troyanskij)، والمهنـدس الروسي المنشأ، جورج أرترستروني (Georges Artsruni)، أم من خلال النظريـة التي طوّرها وارن ويفر (Warren Weaver[1]) عن الترجمة الآلية في عـام 1949 والتي نقل عنها الخبير الأمريكي جون هتشـينز (John Hutshins,2001 :2) فـي مدوّناته الشهيرة وكـذا الاختبـار الأول لبرنـامج وضـعه معهـد ماساتشوسـتس (Massachusetts) للترجمة الآلية في عام 1954 في الولايات المتحدة الأمريكيـة سرعان ما أصبحت لغات عديدة تخضع لمعالجـة حاسـوبية علـى أسـاس تمثيـل مستويات التحليل اللغوي التقليدي لتنتقل بعملية الترجمة من مجرد ترجمـة مفـردة بمفردة إلى مستوى ترجمة الجمل والنصوص بالاستناد إلى النظريـات اللسـانية ولا سيما نظرية تشومسكي في النحو التوليدي و التحويلي التي مكنـت بيتـر تومـا (Peter Toma[2]) من تصميم نظام سستران (Systran) عام 1968 الذي اسـتغلته شركة غوغل (Google) العملاقة في برنامجها للترجمة الآلية إلـى غايـة سـنة 2007 حيث أحدث فريق بحث "غوغل" في الترجمة الآلية وعلـى رأسـه فرانـز جوزيف أوتش (Franz Josef Och) منعرجا في المقاربة المعتمدة لتصـميم بـرامج

الترجمة الآلية من خلال ابتكاره وحدة نمطية للترجمة الآلية لا تقوم على أدوات التحليل اللغوي، ولكن على المنهج الإحصائي الذي أحدث ثورة في عالم الترجمة الآلية باستبدال أدوات التحليل اللغوية بما يُعرف بذاكرة الترجمة لتخزين كميات ضخمة من المتون المُترجَمة بشريا بين أزواج من اللغات للوصول إلى ترجمة سياقية أفضل و لقد كانت هذه الطريقة منعدمة في نظام سستران القديم.

في خضم تلك التحوّلات التي عرفها عالم الترجمة، لم يُشرع الاهتمام باللغة العربية إلاّ في الثمانينات من جانب بعض المؤسسات الأجنبية ولأغراض تجارية.

بفضل شركة البرمجيات والتكنولوجيا العالمية (ATA)، الكائن مقرها في لندن حظيت اللغة العربية بدراسة مطابقة لما أسماه الأستاذ ماثيو غيدير (Mathieu Guidère) في حديثه عن اللغة العربية، بالمقاربة الخاصة (Particularistic) مقارنةً بالمقاربة العامة (Universalist).

بالتالي، طوّرت شركة "آي تي آي" (ATA) برمجيات عديدة بما في ذلك مجموعة "الوافي" وهي أحدث التطورات الهامة في مجال الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها وتُعدّ مرجعا قيّما يتسنى الاقتداء به وتحسين مقاربته اللغوية لأنّه في الوقت الحاضر لا تزال وحدة "غوغل" لترجمة النصوص هي المنظومة التي تقدّم نتاجا مقبولا من اللغة العربية وإليها.

في الواقع، ومع مطلع القرن الواحد والعشرين، أصبحت الضرورة ملحة للارتقاء باللغة العربية في مجال الترجمة الآلية من المعالجة الحاسوبية السطحية (Shallow) إلى المعالجة العميقة من أجل تصميم وحدة ترجمة تشارك نظيراتها الأجنبية في المقاربات المتاحة من المنهج اللغوي والإحصائي والهجين في غياب منظومة مثلى لها وطرح الساعة هو: ما هي المقاربة الأمثل التي يمكن إسقاطها على الوحدة النمطية العربية للترجمة الآلية، وما هي آفاق حوسبة اللغة العربية؟

قبل الولوج في تحديد المقاربة الأنسب للترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها

يتعيّن تخصيص جانب من الدراسة لعرض العوامل الداعية لحوسبة اللغة العربية والخصائص التي تؤهّلها لذلك، وهذا بغية دحض الرأي السائد لدى بعض الجهات العربية والقاضي بعجز لغة الضاد عن أن تكون موضوع تمثيل حاسوبي يضاهي من حيث النتاج اللغات الأخرى.

العوامل الداعية لحوسبة اللغة العربية: هناك عدة عوامل تستدعي معالجة اللغة العربية حاسوبيا وتمثيلها، نذكر منها ما يأتي:

العوامل التاريخية لحوسبة اللغة العربية: في صدد تناول العوامل التاريخية التي تشكّل الدوافع الداعية لبعث اللغة العربية، لقد حصر عبد الرحمن الحاج صالح[3] في قوله في هذا الشأن: " ...لولا أنّ اللغة العربية لغة الإسلام ولولا أنها تحمل من المفاهيم الحضارية والدينية السابقة الوجود والكثير من المفاهيم العلمية التي كانت أساسًا لانطلاق الحضارة الغربية، لاندثرت منذ زمان أو انزوت إلى لغة تخاطبٍ كبقايا اللّهجات[4]..."

يكفي أن نشير ،أيضا، إلى ما ذكره الباحث الجزائري، **محمد بطّاز**، مدير شبكات وأنظمة المعلومات والاتّصال الجامعيّة في محاضرة ألقاها بمجمع اللغة العربية الأردني في موسمه السادس في 2008 حول مسألة بناء الأجهزة الحديثة وفق خصائص اللّغة العربيّة إذ شرح قابلية اللغة العربية للحوسبة موضّحا أنه "من المعروف عن الحاسوب أنّه لا يفهم إلا لغة الأرقام وبالذّات الأرقام العربيّة، وهذا يعني بطريقة أدقّ أنّ الأجيال المتتالية للحاسوب ولغات البرمجة وشبكات الحاسوب والتّكنولوجيّات المختلفة المُستخدَمة لبنائها تعتمد أساسًا على نموذج جبريّ محض وهذا يعني بكلّ بساطة أنّه لولا المدرسة العربيّة لما وجد الحاسوب الرّقميّ بالنّمط المعروف حاليًّا على الأقلّ" كما أكّد في باب آخر، في مداخلة له في ندوة علمية عام 2010 حول موضوع "اللغة العربية في مجال التشبيك الالكتروني" بأنه ""يجب أن ندرك أن الأمر ليس أمر لغة بقدر ما هو مسألة قدرة على الدخول في معركة الإنتاج

وقدرة على تشريح المنتجات المتوفرة لتكييفها وجعلها تتوافق مع لغتنا وثقافتنا ورؤانا في عالمنا هذا. نقول إن الأمر ليس أمر لغة ونكرر هذا لأنه من المعروف عن الحاسوب أنه لا يتكلم إلا لغة الأرقام. وإذا أردنا أن ننسب صفة لهذه الأرقام فإننا سنقول الأرقام العربية وإذا أردنا أن نصف عمليات الحاسوب فإننا نقول عمليات جبرية. ولكن إذا نظرنا إلى البلاد العربية فإننا نجدها في الواقع تستهلك الكثير ولا تنتج إلا القليل من البرامج الحاسوبية وهذا بالرغم من البحوث المتطورة والمجهودات الجبارة التي يبذلها الباحثون العرب في هذا المجال بالذات".

العوامل العملية والدولية لحوسبة اللغة العربية: في ضوء ما سبق، يمكن تلخيص العوامل التاريخية المحفّزة على إعادة بعث اللغة العربية في ما وصل إليه الباحثان الجزائريان المذكوران أعلاه، ولكن استذكار مجد اللغة العربية عبر التاريخ غير كفيل لوحده بإعادة بعث دورها العلمي في ظل التطور المعرفي والتكنولوجي الراهن بل يتعيّن تفعيل دورها انطلاقا من الحقائق التالية_ اللغة العربية هي لغة مهمة في جميع الجوانب. يختلف تصنيفها من مصدر إلى آخر حيث هناك من يضعها في المرتبة الثامنة[5] في العالم من حيث عدد المتحدثين بها في حين صنّفها الباحث الأمريكي جورج فيبر (George Weber) في ورقة بحثية له[6] أعدّها عام 1997 في المرتبة الخامسة مستندا إلى معايير خاصة، ويرى هذا الأخير أن هذا التصنيف بقي ساريا إلى غاية 2008 غير أنّ الدراسات الغربية الحالية تُصنفها في المرتبة الثامنة عالميا.

إنّ اللغة العربية موضع اهتمام كبير من جانب الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية لا سيما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 لدوافع أمنية وسياسية أساسًا واقتصادية، أيضا، لمَا يشكّله العالم العربي كسوق واسعة تستقطب الاهتمام، فضلا عن أن منظمة الأمم المتحدة قد اعتمدتها لتكون واحدة من اللغات الستّ الرسمية المُتعامل بها.

العوامل الخاصة لحوسبة اللغة العربية: مما لا ريب فيه، هو أن العوامل الخاصة المتعلّقة بخصائص اللغة العربية، هي التي تؤهّلها وتحفّزها على تعزيز المبادرات لجعلها موضوع تمثيل حاسوبي من أجل مواكبة الركب الحضاري في احتواء المعارف بأنواعها والاستجابة للطلب المتزايد على المراجع العربية في الأوساط الأكاديمية وعلى مستوى المواقع الالكترونية العربية بالنظر إلى العدد الهائل من المتحدّثين بهذه اللغة في العالم. على الرغم من افتقار المدرسة العربية لدراسات حديثة مستوفية في مجال اللسانيات التطبيقية العربية، إلا أن المبادرات التي تجسّدت في مجال حوسبة اللغة العربية لأغراض الترجمة أو غيرها، قد ساهمت في تسليط الضوء على أهم الخصائص التي تتسم بها لغة الضاد والتي سمحت بمعالجتها الحاسوبية ونحن نحصرها في ما يلي:

– تتميّز اللغة العربية بأنها أقرب إلى قوانين المنطق من حيث أنساقها الصرفية ونظم أبنية الفئات النحوية، وقواعدها الإعرابية، وأنماط تركيب جُمَلها فضلا عن أنها لغة ثرية بضروب الاشتقاق مما يُكسبها خاصية المرونة في توليد الكلمات في اللغة ذاتها أو في تعريب المصطلحات الأعجمية في حالة ترجمتها دلاليا ولقد أجمع أهل اللغة على أن للغة العربية قياس ومعايير.

بالنظر إلى الخصائص المذكورة أعلاه، تشعّبت مجالات التمثيل الحاسوبي للغة العربية ولو أنها بقيت محدودة غير أن تلك المبادرات الضئيلة عرفت نجاحا كبيرا وشملت المجالات التالية:

– معالجة النص القرآني ، على خلفية تعريب نظم تشغيل الحواسيب الذي قضى على إشكالية نظام كتابة اللغة العربية من اليمين إلى اليسار، كما تمّ إدراج الحروف العربية ضمن لوحة المفاتيح التي صممت باللغة الانجليزية واللاتينية بحيث أُدخلت الحروف العربية الثماني والعشرين في جميع أشكالها وحسب موضع كتابتها في الكلمة والهمزة بأشكالها والتاء المربوطة، والألف المقصورة، وأدوات التشكيل

الثمانية، والأرقام العربية ،والألف الحنجرية وهمزة الوصل والهمزة العربيــة و تــمّ إدخال اللام ألف جملة واحدة بل وبأشكال متعددة :لا لأ لإ لآ إلى جانــب علامــات التشكيل والشدّة.

– تصميم المعاجم الالكترونية، حيث برزت فكرة الاســتعانة بالحاســوب فــي إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية وفــي تصــميم معــاجم الكترونيــة لإحصاء الأفعال العربية بأنواعها، إلى جانب أشهر مناهل اللغة مثل "الصــحاح فــي اللغة"، و"تاج العروس"، و"لسان العرب"، و"القــاموس المحــيط"، و"معجــم الفــروق اللّغوية"، و"معجم اللغة العربية المعاصرة"، وما إلى ذلك.

المساعي في حوسبة اللغة العربية لأغراض الترجمــة: أدى ظهــور العولمــة وانتشار وسائل الاتصال باللغة العربية إلى ضرورة تصميم عدد كبير من التطبيقــات في مجال معالجة اللغة العربية. نتيجة لذلك، امتدّ النشاط البحثي لتتاول جوانب أوسع من معالجة اللغة العربية بما في ذلك التحليل النحوي، والترجمــة الآليــة، وفهرســة الوثائق واسترجاع المعلومات وما إلى ذلك.

لم يبرز الاهتمام بمجال حوسبة اللغة العربية إلا في الثمانينات وتطوّر إلى حدّ ما في التسعينات على يد معاهد البحث في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الجامعات في أوروبا والشركات التجارية الغربية. لقد ركّزت تطبيقات الترجمــة الآليــة علــى الترجمة من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية وإليها دون سواها في بادئ الأمر.

بالنسبة للأدوات التكنولوجية المساعدة على الترجمة، فقد كانت شــركة "صــخر" (SAKHR) التي أنشئت عام 1982 من بين الشركات الرائدة في مجــال تطــوير العديد من التقنيات المتقدمة والتي تركت علامات بارزة في صناعة تقنية المعلومات. فقد قامت الشركة بتطوير جيلٍ جديدٍ من تقنيات ِالمعالجــة الطبيعيــة للغــة العربيــة (NLP)، كما وضعت نظاما للترجمة أطلقت عليه تسمية "تَرجِم" (Tarjim) وهــو ثنائي الاتجاه أي إنجليزي / عربي / انجليــزي ومتــوفّر علــى الموقــع "عجيــب"

(/http://tarjim.ajeeb.com/ajeeb) ، والبرنـــامج يتـــرجم مواقـــع الإنترنـــت وصفحات الويب.

مع ذلك، تأتي شركة "آي تي آي" (ATA Software Technology) التي تأسست عام 1992 من قبل متخصصين ومبرمجين تعود خبرتهم إلى الثمانينات ويقع مقرها الرئيسي في لندن في صدارة الشركات المنتجة لبرمجياتٍ تســتهدف اللغــة العربيــة واللغة الإنجليزية في مجال الترجمة الآلية.

وفقا للمعلومات المستقاة من موقع هذه المؤسسة، فقد أصدرت الشركة فــي عــام 1995 برنامجها للتعريب الذي أطلقت عليه تسمية "المترجم العربي" كأول برنـــامج للترجمة الآلية من اللغة الإنجليزية إلى العربية على الحواسيب الشخصية والماكنتوش وطوّرت الشركة حزمة برامج لتعريب النصوص الإنجليزية أطلقــت عليهــا اســم «الوافي» التي لقيت إقبالا كبيرا من جانب المستخدمين في العالم العربي.

يذكر الصحفي ميرزا الخويلدي في مقاله الصادر على الموقع الالكتروني لجريدة الشرق الأوسط في 20 جوان 2002 والذي خصّه لتقديم منتجات شركة آي تــي آي وأهم إسهامات هذه الأخيرة في مجال تطوير وتعريب البرمجيات، مشيرا إلى إصدار الشركة لثلاثة برامج متنوعة من برنامج الوافي: الأول: هو برنامج الوافي الســريع وهو قاموس عربي/إنجليزي، وإنجليزي/عربي شامل يعمل داخــل أغلــب البــرامج المتوافقة مع مايكروسوفت ونــدوز (Microsoft Windows). هــو أكثــر البــرامج انتشارا، وسهل الاستخدام ومتوفر بسعر زهيد.

البرنامج الثاني هو "الوافي الجديد"، وهو برنامج متقدم لترجمة النصوص ترجمــة سريعة وفورية، ويتميز البرنامج بتقديم ترجمة سريعة للنصــوص الإنجليزيــة إلــى العربية، كما يقدم ترجمة للنصوص الطويلة التي تحتوي على آلاف الكلمات بســرعة قياسية، مع إمكانية نطق الكلمات والعبارات الإنجليزية، ويعتمد هذا المتــرجم علــى قاموس حديث يشتمل على أكثر من 1.5 مليون كلمة إنجليزية وعربيــة، ويحتــوي

على مدقق إملائي إنجليزي، وتقديم ترجمة صوتية لأسماء الأعلام.

أما البرنامج الثالث في حزمة الوافي، فهو برنامج الوافي الذهبي، للترجمة إلى اللغة العربية. من جهة أخرى، تمتلك الشركة عبر موقعها "المسبار" محركا الكترونيا لترجمة المواقع داخل شبكة الإنترنت بصفة مجانية وهو يعمل باتجاه واحد أي الترجمة من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية.

نظرا لأنه تظل هذه الشركة المؤسسة الرائدة في وضع وحدة نمطية لترجمة النصوص ترجمة آلية ثنائية الاتجاه انجليزي / عربي / انجليزي، تعتمد المقاربة اللغوية في تصميمها وتقدّم نتاجًا واعدا في حقل الترجمة الآلية، اخترنا أن نعرضها كنموذج في باب المقارنة بين المقاربة اللغوية والإحصائية التي تتزعّمها شركة "غوغل" التي تشمل اللغة العربية في قائمة اللغات التي تتعامل بها منظومتها.

قبل عرض دراستنا المقارنة للمقاربتين المُستخدمتين في الوقت الراهن في مجال الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها، يتعين عرض تقديم وجيز للمقاربات المُتاحة في تصميم منظومات الترجمة الآلية.

مقاربة الترجمة الآلية المعتمدة على قواعد اللغة (Rule-based Machine Translation): الترجمة الآلية القائمة على قواعد اللغة (RBMT) هي مقاربة تقليدية إذ تمثل النظم الأولى للجيل الثاني من الحواسيب وهي تعتمد على القواعد اللغوية المرتبطة باللغات المصدر واللغات الهدف والمُستخلصة أساسا من القواميس الأحادية اللغة أو الثنائية اللغة أو المتعددة اللغات وكذلك من المعاجم المتضمنة القواعد الأساسية للغة، لا سيما مظاهر الاطراد اللغوية في مجالات الدلالة والصرف والنحو.

ترتكز تطبيقات نظام الترجمة الآلية القائمة على قواعد اللغة على التحليل الصرفي والنحوي والدلالي لكل من اللغات المصدر واللغات المستهدفة باستخدام لغة تمثيل وسيطة حيث يكون النص المُخْرَج (output text) حصيلة مرحلتي تحليل اللغة المصدر نحويا وصرفيا ودلاليا (بصفة سطحية انطلاقا من التراكيب أو عميقة

انطلاقا من الدلالة) وتحويل (بواسطة اللغة الوسيطة) أو نقل التمثيل النحوي والصرفي والدلالي مع توليد المكافئ النحوي، والصرفي، والدلالي في اللغة الهدف التي يكون قد تَمَّ تمثيل قواعدها اللغوية في مرحلة التحليل من أجل الحصول على نص مُترجَم آليا. المقاربة اللغوية تلجأ لتطبيق القواعد اللغوية على المراحل الثلاث من عملية الترجمة، أي مرحلة التحليل ومرحلة التحويل.

لعلّ منظومة "سسترن" (Systran) هي أول برمجية صُمّمت باعتماد هذه المقاربة قبل تطوير الشركة للمقاربة الهجينة التي سوف نعرضها لاحقا.

مزايا مقاربة الترجمة الآلية القائمة على قواعد اللغة:

– لها الفضل في الجهود الحثيثة والإنجازات التي تحقّقت في مجال تصميم القواميس الالكترونية الأحادية اللغة والمتعدّدة اللّغات باعتمادها على إحصاء مترادفات في اللغة الهدف للّفظة الواحدة في اللغة المصدر.

– اعتمادها على قواعد اللغة المصدر واللغة الهدف سمح بتمثيلها حاسوبيا وعزّز من استغلال اللسانيات الحاسوبية في خدمة الترجمة.

– تترجم آلاف الكلمات في ثوان فقط.

مآخذ مقاربة الترجمة الآلية القائمة على قواعد اللغة:

– التكلفة الباهظة من الوقت والموارد المالية الناجمة عن تحليل اللغات المعنية بالترجمة الآلية.

– عدم تعميم استعمالها كنموذج للترجمة الآلية على جميع اللغات لانفراد كل لغة بخصائصها النحوية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية ممّا يستدعي التطوير اليدوي للقواعد اللّسانية لكل لغة.

– اعتماد هذه المقاربة على ترجمة الكلمات (Word-based translation) التي لم تعد شائعة الاستعمال في الوقت الراهن عدا في تصميم القواميس الالكترونية.

النمط الأكثر شيوعا الآن هو نمط الترجمة الآلية القائمة على الجمل (Phrase-

(based translation التي لا تزال تدرج إلى حدّ ما، نظام الترجمة القائمة على المفردة الواحدة ولكن لأغراض ترتيب النّصوص بشكل خطّي قبل معالجة الجمل باستخدام نظام[7] (GIZA++)على سبيل المثال.

مقاربة الترجمة الآلية التجريبية :(Empirical MT approach) لقد أحدثت المقاربة التجريبية (Linarez,2008) ثورة في مجال الترجمة الآلية وهي تتميّز عن الترجمة الآلية القائمة على قواعد اللغة في كونها تعتمد على ذخيرة وافرة من نصوص تمّت ترجمتها فيما بين أزواج من اللغات أو أكثر وتخزينها في ذاكرة الحاسوب في شكل مدوّنات متوازية و لقد عملت اللسانيات الإحضار (Corpus linguistics) على تطوير مقاربتين ارتأينا تصنيفهما ضمن هذا المنهاج كتطبيقين يقومان على ما يطلق عليه بتسمية ذاكرة الترجمة[8] (Translation's memory).

الترجمة الآلية القائمة على الأمثلة (Example-based MT): مقاربة الترجمة الآلية القائمة على الأمثلة (EBMT) هي أسلوب الترجمة الآلية يعتمد على متون تشمل نصوصًا موازية يتم إحضارها في عملية الترجمة. هي أساسا ترجمة عن طريق القياس أو التناظر، ويمكن أن ينظر إليها على أنها تطبيق لمقاربة الاستدلال المبني على دراسة الحالات لعملية تعلّم الآلة.

مقاربة الترجمة الآلية الإحصائية SMT (Statistical Machine Translation): هي مقاربة من مقاربات الترجمة الآلية حيث يتم توليد الترجمات على أساس النماذج الإحصائية التي تعتمد على تحليل مجاميع من النصوص الموازية في زوج أو أكثر من اللغات. أدخل وارن ويفر (Weaver,1955) الأفكار الأولى عن الترجمة الآلية الإحصائية ولو أنّ تطبيقها اقتصر على إحصاء المفردات ومقابلها في اللغة الهدف.

كان فرانز جوزيف أوتش (Franz Joseph Och)، الذي ترأّس فريق البحث في مجال الترجمة الآلية في مؤسّسة "غوغل" (Google)، من الأوائل الذين انتقدوا الخوارزميات المصمّمة لنظم الترجمة الآلية القائمة على قواعد اللّغة وأوّل من وضع

المقاربة الإحصائية بالاستناد إلى الخوارزميات الرياضية كنظرية بايز للاحتمالات.

إن عملية انتقاء المفردة في اللغة الهدف والأكثر احتمالا بأن تؤدي الوظيفة التّرجمية المناسبة بحاجة إلى أدوات في غاية الدقة في البحث وأدوات تفكيك عناصر النص المُقرّر تقريره مع استهداف المفردة (Callison–Burch,2007) المعنية بالترجمة وانتقاء مكافئها ضمن عدة مترادفات في تواتر استعمالاتها وفي سياقات متعدّدة.

كانت بدايات الترجمة الإحصائية مقتصرة على المفردات، ثم تطوّرت لتشمل جملا وارتقت إلى إدراج البنى التركيبية النحوية.

مآخذ المقاربة الإحصائية للترجمة الآلية:

– التكلفة الباهظة لإعداد المدوّنات.

– عدم التنبؤ مسبقا بالأخطاء التي يمكن أن ترد وبالتّالي صعوبة معالجتها وتصحيحها.

– قد تبدو سلاسة الترجمة التركيبية سطحية وتنطوي على أخطاء في الترجمة.

– عدم نجاعتها في الترجمة بين أزواج من لغات مختلفة الأصل التي تتباين في نظامها الكتابي وترتيب الكلمات في الجمل. فعلى سبيل المثال، لا يمكن قياس النتائج الجيّدة لهذه المقاربة فيما بين اللغات الأوروبية على الأزواج الأخرى من اللّغات التي لم تحظ بتجميع ضخم للمدوّنات المُعالجة آليا والتي تتميّز بفروق شاسعة من الناحية اللغوية النحوية.

– ترتيب الجمل والكلمات، كما أسلفنا الذكر، يشكل معضلة تواجه منظومة الترجمة الإحصائية، فضلا عن الشذوذ الذي قد يشوب العملية الإحصائية بعدم انتقاء الاحتمال الأكثر مواءمة، وتبرز هذه المشاكل عند ترجمة أسماء الأعلام والعبارات الاصطلاحية إذ أنّ نجاعة الترجمة تكون دومًا رهينة ذاكرة الترجمة والبرامج المُعتمدة في تصميمها.

مزايا المقاربة الإحصائية للترجمة الآلية:

-الاستعمال الناجع للموارد البشرية والبيانية.

- ضخامة المدونات الموازية في شكل مقروء آليا فضلا عن البيانات الأحادية اللغة.

- تعميم تطبيق هذا النمط على جميع اللغات وعدم تصميمه لزوج معيّن من اللغات.

-الحصول على ترجمة أكثر طلاقة وسلاسة بفضل استعمال نموذج اللّغة القائم على نظرية توزيع الاحتمالات بحيث أنّه يوفّر السياق للتّمييز بين الكلمات والعبارات التي تبدو مشابهة. تستخدم نماذج اللّغة في استخراج المعلومات باستخدام نموذج الاحتمالات المطلوبة بصفة أكثر.

باستثناء برمجية "غوغل" الموصوفة أدناه لأغراض هذه الدراسة، هناك برمجية أخرى تعتمد الترجمة القائمة على المقاربة الإحصائية وتتمثّل في نظام بينغ (Bing) للترجمة وهو محرّك بحث حديث النشأة والمعروف سابقا بتسميات مثل لايف سورتش (Live Search) وويندووز لايف سورتش (Windows Live Search) وأم أس أن سورتش (MSN Search) هو نظام طوّرته شركة مايكروسفت (Microsoft) وعرضته على الاستعمال العام في الفاتح جوان من عام 2009. إنه نظام يعتمد على المقاربة الإحصائية ويسعى لمنافسة نظام "غوغل".

بين هذه المقاربة وتلك، تظل الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها تعاني من ضعف النتاج بالمقارنة مع اللغات الأخرى ومن الأرجح أن ذلك راجع أساسا إلى محاولات تطبيق المقاربات المستهدِفة للغات الغربية على اللغة العربية. بالتالي ما هي المقاربة الأنسب التي يمكن تطويرها لتصميم وحدة نمطية للترجمة الآلية العربية؟

لكي تتّضح الرؤية حول هذه القضية، ارتأينا تقديم النتائج التي خلصنا إليها في إطار إعداد رسالة الدكتوراه[9] التي خصّصنا شقّا من جانبها التطبيقي لتقييم ومقارنة

أداء ترجمة منظومة "الوافي الذهبي" القائمة على قواعد اللغة وأداء ترجمة "غوغل" القائمة على المقاربة الإحصائية وأقدمنا على تقييم أداء المنظومتين على أساس الأخطاء الواردة في النتاج المُخرج باستخدام طريقتنا الخاصة التي استوحيناها من أبرز مستويات تحليل الخطاب في تطبيقات اللسانيات، أي المستوى التركيبي والنحوي والصرفي، والمعجمي.

فقد حدّدنا فئات الأخطاء وفقا للفئة اللغوية ولمستويات تحليل اللغات الطبيعية التي تنتمي إليها المفردة المعنية وهي على النحو التالي:

الأخطاء النحوية: تشمل الأخطاء الإعرابية، وموضع الكلمات وحركاتها الإعرابية حسب قواعد اللغة والوظيفة النّحوية لكل مفردة وعلاقة الأسماء فيما بينها من حيث الإفراد والتأنيث، والتّذكير، والجمع، والتّثنية، والتعريف، والتنكير والمتلازمات اللفظية وتوافق حروف الجرّ والضّمائر وما شابه ذلك مع الأسماء أو الأفعال التي تسبقها، الخ.

الأخطاء الصّرفية: تشمل علامات الصرف المرتبطة بالأفعال تحديدا وتوافقها مع الأزمنة ومع علاقتها بالأسماء التي تُنسَب إليها أو الضمائر من حيث الجمع والتأنيث والتذكير، والتثنية ...إلخ.

الأخطاء المُعجمية والسياقية: تشمل الأخطاء في إيجاد المكافئ من حروف وأسماء وأفعال، وأشباه جمل. تندرج ضمن هذه الفئة من الأخطاء، الأخطاء المقامية أو السياقية.

الأخطاء التركيبية: هي جميع الأخطاء المرتبطة بتراكيب الجمل والمتمثّلة في مواضع الكلمات وفي إضافة كلمات أو حروف لا أساس لها في النّص المستهدف أو حذف لحروف أو كلمات أو جمل معيّنة لم يقم المترجم الآلي بترجمتها.

الأخطاء الإملائية: هي كتابة الكلمة بشكل لا يتّفق مع قواعد الإملاء وقد ينتج ذلك عن جهل الكاتب أو عن خطأ مطبعي أو لمشاكل تقنية برمجية. تُعدّ الأخطاء

الإملائية والنّحوية ظاهرة مُنتشرة بكثرة أثناء الكتابة باللغة العربية دون غيرها من اللغات الأخرى.

لقد عمدنا إلى تحديد أنواع الأخطاء الواردة في نتاج ترجمة برمجيتي "الوافي الذهبي" و"غوغل" من خلال تحليل عميق لاستخلاص نسب النجاح المئوية للبرمجيتين والتّرجيح لإحداهما مع تمثيل النّسب المحصل عليها في جداول ورسوم بيانية.

النموذج المُقترح: النص الانجليزي الأصلي[10]

Artificial Intelligence : Artificial Intelligence (AI) is the area of computer science focusing on creating machines that can engage on behaviors that humans consider intelligent.

The ability to create intelligent machines has intrigued humans since ancient times and today with the advent of the computer and 50 years of research into AI programming techniques, the dream of smart machines is becoming a reality.

ترجمة "الوافي الذهبي" لعام 2015

الاستخبارات الاصطناعية: الاستخبارات الاصطناعية (AI) منطقة علم الحاسبات تركّز على خلق المكائن التي يمكن أن تشغل على سلوك ذلك البشر يعتبر ذكي.

القدرة لخلق مكائن ذكية فتنت بشرا منذ أوقات قديمة واليوم بوصول الحاسوب و50 سنة من البحث إلى تقنيات برمجة الاستخبارات الاصطناعية، حلم المكائن الذكية **يصبح** a حقيقة.

تحديد أخطاء الترجمة الآلية بمنظومة الوافي الذهبي لعام 2015[11]

الأخطاء التركيبية واللّغوية والإملائية:

ـ **الخطأ الأول:** العنوان: ... الاستخبارات الاصطناعية ...: كتابة خاطئة للمبتدأ "الاستخبارات" باستخدام همزة القطع. يتعيّن كتابتها بهمزة الوصل.

ـ **الخطأ الثاني:** الفقرة 01 الجملة 01: .... الاستخبارات الاصطناعية...: ورود نفس الخطأ الإملائي السابق ـ

الخطأ الثالث: الفقرة 01 الجملة 01: ... يمكن أن تشغل على السلوك ذلك البشر يعتبر ذكي ــ العبارة بحاجة إلى إعادة صياغة.

ــ **الخطأ الرابع:** الفقرة 02 الجملة 01: ... **القدرة لخلق** ــ حرف الجر "اللام" غير مناسب والصواب تعويضه بالحرف "على".

ــ **الخطأ الخامس:** الفقرة 02 الجملة 01: ... **البحث إلى تقنيات** ــ حرف الجر "إلى" غير مناسب والصواب تعويضه بحرف الجر " في".

ــ **الخطأ السادس:** الفقرة 02 الجملة 02: ... **الإستخبارات** .... تكرار نفس الخطأ الإملائي.

ــ **الخطأ السابع:** الفقرة 02 الجملة 02: ... يصبح **a** حقيقة ...: ورود الحرف «a» في النص العربي.

الأخطاء النحوية:

ــ الخطأ الوحيد: الفقرة 01 الجملة 01: ...خلق **المكائن** ...: الصواب في التنكير بدل التعريف.

الأخطاء الصرفية

ــ الخطأ الوحيد: الفقرة 01 الجملة 01: ... ــ **يصبح** ...: ــ الصوب تصريف الفعل في زمن الماضي.

الأخطاء المعجمية والدلالية:

ــ **الخطأ الأول:** العنوان: ... **الإستخبارات الاصطناعية** ...: وردت الترجمة خاطئة سياقيا ودلاليا والصواب هو اختيار العبارة "الذكاء الاصطناعي".

ــ **الخطأ الثاني:** الفقرة 01 الجملة 01: ... **الإستخبارات الاصطناعية** ...: تكرار نفس الخطأ السابق.

ــ **الخطأ الثالث:** الفقرة 01 الجملة 01: ... **منطقة** علم الحاسبات ...: الكلمة "منطقة" غير مناسبة سياقيا ودلاليا ويتعيّن استبدالها بكلمة "مجال".

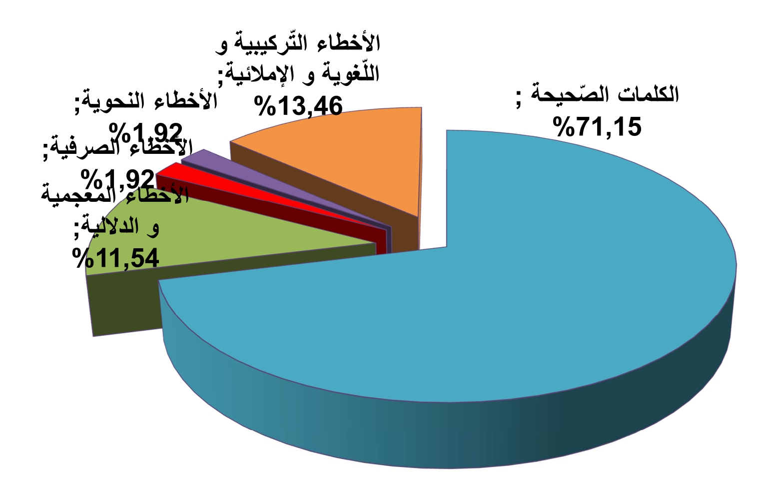
ــ **الخطأ الرابع:** الفقرة 01 الجملة 01: ... **خلق** المكائن ...: الاسم "خلق" غير مناسب سياقيا ودلاليا ويتعيّن استبداله بكلمة "ابتكار".

ــ **الخطأ الخامس:** الفقرة 02 الجملة 01: ... **الإستخبارات الاصطناعية** ...: تكرار الخطأ السابق نفسه.

ــ **الخطأ السادس:** الفقرة 02 الجملة 01: ... **بوصول** ...: الكلمة "بوصول" غير مناسبة سياقيا ودلاليا ويتعيّن استبدالها بكلمة "بظهور".

	كلمات النص المترجم	**الأخطاء**					**الكلمات الصّحيحة**
		الأخطاء التّركيبية واللّغوية والإملائية	**الأخطاء النحوية**	**الأخطاء الصرفية**	**الأخطاء المعجمية والدلالية**	**مجموع الأخطاء**	
العدد	**52**	07	01	01	06	**15**	**37**
النسبة المئوية %	**100**	13,46	1,92	1,92	11,54	**28,85**	**71,15**

تقييم أداء منظومة الوافي الذهبي 2015[12]



تمثيل نسب الأخطاء الواردة في ترجمة الوافي الذهبي لعام 2015[13]

ترجمة "غوغل" لعام 2015[14]**:**

الذكاء الاصطناعي:

الذكاء الاصطناعي (AI) هو مجال علوم الكمبيوتر **مع التركيز** على الأجهزة **التي يمكن أن خلق الانخراط** في السلوكيات **بأن تنظر البشر ذكاء.**

القدرة على خلق آلات ذكية **لها البشر مفتون** منذ العصور القديمة، واليوم مع ظهور الكمبيوتر و50 سنوات من البحث في تقنيات البرمجة **منظمة العفو الدولية والحلم من الأجهزة الذكية أصبحت** حقيقة واقعة.

الأخطاء التركيبية واللّغوية والإملائية[15]**:**

ــ الخطأ الأول: الفقرة 01 الجملة 01: .... **مع التركيز**ــ الصواب استعمال تقنية استبدال الاسم بالفعل على النحو التالي: التي تركّز...

ــ الخطأ الثاني: الفقرة 01 الجملة 01: ... **التي يمكن أن خلق الانخراط ...:** العبارة بحاجة إلى إعادة صياغة.ــ

ـ الخطأ الثاني: الفقرة 01 الجملة 02: ... **بأن تنظر البشر ذكاء** ...: العبارة بحاجة إلى إعادة صياغة.

ـ الخطأ الثالث: الفقرة 02 الجملة 01: ... **لها البشر مفتون** ...: العبارة بحاجة إلى إعادة صياغة.

الأخطاء النحوية:

الخطأ الوحيد: الفقرة 02 الجملة 02: الحلم **من** الأجهزة الذكية ــ يجدر إعادة صياغة الجملة نحويا على الشكل التالي: الحلم بأجهزة ذكية...

الأخطاء الصرفية:

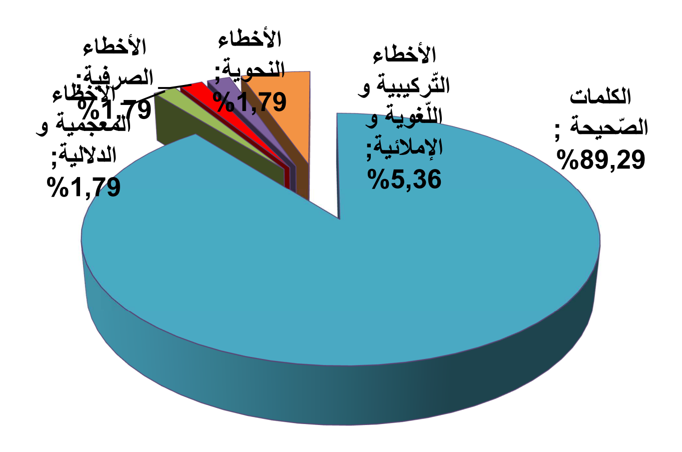
الخطأ الوحيد: الفقرة 02 الجملة 03: ــ **أصبحت** ...: يجدر التذكير بدل التأنيث.

الأخطاء المعجمية والدلالية:

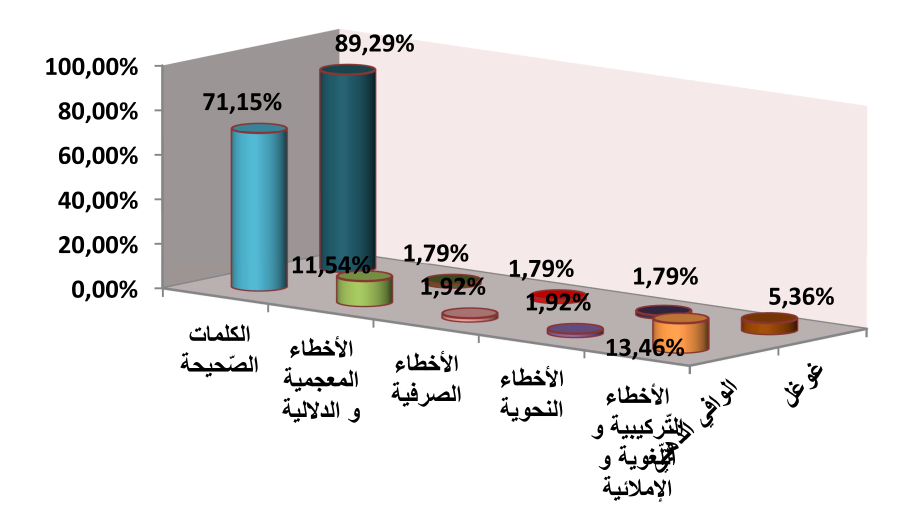
الخطأ الوحيد: الفقرة 02 الجملة 02: ...**منظمة العفو الدولية** ...: هي ترجمة خاطئة للعبارة المختصرة AIالتي تشير إلى الذكاء الاصطناعي.

	كلمات النص المترجم	الأخطاء					الكلمات الصّحيحة
		الأخطاء التّركيبية واللّغوية والإملائية	الأخطاء النحوية	الأخطاء الصرفية	الأخطاء المعجمية والدلالية	مجموع الأخطاء	
العدد	**56**	03	01	01	01	**06**	**50**
النسبة المئوية %	**100**	5,36	1,79	1,79	1,79	**10,71**	**89,29**

تقييم أداء منظومة غوغل 2015[16]



تمثيل نسب الأخطاء الواردة في ترجمة غوغل لعام 2015[17]



تمثيل مقارن للنسب المئوية لأداء منظومة الوافي لعام 2015 ومنظومة غوغل 2015[18]

الترجمة النموذجية للنموذج الخامس:

الذكاء الاصطناعي: يعدّ الذكاء الاصطناعي مجالاُ من علم الحاسوب يركّز على إنجاز آلات تحقّق وظائف يصفها البشر بالذكيّة.

لقد فتنتّ إمكانية انجاز آلات ذكية العديد من البشر منذ الأزمنة الغابرة واليـــوم بفضل ظهور الحاسوب وبعد خمسين سنةٍ من البحثِ في مجال تقنيـــات البرمجـــةَ للذكاء الاصطناعي، بدأ حلم انجاز آلات ذكيّة يتحوّل إلى حقيقة.

استنتاج: بالنسبة للنموذج المقترح، وبالاستناد إلـــى النتـــائج المحصـــل عليهـــا باستخدام المنظومتين، يتبيّن أن منظومة "غوغل" تتفوّق في توليد نتاج بعدد أخطاء تقل نسبها عن منظومة الوافي الذهبي، لا سيما فيما يتعلق بنسبة الأخطاء التركيبية واللغوية والإملائية التي أحرزت فيها برمجية غوغل **5.36 %** مقارنـــة بـــالوافي الذهبي الذي سجّل عدد أخطاء أكبر تقدر بنسبة **13.46%**، في حين نلاحظ تراجعا طفيفا لمنظومة الوافي الذهبي في نسبة الأخطاء النحويـــة التـــي بلغـــت **1.92%** مقارنة بنسبة **1.79 %** من جانب منظومة "غوغل".

بالنسبة للأخطاء المعجمية والدلالية، نلاحظ أن منظومة "غوغل" تفوّقت بفـــارق معتبر بنسبة أخطاء بلغت **1.79 %** مقابل 11.54. **%** لـــدى منظومـــة الـــوافي الذهبي.

لقد لاحظنا من خلال نتاج ترجمة العيّنة كيف أنّ برمجية "غوغل" تمكّنت مـــن خلال تطبيق خوارزميات مختلفة تقوم على الاحتمالات والإحصـــاء، مـــن توليـــد ترجمات مقبولة شكلا ومفهومة من حيث المضمون الدلالي. كما وفّقـــت منظومـــة "غوغل" في ربط ترجمتها الآلية بذاكرة الترجمة، التي ساعدت على تهذيب الـــنص المُنتج بواسطة عبارات سبق ترجمتها من قبل الإنسان ومراجعتها. بالتّالي، نلاحظ أن الجمع بين الترجمة الآلية وذاكرة الترجمة يزيد من نسبة الاتّساق والجودة فـــي الترجمة الآلية. بالطبع، نحن لا ننكر أن المنظومة لا تزال تكتنفها شوائب ولا سيما

في الترجمة إلى لغات لا تنتمي إلى عائلة اللّغات نفسها، كما هو الحال في العلاقة بين اللغة الانجليزية والعربية.

من جهة أخرى، لاحظنا من خلال العرض، بأنّ منظومة الوافي الذهبي تستخدم في ترجمتها الآلية المعلومات اللّغوية لتفكيك نصّي اللغة المنقولة واللغة المنقول إليها بصفة منطقية وهي بذلك تتفوق من ناحية النتاج على المنظومة الإحصائية في معالجة الجانب النحوي حيث تقلّ نسبة الأخطاء الناتجة عن ترجمتها الآلية بالمقارنة مع نتاج "غوغل" عدا في بعض الحالات التي حقّقت فيها منظومة "غوغل" تفوّقا في هذا الجانب. لتوضيح الفروق القائمة بين المقاربتين، قمنا بحصرها في الجدول أدناه:

المقاربة اللغوية (الوافي الذهبي)	**المقاربة الإحصائية (غوغل)**
هي مقاربة قائمة على قواعد اللغة	هي مقاربة قائمة على المتون الموازية أي ترجمات بشرية موازية وتتجاهل القواعد اللغوية
تطبق قواعد اللغة على مراحل التحليل والتحويل والتوليد	تعتمد قوانين الاحتمالات
هي بالتالي تولّد نصوصا تقل فيها الأخطاء اللغوية على العموم ولكنها تتضمن مشاكل دلالية وسياقية.	توفر أداء ذا جودة من حيث قلة الأخطاء الدلالية.
يستلزم بناء منظومة قائمة على قواعد اللغة تمثيل قواعد لغوية واسعة النطاق وجهد بشري، خاصة عندما لا تنتمي اللغتان، المصدر والهدف إلى نفس عائلة اللغات.	لا يستلزم بناء منظومة إحصائية على قواعد اللغة ولا على الجهد البشري لتمثيل تلك القواعد وتحديدها.

الاعتماد على قواميس ثنائية اللغة وعلى الأدوات اللغوية (المحلل الصرفي، المدقق الإملائي، المحلل الإعرابي...الخ)	لا تُستخدم القواميس ولا الأدوات اللغوية في هذه المقاربة.
لا تعتمد هذه المقاربة على ترجمات سابقة ولا على متون مُخزّنة.	تعتمد هده المقاربة على ترجمات سابقة من خلال متون كبيرة الحجم.
عدم الحاجة إلى ذاكرة الترجمة	قائمة أساسا على ذاكرة الترجمة
التراكيب بحاجة إلى إعادة صياغة على نطاق كبير.	غالبا ما لا ترد مشاكل على مستوى التراكيب.
تواجه المقاربة معضلات اللبس على اختلاف أنواعه	لا تواجه المقاربة معضلات اللبس في أغلب الأحيان
يكون النتاج ذا جودة كلما كانت الجمل قصيرة في النص.	يكون النتاج ذا جودة كلما كانت الجمل قصيرة في النص.
يبقى الأداء ضعيفا مقارنة بالترجمة البشرية.	يبقى الأداء ضعيفا في غياب المتون ذات الصلة بالنص المترجم.

مقارنة بين المقاربة اللغوية والمقاربة الإحصائية[19]

على الرغم من مواطن القصور التي تمت معاينتها في برمجيات ترجمة النصوص على اختلاف مقارباتها، إلا أنّها أدوات لا يمكن الاستغناء عنها في المجالات التبليغية وفي الترجمة التفسيرية، كما أنها تشكل أداة ثمينة لربح الوقت وتوفير العناء عن المترجمين المحترفين في البحث في القواميس الورقية وفي رقن النص المُترجم في اللغة المستهدفة.

لاحظنا أن المقاربة الإحصائية التي أثبتت نجاعتها وتفوّقها في مجال الترجمة الآلية لا سيما بين اللغات التي تنتمي إلى العائلة اللغوية ذاتها، بحاجة إلى أدوات لغوية إضافية للتقليص من مواطن ضعفها، خاصة لمّا يتعلّق الأمر بالتعامل مع اللغة العربية كلغة مُترجم منها أو إليها.

في ضوء الدراسة الاستقرائية التي سبقت، نحن نرى في خاتمة دراستنا أدناه ضرورة اقتراح برمجية نموذجية في تصميم وحدة نمطية عربية للترجمة الآلية في شكل توصيات تأخذ بعين الاعتبار المعايير الأربعة الأساسية لتقييم الأداء العام لأي منظومة كانت.

خـاتمة : لمّا كانت جودة أي منظومة آلية ترتكز على تحليل الأخطاء الناتجة عن تلك المعالجة والتي توحي بالأساليب المعتمدة لتصميم برمجيات الترجمة أظهرت دراستنا التطبيقية بأنّ تباين النتاج من برمجية إلى أخرى يبقى مرتبطا بالأساليب المتّبعة في تصميم تلك البرمجية فكلّما كان الأسلوب المنتهج صائبا، كلّما كان النتاج أكثر جودة. لذلك فالبرمجيات المُعتمدة على تمثيل قواعد اللغة، غالبا ما لا يحتوي نتاجها على أخطاء نحوية وصرفية عديدة ويكون ذلك على حساب التراكيب وفي ذكرنا لهذا الجانب الهام من مستويات تحليل اللغة الطبيعية، يبدو لنا من وحي التجربة، أنّ التراكيب تشغل حيّزا كبيرا في مجال تأليف النصوص وتحليلها بالنّظر إلى الدور المحوري الذي تلعبه في الحصول على التجانس بين أجزاء الجمل والعبارات مع احترام القواعد البنيوية الخاصة بكل لغة. بالتّالي تقتضي هذه الأهمّية التي تكتسيها التّراكيب في بناء النّصوص، عنايةً كبيرة في التمثيل الحاسوبي للحصول على نتاج يتضمّن أقلّ عددٍ ممكنٍ من الأخطاء في التّراكيب.

من جهة أخرى، وفي ضوء ما عرضناه في هذا البحث من مقاربات لبناء برمجيات ضرورية للاستخدام كوسائل مساعدة على الترجمة وكفيلة بتوليد نتاج لا يحتاج إلى جهد كبير لإعادة صياغته، خلصنا إلى أنّ خصائص اللغة العربية وضرورة تعاملها مع اللغات الغربية تستدعي برمجية نموذجية تعتمد المناهج التالية:

- التمثيل اللغوي للمستويات الأساسية من قواعدها اللغوية، لا سيما الصرفية والمعجمية منها والتراكيبية: بالتالي، فهي بحاجة إلى وحدات من المقاربة اللغوية.

- بالنسبة للمستويات السياقية والدلالية، البرمجية العربية بحاجة إلى حواسيب ذات سعة تخزين كبيرة لاحتواء حجم كبير من المتون الموازية الموضوعية، فكلما تقلّص عدد المجالات المُعالجة، كلما حقّقت منظومة الترجمة نسبة عالية من الدقة في الترجمة. في هذه الحالة، تحتاج البرمجية العربية إلى تزويدها بالخوارزميات المُطبّقة في المقاربة الإحصائية

- البرمجية العربية بحاجة إلى المزج بين الوحدات التي حقّقت مواطن القوة في المقاربة اللغوية والمقاربة الإحصائية.

- المنظومة العربية بحاجة إلى الاستيحاء من الجهود الغربية الرامية إلى تصميم برمجية تشمل المقاربتين وهي برمجيات قائمة على المقاربة الهجينة ((Hybrid على طريقة منظومة "سستران" التي لا تزال تعاني من قصور رغم تحقيقها لترجمات ذات مستوى مقبول فيما بين اللغات المتشابهة الخصائص.

- البرمجية العربية بحاجة إلى مقاربة هجينة خاصة بها.

- البرمجية العربية بحاجة إلى تطبيق خوارزميات في قانون الاحتمالات على أساس وحدات ن-غرام التي سيكون لها تأثيرا إيجابيا هاما إذا تمّ الاعتماد على المتلازمات اللفظية وعلى العبارات الاصطلاحية أو المصطلحات المتخصصة التابعة لمجال محدّد.

- البرمجية العربية بحاجة إلى تضافر جهود المختصين في علوم الحاسوب واللغة والمجالات المتخصصة حسب أهميتها العملية والاستراتيجية وذلك، في مرحلة التصميم.

- البرمجية العربية بحاجة إلى عناصر بشرية لتقييم أدائها بعد مرحلة التصميم. في هذه الحالة، دور المترجم المحترف حاسم في تقييم الأداء من منطلق

جودة النتاج وسرعة الأداء وكلفته، وتوجيه المصمّمين فيما يتعلق بالغرض المنشود من البرمجية وفي تجميع المتون اللازمة لتعبئتها بها، في حين يتولى عالم اللغة واللسانيات تحديد القواعد اللغوية والمستويات الأساسية التي يجب تمثيلها بعد القيام بدراسة عملية مسبقة.

– البرمجية النموذجية العربية تستلزم حسن تحديد الأغراض وانتقاء المادة اللغوية والإحصائية وتجنيد المتدخلين المؤهلين في تصميمها من أجل تحقيق الأهداف المرتقبة.

إنّ اقتراح برمجية عربية للترجمة مشروع عملي يمكن تجسيده على أرض الواقع لتوفر البلاد العربية على الكفاءات والمهارات في مجال المعلوماتية وغيرها من الشُّعَب التي هي بحاجة إلى أن تُقيم بشأنها المؤسسات الجامعية جسرا للتواصل فيما بينها كما يجب حث القطاع الخاص على بذل الجهد والمال في مثل هذه المشاريع ولعلّ أبسط المشاريع التي لم تكترث لها المؤسسات العربية والتي تنطوي على أهمية قصوى ولا تستدعي تجنيد موارد مالية ضخمة، هي تشجيع تصميم قواميس ومعاجم الكترونية مفتوحة المصدر ومتخصصة المجالات، بحيث تسعى كل أسرة جامعية إلى بناء مسرد رقمي خاص بمختلف تخصّصاتها لتعريب العلوم والمعارف وستقوم مقام بنوك معطيات.

تكمن فائدة القواميس الالكترونية المفتوحة المصدر في توفير المادة الأساسية للمجال المُختص وفتح المجال للمختصين وغيرهم في ميدان معيّن لتعبئة القاموس بصفة مستمرة وتحديثه والرجوع إليه عند الحاجة وخلال إعداد البحوث باللغة العربية كما يمكن استغلال محتوى القاموس كمادة لغوية لتعبئة برمجيات الترجمة.

تجدر الإشارة إلى أنّ الاتجاه إلى اعتماد مقاربات هجينة، أصبح محلّ دراسة لدى الشركات العملاقة المُصممّة لبرامج الحاسوب وبرمجيات الترجمة. في هذا المجال نذكر جهود شركة "غوغل" في رعاية بحوث أكاديمية تُقدّم اقتراحات حول

تحسين النظم الإحصائية وإرفاقها بوحدات نمطية لغوية. في هذا الشأن، نحن ننـــوّه بجهود الطلبة والباحثين الشباب في سعيهم إلى ترقية اللغـــة العربيـــة مـــن خـــلال إدراجها بصفة فعالة في نظم الترجمة الآلية ونذكر على سبيل المثال العمـــل القـــيّم الذي أعدته الباحثة سهى سلطان (Soha Soltan) بمعهـــد علـــوم الحاســـب فـــي سويسرا، من خلال مناقشتها لمذكرة ماستر باللغة الانجليزيـــة فـــي عـــام 2011 بالتعاون مع شـــركة "غوغـــل" تحـــت عنـــوان: " *Applying Morphology to English-Arabic Statistical Machine Translation*" (تطبيق قواعد الصرف على منظومة الترجمة الآلية الإحصائية من اللغة الانجليزية إلى اللغـــة العربيـــة") أشرفت عليها الدكتورة كيث هول (Keith Hall) وهي تعمل بفريق البحث العلمي في شركة "غوغل"، والأستاذ دونالد كوسمان (Donald Kausmann) ، باحث فـــي علوم الحاسب أيضا في سويسرا. مثل هذه الأعمال الجليلة بحاجة إلـــى الإحصـــاء وإلى الترجمة إلى اللغة العربية لإثراء قائمة المراجع المعرفية فـــي هـــذا المجـــال ولتكون نقطة انطلاق لإعداد بحوث في هذا المجال، ولا ســـيما أنّ العمـــل يُبلـــور بوضوح فكرة تقريب الباحث من ميدان البحث وتنسيق الجهود الأكاديمية مع عمل المؤسسات والشركات، بحيث يكون مضمون البحـــث العلمـــي الأكـــاديمي حتمـــا موضوعيا وعمليا يستند إلى تجارب ملموسة ويطـــرح مشـــاكل واقعيـــة، ويتقـــدّم باقتراحات عملية.

قـــائمة المراجع:

باللغة العربية:

1) ــ القحطاني، سعد بن هادي: *" تحليل اللغـــة العربيـــة بوســـاطة الحاســـوب"*. الرياض: مركز اللغة الإنجليزية – معهد الإدارة.

2) ــ بربارة، سهيلة (2006): الترجمة بمساعدة الحاسوب من الانجليزيـــة إلـــى العربية: دراسة تحليلية ونقدية لنصوص مترجمة آليا. الجزائـــر: مـــذكرة لنيـــل شـــهادة الماجستير، قسم الترجمة، جامعة الجزائر 2.

3) ـــ بربارة، سهيلة (2017)، الترجمة بمساعدة الحاسوب من الانجليزيـــة إلـــى العربية: بين مقاربة برمجية "الوافي الـــذهبي" اللّغويـــة وبرمجيـــة "غوغـــل" Google الإحصائية: دراسة تاريخية تعاقبية وتزامنية مقارنة لنماذج نصية مترجمة آليا. الجزائـــر: رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، معهد الترجمة.

4) ـــ خطاب، شريف (2011): "المعالجة الآلية للغة العربية، أساسيات الحاسوب". القاهرة: بحث، قسم علوم الحاسب، كلية الحاسبات والمعلومات، جامعة القاهرة.

5) ـــ. نبيل علي (1998): اللغة العربية والحاسوب. الكويت: مؤسســـة تعريـــب الكويت

مواقع ويب:

1) موقـــع شـــركة "آي تـــي آي" ATA: https://site2corp.com/uk/ata-software-technology-limited

2) موقع شركة "صخر": http://www.sakhr.com/index.php/en/

باللغة الأجنبية

1) Alaouneh, Mouiad Fadiel (2011) . *Rule-Based and Example-Based Machine Translation from English to Arabic. Malaysia:* Fac. of Inf. Sci. & T.echnol., Nat. Univ. of Malaysia, Bangi, Malaysia. Published by EEE Conference Publications.

2) Callison-Burch, Chris (2007) . *Machine translation: Word-based models and the EM algorithm*.Slides borrowed from Philipp Koehn: John Hopkins University December 3 http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0885230814001077

3) Costa-Juss , Marta R. (2012) . *Study and comparison of rule-based and statistical Catalan- Spanish Machine Translation Systems, Computing and Informatics*, Vol. 31, P 248.

4) Costa-juss, Marta R. (2015). *Latest trends in hybrid machine translation and its applications*. Computer speech and language, volume 32, issue 1, , PP 3- 10. Paper on ScienceDirect website. http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0885230814001077

5) Costa-juss, Marta R. (and others) (2016). *Hybrid Approaches to Machine Translation*. eBook ISBN : 978-3-319-21311-8, pp 67-

75.

6) Grajales, Carlos Alberto Gómez (2015). "*The statistics behind Google translate"*. Statistics Views, available from:
http://www.statisticsviews.com/details/feature/8065581/The-statistics-behind-Google-

7) Hutchins, W.J.(1987). *Machine Translation: Past, Present, Future*: Ellis Horword Limited, West Sussex <http:ourworld.compuserve.com/hompages/WJ Hutchins/PPF_3.pdf) (assessed 29 December 2005)

8) Limarez, Jesus Angel Gimenez (2008) . *Empirical Machine Translation and its Evaluation. Barcelona:* Tesi Doctoral per a optar al grau deDoctor en Inform`atica. Programa de Doctorat en Intellig`encia Artificial, Departament de Llenguatges i Sistemes Inform`atics, Universitat Polit`ecnica de Catalunya, Barcelona, , PP 7-9.

9) Richens, R.H. and Booth, A.D. (1955).*'Some methods of mechanized translation.'* In: Locke, W.N. and Booth, A.D. (eds.) Machine translation: fourteen essays (Cambridge, Mass.: Technology Press of the Massachusetts Institute of Technology), pp. 24-46.

10) Shannon, C. E. and Weaver, W. (1949). *The mathematical theory of communication.* University of Urbana

11) Soudi, Abdelhadi. Farghaly, Ali. Günter Neumann. Zbib, Rabih (2012). *Challenges for Arabic Machine Translation* : .John Benjamins Publishing, pp343 – 347. Translate.html.

الهوامش

1 July 17, 1894 – November 24, 1978) was an American scientist, mathematician, and science administrator.

2 A computer scientist and a researcher in Hungarian language.

3 رئيس المجمع الجزائري للغة العربية.

4 من مقال: "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي" نشر في العدد الخاص من كتاب المجلس الأعلى للغة العربية الموسوم "العربية الراهن والمأمول"، 2009، ص 65.

5 Summer Institute for Linguistics (SIL) Ethnologue Survey (1999) available from : http://populationsdumonde.com/classements/les-10-langues-les-plus-parlees-dans-le-monde

6 George Weber," the Word's10 Most Influential Languages" .In: Language Today Vol. 2, Dec 1997
available from: http://french.server276.com/bulletin/articles/promote/advocacy/useful/toplanguages.pdf

7 : برمجية متوفّرة على الانترنت للتحميل من أجل ترتيب المدوّنات الموازية ترتيبا خطيا و هو يفيد في إعداد القواميس الثنائية اللّغة. تستخدم شركة آي بي أم هذه المنظومة على نطاق واسع. GIZA++[7]

8 يرتبط استعمال ذاكرة الترجمة بأسلوب الترجمة بمساعدة الحاسوب خلافا للترجمة الآلية الصرفة التي تعتمد على قواميس الكترونية ضخمة وخوارزميات رياضية. تتمثّل ذاكرة الترجمة في تخزين ترجمات سابقة في شكل نصوص متوازية ثنائية اللغة أو متعددة اللغة يتم إحضارها وتظهر في شكل خيارات ينتقي منها المترجم الترجمة الأنسب والأقرب من السياق الذي هو بصدد الترجمة فيه (شرح الباحثة). تعرّف مجموعة EAGLES (*Expert Advisory Group on Language Engineering Standards*) ـــ مجموعة الخبراء المستشارين حول معايير هندسة اللغة ـــ ذاكرة الترجمة على أنّها " "أرشيف من نصوص متعددة اللغات (مجزأة، ومصفّفة، ومحلّلة ومصنّفة) قابلة للتّخزين ولاسترجاعها أو مقاطع منها في لغات متعدّدة وفقا لشروط بحث مختلفة".

[9] بربارة، سهيلة (2016)، *الترجمة بمساعدة الحاسوب من الانجليزية إلى العربية:* بين مقاربة برمجية "الوافي الذهبي" اللّغوية وبرمجية "غوغل" Google الإحصائية دراسة تاريخية تعاقبية وتزامنية مقارنة لنماذج نصية مترجمة آليا، جامعة الجزائر 2، معهد الترجمة، ص 238.

تم استقاء المدوّنة من الوقع التالي: /www// :

(http exampleessays.com/categories/a.html)

[10] المصدر السابق، ص 238.

[11] المصدر السابق، ص 249

[12] المصدر السابق، جدول 21 نموذج 5 ، ص 283.

[13] المصدر السابق، رسم بياني دائري 19 نموذج 5، ص 283..

[14] المصدر السابق، ص284.

[15] المصدر الصادق، ص 284.

[16] المصدر السابق، جدول 22 نموذج 5 : ص 285.

[17] المصدر السابق، رسم بياني دائري 20 نموذج 5:ص 286.

[18] المصدر السابق، رسم بياني 21 نموذج 5: ص 286

[19] المصدر السابق، جدول 25: ص 298.



المحور الرّابع

دراسات أدبية ونقدية

المبدع من وثيقة البوح والاعتراف إلى تفكيك واستنطاق النّص

" دراسة نفسية "

أ.محمودي بشير ♥

ج. تيارت الجزائر

تاريخ الإرسال: .07-01-2018 تاريخ القبول: 18-04-2018

مدخل: إن البحث عن العقد النفسية والمكبوتات اللاشعورية للمبدع في العمل الأدبي، قد أخذ حيزا واسعا واهتماما كبيرا لدى الباحثين والدارسين، من حيث كثرة الدراسات الأدبية والبحوث التي تناولت هذا المجال بإسهاب وبوفرة واضحين إلى درجة الاقتناع أن ما يعاد قوله أو الخوض فيه في هذا المجال يكون على سبيل التكرار أو الاجترار، حتى لو اختلف المبدعون المعنيون بالدراسة واختلفت النّصوص المعنية بالمعالجة والتحليل، إذ النظريات والمقولات النفسية تكاد تكون نفسها، خاضعة لقاموس أو معجم موحد، وهذا ما يجعل البحث في القضايا النفسية من الأمور المألوفة والمستهلكة.

لذلك لابد أن نبحث عن رؤيا أو زاوية جديدة ننظر بها إلى الموضوع حتى لو كان مستهلكا أو مطروقا بالاستعانة بالمستجدات أو القضايا الجديدة التي ظهرت على المستوى النظري أو الاجرائي في مجال الدراسات النفسية وبخاصة تلك الأليات والأدوات المنهجية الجديدة في تحليل وقراءة النّصوص. مما يجعل إثارة البحث في القضايا النفسية للمبدع أو المؤلف من تلك الرؤى أو الزوايا يفتح الشهية من جديد وإعادة تقديم ما قيل من وصفات وما حدد من تشخيصات سابقا، وفق

♥ norasjp17@gmail.com

دراسة أو منهجية جديدة، تؤكد ما تم الوصول إليه، أو تعدله وإن لم نقل تلغيه تماما.

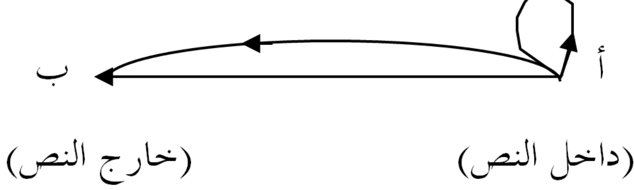
ولعل من أهم المقولات الجوهرية التي لابد أن تستفيد منها أو تستثمرها الدراسات النفسية هي مقولة المحايثة، كمبدأ أساسي يؤسس لمعظم التيارات والمناهج الجديدة أو المعاصرة في قراءة أو مقاربات النّصوص أو الخطابات بكل أنواعها، مهما كانت أهداف أو مرامي تلك القراءات أو المقاربات. فكثيرًا من الاستنتاجات والتشخيصات النفسية الخاصة بالمبدعين أو المؤلفين كانت ناتجة عن اعتراف أو بوح لهؤلاء المؤلفين أنفسهم، أو ناتجة عن شهادات وتصريحات من قبل المقربين أو المرافقين لهم في أغلب الأحيان، في غياب دراسة محايثة للنصوص، مهما كانت طبيعة تلك النّصوص، فقد تكون نصوصا إبداعية مطبوعة أو نصوصا لمسودات أو مشاريع لنصوص لم تكتمل بعد، أو قصاصات يكتبها ويوقعها المبدعون على الهامش في مناسبات رسمية أو غير رسمية أو نصوصا لاعترافات واستجوابات ومقابلات خاصة.

إن الدراسة الدقيقة والمتمعنة تفرض جمع كل شتات النّصوص المتعلقة بالمبدع أو المؤلف من أجل تحليلها وفحصها، لتكون بمثابة الكاشف الوحيد عن أية ملاحظة أو أي استنتاج أو تشخيص يتعلق بالجوانب النفسية أو الداخلية للمبدع أو بالعوالم الخفية والمظلمة من حياته، بكل ما تخفيه من عقد وهواجس وأحلام ورغبات وطموحات ودوافع، تقف غالبا وراء عمليّة الابداع أو الكتابة.

يقول أحمد حيدوش: "فالذي يهمه، أولا، هو أن يعرف فكر وعبقرية المؤلفين وأن يرسم صورا صادقة لجوانب حياتهم النفسية منها خاصة، مع التركيز على الجوانب الأكثر خصوصية والأكثر ديمومة فيهم انطلاقا من عمليّة تشريحية لإنتاجهم الأدبي ثم محاولة إظهار كيفية تطور الانسان وموهبته عبر الزمن"[1].

ولعل تقنية التشريح أو التفكيك للنصوص في منهجيات الدراسة الأدبية أو النقدية المعاصرة، تتماشى مع مقولة جمع لكل الخيوط المتعلقة بشخصية الأديب أو المبدع مهما كانت طبيعة تلك الخيوط، من حيث قيمتها وعلاقتها بحياة المبدع. وهذا يؤدي بنا إلى تفكيك وتشريح لشتات النّصوص المتعلقة بالمبدع التي كتبها أو صرح بها. على أن تتم عمليّة تصنيف أخرى للنصوص حسب درجة الأهمية أو الشكل الذي تظهر به. وفي كل الأحوال يصبح الحديث عن شخصية المبدع، لا يتم إلا في إطار أو حلقة ما يفرزه تحليل وتشريح تلك النّصوص (نصوص المسودات، النّصوص المطبوعة، نصوص المقابلات، نصوص الرسائل، .... إلخ)، لنبتعد بذلك عن التخمينات الافتراضية والاستنتاجات الاحتمالية.

إن البنى النفسية للمبدع بكل مضامينها ومعطياتها لابد أن تتحول إلى بنى لغوية وكتل نصية، حيث نجد أنفسنا أمام أبنية لغوية تخفي أبنية نفسية أو سيكولوجية. ومن ثمة تصبح جدلية الداخل والخارج أو الجواني والبراني مطروحة بحدة، إذ ننطلق من داخل النّص (الجواني) بتحليل شفراته وتراكيبه اللغوية للوصول أو لاكتشاف ما هو خارج النّص (البراني) من معطيات وعقد نفسية مرتبطة بالمبدع أو المؤلف.



وهكذا نعمد إلى تصنيف شتات النّصوص وترتيبه حسب أولويات أو عتبات تسمح بتعرية العالم الداخلي للمبدع ومعرفة الخفايا والزوايا المظلمة من حياته أمام نصوص مختلفة من حيث القيمة، كنصوص المسودات والنّصوص المطبوعة ونصوص المقابلات والرسائل الخاصة التي تتضمن البوح والاعتراف بالجوانب الداخلية والقضايا النفسية المتعلقة بشخصية المبدع.

فنص مسودة العمل الأدبي يمكن أن نطلق عليها تسمية **النّص التحتي** لأنها بمثابة الأصول أو الوثيقة الأم، التي تبين مراحل تشكل النّص وميلاده، وكأنها تقوم بوظيفة رسم جنيني وتحديد عضوي لتكون النّص، فهي صورة أو نسخة من النّص المطبوع المكتمل، إلا أنها تختلف كل الاختلاف (المسودة) عنه. فهي تأخذ مظهرا آخر بدءا بالخط الذي تظهر به، فهو خط المؤلف نفسه إضافة إلى اللمسات البارزة والمؤشرات الواضحة، قد تكون حذفا أو شطبا أو بياضا أو إلى غير ذلك من التصحيحات والتعديلات التي يعمد إليها المبدع أثناء الكتابة، والتي تحدث بصفة عفوية أو بصفة مقصودة.

إن الاستبدالات والاختيارات التي تظهر في **النّص التحتي** (نص المسودة) ليست بريئة، وحتى لو كانت كذلك، فالمحلل النفسي يتخذها علامة دالة أو إشارة تلميح إلى ما يريد الوصول إليه أو تشخيصه. فهو يتشبث بأي خيط يمكنه من اكتشاف الحقيقة النفسية للمبدع، مهما كان ذلك الخيط واهيا أو وهميا وبغض النظر عن النتائج المتوصل إليها لابد أن تكون معطياتها منطلقاتها من النّص في حد ذاته.

وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن أن نطمئن لنص المسودة أو النّص التحتي على أنه الأصل المولد لكل حقيقة والمتضمن لكل معطى نفسي، لا يرتقي إليه الشك ولا يطاله الريب. فهو في كل الأحوال نسخة منقحة ومعدلة تحيل إلى النّص المطبوع الذي يمكن أن نطلق عليه تسمية **النّص الموازي**. وهو نص يوازي النّص التحتي (نص المسودة)، يتجهان اتجاها واحدا وفي حركة واستقامة واحدة، ولكنهما لا يتقاطعان أبدا، حتى لو كان المنطق يفرض التعامل معهما على أساس الأصل والصورة أو النسخة المطابقة، وإن كان منهج التحليل النفسي لا تغريه التطابقات بقدر ما تغريه الاختلافات أو التّناقضات.

إن البحث عن الاختلاف أو التّناقض هو الهاجس الذي يسيطر على المحلل النفسي، إذ لا يمكن أن نعمد إلى تطبيقات معيارية أو إلى تدريبات آلية بنمط

تعليمي جامد بين النسختين (النّص التحتي/ النّص الموازي). فالنّص الموازي (النّص المطبوع) هو نص مغاير قد يبتعد عن النّص التحتي (نص المسودة) بدرجة أو بدرجتين، لأنه خاضع من وقت إلى آخر للمراجعات والتنقيحات التي قد تتضمن ميولات نفسية ورغبات داخلية أو دوافع مكبوتة تستقر في لاشعور المبدع.

أما النّص الثالث من شتات النّصوص الذي أشرنا إليه سلفا، فهو نص المراسلات والمقابلات الخاصة والذي يمكن أن نسميه **بالنّص الفوقي** الذي يتضمن اعترافا أو بوحا حول شخصية المبدع، من حيث الاعتراف بتأملاته وميولاته الداخلية أو النفسية، وكذلك الاشارة إلى لحظات الكتابة وما يصاحبها من مشاعر وانفعالات وطقوس خاصة. وهذا النّص يتعالى على بقية النّصين (النّص التحتي/ النّص الموازي) لكونه يتضمن تصريحات واعترافات تبدو قطعية ويقينية من المؤلف نفسه إلا أنه لابد أن لا ننساق معها أو نطمئن إليها. فهي اعترافات قد تخضع إلى عمليّة قص أو حذف وتكتم على بعض القضايا والمشاكل التي تعد من الأسرار التي يتحفظ المبدع من ذكرها أو حتى الاشارة إليها.

فاعترافات المبدع في نص المراسلات والمقابلات (النّص الفوقي) تقترب من التصريحات الدبلوماسية المقتضبة والمختارة التي يتم اختيار عباراتها وملفوظاتها بذكاء وفطنة شديدين وبحرص وتحفظ كبيرين. وبذلك تبقى تلك الاعترافات مجرد تصريحات يستأنس بها فقط، ولابد أن لا تتحول إلى موجِّهات ومؤطرات لقراءة وتشريح النّصوص من أجل استخلاص النماذج والقوانين النفسية التي تتضمنها.

فالمبدع في نهاية الأمر لا يريد أن ينكشف أو يتعرى أمام الجميع، لأن ذلك يجعله ملكا مشاعا. فهو يحرص على أن تبقى شخصيته غامضة ومبهمة ونصوصه الابداعية مستغلقة، تضمن البقاء والاستمرار من ثمة تكون اعترافاته مجرد توقيعات تستجيب للباقة ما أو تحضر لابد منهما في جلسات الحوار ومقابلات الاستضافة ومراسلات الكتابة.

ومن أجل تحقيق التكامل الوظيفي بين شتات النّصوص، من أجل استخلاص واكتشاف القضايا والسلوكيات النفسية، اخترنا الروائي محمد العالي عرعار [2] لتحقيق أهم الرؤى والأفكار النظرية، من حيث فحص وتشريح لنصوص مسودات رواية **البحث عن الوجه الآخر** [3]، وتحليل النّص المطبوع للرواية نفسها، مع قراءة وثيقة بعث بها الروائي نفسه معنونة بـ: **اعترافات حول لحظات الكتابة** وهكذا تم لنا جمع شتات النّصوص (نص المسودة، النّص المطبوع، نص الاعتراف أو نص المراسلة).

النّص التحتي (نص المسودة): إن فحص ومعاينة مسودة رواية "البحث عن الوجه الآخر" (النّص التحتي) يجعلنا نقف عند ظاهرة رسم الحروف أثناء الكتابة وكذا كثرة الشطب المتعلق برسمها، إضافة إلى أنها تخضع إلى رسم مخالف من حين إلى آخر. وهي حروف في الأساس مفتوحة وليست مغلقة، إلا أن الروائي يعمد إلى رسمها بشكل مغلق مع الشطب الذي يدل على التصحيح أو قد يدل على تثبيت ذلك الخرق في رسم الحروف (أنظر الملحق رقم 01).

فالخطأ وارد أثناء الكتابة وتراجع المؤلف للتصحيح ممكن ومحتمل كذلك ولكن الخطأ إذا تكرر يصبح عادة والعادة من الأوتار التي يحب أو يرغب علماء النفس في مداعبتها أو الرقن عليها. ولعل ظاهرة رسم الحروف ووجودها بصورة بقع ملطخة بالحبر وبشكل دمغات سوداء بارزة وبوضعية مُكررة وملفتة للانتباه ومثيرة للاهتمام من أجل فك شفراتها والكشف عن أسرارها.

ولعل السر الذي يطرح نفسه هنا وبإلحاح، هو الرسم المنغلق للحروف، فنحن أمام نزعة نفسية أو ميول داخلية لدى المؤلف إلى الانغلاق، الذي يمكن أن نترجمه إلى ظاهرة الانطواء (L'intertroversion)[4]. وهو نوع من السلوك لدى الانسان لا يصل إلى حد الأمراض العصابية، وإنما هو خيار في الحياة نابع من قناعات فكرية وتأملات فلسفية تؤدي إلى انطواء الشخص على ذاته وخلق عالم خاصا به

مع اندماج قليل اجتماعيا. فإن عدم التكافؤ أو التجانس في درجة الفكر أو الوعي بين الشخص والآخرين يجعله يميل إلى هذا الانطواء الذي هو نمط من الحياة يختاره الانسان بوعي وقناعة، كفلسفة في الحياة وليس نمطا مفروضا أو ناتجا عن دوافع غامضة ونزعات لا شعورية أو مكبوتات خاضعة لعقد نفسية ومشكلات داخلية متشابكة ومتداخلة تؤدي بالشخص إلى حياة غير سوية، فيعيش حالة من الهستيريا والعصاب تنتهي غالبا بمصير الانتحار أو الضياع.

وهذه الحدة غير مطروحة لدى "عرعار" الذي يمثل بطل رواية "البحث عن الوجه الآخر" الذي يميل إلى الانطواء، كانشغال واستغراق في التصورات والتأملات الفكرية. مما يجعل هذه الاستنتاجات أو التخمينات تكاد تكون يقينية، هو تدخل الروائي نفسه بشروحات وتعليقات داخل النّص، تكشف أحيانا عن كل ما تصرح به الشخصيات في الرواية، وإن كان لا يوجد في هذه الرواية إلا شخصية واحدة، هي شخصية المؤلف حتى لو ظهرت شخصيات أخرى فهي مجرد أبواق ينفخ فيها المؤلف صوته وروحه ويحملها لمساته وتوقيعاته ويشحنها بأفكاره وتأملاته. وهذا ما يؤكده ويعترف به المؤلف نفسه.

- "إذن فحقيقة الأمر، هو أنا نفسي أمثل الأدوار وليس هناك أحد معي"(5)

ولعل اعتراف البطل (السارد/ المؤلف) بأحادية الصوت في الرواية يدل على النزعة الانطوائية لشخصيات الرواية أو بتعبير أدق يدل على النزعة الانطوائية لشخصية الرواية (البطل/السارد/المؤلف) فالمادة الحكائية، لا تخرج عن عرض للتصورات والتأملات وعرض للرؤى الفكرية والفلسفية حول الحياة والوجود والكون وكل ما هو محيط بالشخصية (المؤلف). فكل الأشياء مشحونة بمعطيات فكرية مفرغة من محتواها الواقعي أو الطبيعي، حيث تتحول إلى قيم ورؤى تسقطها الشخصية على الأشياء، لتتحول في نهاية الأمر إلى كائنات حية تتعامل

وتتفاعل معها الشخصية بشكل إيجابي وبطمأنينة وارتياح، وهذا نمط من أنماط العزلة أو الوحدة يعكسان التعامل أو الاندماج القليل في المجتمع أو مع الآخرين.

كما أن عناية المحلل النفسي بطبيعة ورسم الحروف في النّص الابداعي، سواء كان يمثل مسودة العمل الأدبي أم النّص المطبوع، ظاهرة أشار أو تعامل معها المحلل النفسي "جاك لاكان" "Jaque Lacan " في تحليله للنصوص الروائية من وجهة علم النفس البنيوي. وهي معالجة مثيرة ومدهشة من حيث معالجة البنية اللغوية للنص، انطلاقا من أصغر وحدة بنائية له (الحرف) ومقابلة البنية اللغوية ببنية نفسية ترتبط بلاوعي المؤلف أو بعالم اللاشعور.

لعل رسم الحروف عند "عرعار" في نص المسودة يوحي كذلك ببنى نفسية لا واعية ترتبط بعالمه النفسي أو الداخلي. فالحروف لم تستقر على رسمها الطبيعي أو السوي وحتى رسمها غير السوي لم يستقر هو الآخر، فرسم الحروف يتغير من حين إلى آخر. وهذا يدل على حياة مضطربة ومشوشة لدى المبدع (المؤلف) ناتجة عن عدم استقرار الذات فكريا وعدم تجانس أفكارها وتأملاتها مع أفكار وتأملات الأخرين مما جعلها تنطوي على نفسها في حوار ومناجاة ذاتية أساسها معطيات ذهنية وعقلية تطمح إلى تحقيق عالم أخر حتى لو على سبيل الحلم والخيال.

إن رسم الحروف (جـ، حـ، ع) لم يخضع إلى وضع خطي طبيعي وإنما خضع إلى رسم مغلق بدمغة حبرية داكنة وبصورة مكررة (جـ، حـ، عـ) فكل ما هو انفتاح وإقبال يتحول إلى انغلاق وانعزال، وذلك يعكس البنية النفسية القلقة والمضطربة التي لا تستقر بل هي في حركة متذبذبة بين الرغبة في الاندماج والمسايرة وبين رغبة الرفض والامتناع.

"الآخرون.

الكتل الحية المتحركة، المتماوجة هنا وهناك وفق إيقاع مجهول، لا أبغي الاندماج فيها .. إنها بالنسبة لي عبارة عن لوحات فقدت مضمونها فتلاشت أجزاء

دون وحدة ومن غير اتساق. أعرف أني بمفردي، ودون هذه الجموع من الأحياء لا أستطيع العيش .. فارتباطي حتمية اجتماعية لكن أحس أني أختزن في وجودي الحقيقة الوحيدة .... هذه الحقيقة تلوح صغيرة بسيطة، بل تافهة لبساطتها ... ولكن من جهة أخرى غير مستقرة على حال"(6)

وإذا تمعنا في الصفحة الثانية من مسودات رواية "البحث عن الوجه الآخر" تستوقفنا ظاهرة أخرى، عدا ظاهرة رسم الحروف التي لاحظناها في المدونة رقم 01 (أنظر الملحق) وهي حذف وشطب لتسع كلمات؛ إذ يثير شطب كلمة واحدة تساؤلات عديدة، من حيث قراءة هذه الكلمة في حذ ذاتها والتي جاءت مقرونة بكلمة "محدثة الهاتف" أي وجود لذكر امرأة مع أن الكلمة المحذوفة أو المشطوبة تدل على كلمة الأم ولكن باللهجة العامية الجزائرية (يِيّما uma) التي خضعت إلى رسم أو كتابة باللغة الفرنسية، وهذا كله ناتج عن إملاءات أو انزلاقات اللاوعي (أنظر الملحق رقم 02).

وقد ينكر المبدع أو المؤلف هذا التخريج، بل قد يراه ضربا من الوهم لأن فك طلاسم ما هو مشطوب أو محذوف قد يختلف من شخص إلى آخر ولكن هذا لا يمنع من أن التحليل النفسي يستند في استنتاجاته وتخريجاته إلى أي خيط أو ملاحظة يساعدان في بنا ء تصور أو تخريج ما.

فتذكر الأم هنا الذي جاء مقرونا بتذكر محدثة الهاتف المجهولة، ما هو إلا استعادة الارتباط بالأم، وقد لا يكون هذا الارتباط ناتجا عن دوافع جنسية. وإنما قد يرتبط بالتصور المثالي والوجود المتعالي للأم عند المبدع، وإن كان فرويد (Freud) أرجع ذلك إلى عقدة نفسية سماها بعقدة أوديب [7] التي تتضمن ارتباط الابن بالأم ارتباطا جنسيا وكرهه للأب كطرف منافس لهذا الارتباط أو الحب يصل إلى حد قتله.

وإن كان هذا مستبعدا عند "عرعار" فكل ما يبدو أنه عقد نفسية وأمراض عصابية وشطحات جنونية لدى المبدع (بطل الرواية) يرجع أساسه إلى معطى فكري وفلسفي. فالموجودات والكائنات تخضع لنمط خاص وطبيعة معينة، ينحدران من التصور الفكري للحياة أساسا، حيث إن كل شيء يتلون بهذه الفلسفة التي تؤطر حياة المبدع فالموجودات هي الأشياء التي ترسخت في الذاكرة وكونت، العالم الطفولي للمبدع عالم الصفاء والنقاء، الذي لم يدنس ولم يلطخ، كوجود الأم الذي يمثل الصورة المثالية التي تحقق له الارتياح والطمأنينة أو تحقق له ما يسميه المبدع بالدفء أو المعايشة.

ولعل ارتباط المبدع بهذا العالم (عالم الطفولة) يعود، إلى الوجود الأولي في هذه المرحلة الذي كان وجودا طبيعيا، لم يستطع المبدع تحديد معالمه ومعطياته، وإنما يعيشه بصورة عادية وطبيعية، بتفاعل وإقبال دون مساءلة أو حيرة تلك المساءلة التي تولدت في مرحلة لاحقة. وهي مرحلة النضج وامتلاك المبدع لدرجة من الوعي أو التفكير، جعلته يشحن كل الموجودات والكائنات المحيطة به بنتاج تصوراته وتأملاته الفكرية، فلم يتحقق له التعايش أو الاندماج، لعدم وجود التكافؤ الفكري، مما جعله حبيس عالمه الخاص، يطل على الواقع من برج فوقي متعالي بسخرية وأحيانا باشمئزاز وتقزز. وكأن هذا الواقع لا يعنيه في شيء مطلقا فتنطوي الشخصية على ذاتها موغلة وغارقة في بحر من التأملات والخيالات تصل إلى أبعد حدود الكون والوجود.

النّص الموازي (النّص المطبوع): النّص الموازي (النّص المطبوع) هو نص يوازي أو يقابل النّص التحتي (نص المسودة) ولكنه لا يتطابق معه أو يتداخل. فقد يوحي بأنه هو، ولكن لابد أن لا نسلم بهذه الفكرة باعتبار أن النّص التحتي أو نص المسودة لا يستقر على حال. فقد يغير المبدع من هذا النّص ويتراجع عن بعض الأساليب أو التعابير ويتردد في توظيف بعض الصيغ أو الصور وبالتالي يتراجع

عن بعض الأفكار أو المعطيات، حتى لو كان ذلك التغيير جزئيا وضئيلا، لأنــه لا يمكن أن يمحي النّص الموازي النّص التحتي أو يحذفه تماما، وإنمــا تقــع بعــض التحويرات أو التعديلات على شكل رقع متناثرة عبر مساحة النّص.

إلا أن النزعة العامة تبقى تهيمن أو تسيطر على النّص، فنص المســودة مهمــا كان، فهو مشروع لكتابة نص ما، سواء كان شعرا أم رواية أم غير ذلك، وهذا ما يمكن أن نسميه بمحور أو لب النّص. أما محور رواية "البحث عن الوجه الآخــر" فهو محور فكري يحيل إلى أجواء نفسية ومعطيات سيكولوجية، اساسها اســتغراق الذات في التأملات الفكرية والحوارات الفلسفية المطولة والغريبة في أغلب الأحيان تعكس أجواءً أسطورية وفضاءات عجائبية، لا تدل على الخرافة أو الوهم، بقدر ما تدل على الواقع، بل على نمط أو مظهر من مظاهر معايشته والتفاعل معه بعمــق وبدرجة عالية من الوعي والفكر في بنية الواقع وحركيته وتحولاته، وعلاقة كــل ذلك بوجود الانسان، وبدوره أو موقفه من هذا الوجود. وهكذا فإن ما يبدو خرافــة أو وهما عند "عرعار" هو واقع وحقيقة، أو بتعبير آخر الحقيقة كما يراها بنزعــة عرعاروية. [(8)]

وهي نزعة تميل إلى رسم حدود للعالم يستمد تفاصيله ومعالمه من الواقع، ولكن برؤيا متعالية ومثالية وبفلسفة عميقة، تحددان ملامح لواقع آخــر، يخلقــه المبــدع "عرعار" ويشكله بقدرة عظيمة وتمكن كبير. يجعلانه يسبح في عالم مــن الوجــود النوراني والفيض الروحاني في عالم الوحدة والانطواء. وهذا التفرد يعود إلى عدم محاولة الذات تغيير الواقع بتغيير نمط معايشة الآخرين وتفاعلهم معه، حتى علــى مستوى المحيط القريب من الذات أو المفروض على الذات التعامل معه.

- "من أنه بإمكاني إحداث وخلق ما أشاء"[(9)]

- "التحولات عمليّة حيوية بالنسبة لي، تحدث بفعل عوامــل متعــددة تــدفعني للتسامي والتفهم رغم كل ما تطرحه من عقــد ومــا يتولــد عنهــا مــن صــراع واضطراب"[10].
- "كنت فيضا مطلقا، التقى عندي الخطان، فانبعثت الحياة في .. طــرأ علــى تحريف بسيط، أدركته، تلاشت نقطة الالتقاء، فكنت فيضا مطلقا، وحسب كل التقاء تكون حياة معينة. [11]

أما بالنسبة لعقدة أوديب التي وردت في نص المسودة من خلال تأويلنا للكلمــة المشطوبة في النّص، فقد وردت معطياتها كذلك بشكل موزع على مساحة الــنّص. ولكن هذه العقدة تخضع هي الأخرى للنزعة العامة التي شكلت المرجعية الوحيــدة للكتابة أو الفلسفة الخاصة التي تؤسس لكل شيء، والتي تجنح في الوقت نفسه إلــى كل ما هو مثالي ومتعالي. فالحياة لا تخضع إلى حركة عشوائية وإنما تخضع إلــى بناء فكري وإلى محددات فلسفية بالدرجة الأولى لدى البدع.

- "البيت مغمور بعروس فاتنة" عقدت معها الــزواج فــي ظــروف مناســبة تستقبلني عند الباب، باسمة، كحسناء تخلق من الحلم .. وتضمني إلى صدرها، كأم ترضع طفلها"[12].
- "إني أكره أبي لأنه يكرهك وأود أن لا أراه مرة ثانية حتى يموت"[13].
- "ليذهب إلى النار أبي .. ليذهب إلى النار أبي"[14].

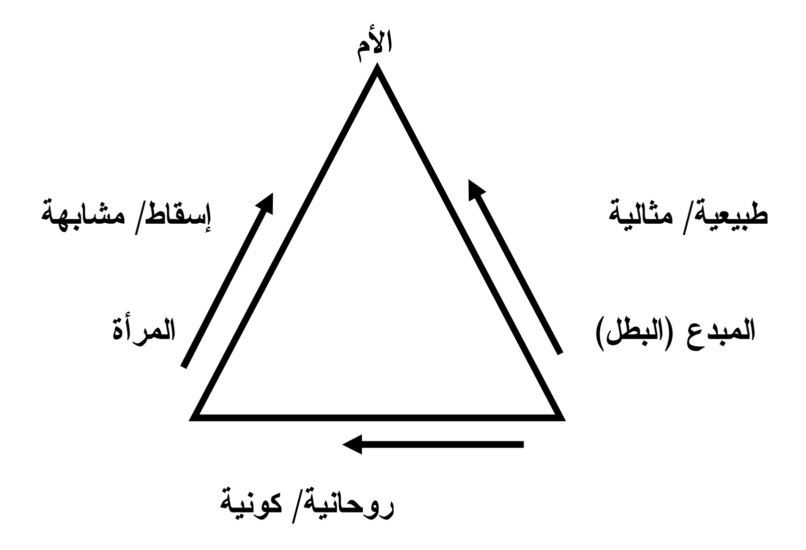
ولعل هذه المثالية يحققها المبدع في عالم الحلم، أين يتحقق كل شيء وتشبع كل رغبة، وقد يكون كل ما ذهب إليه المبدع (عرعار) من تأملات وأحــلام، شــكلت معظم الأحداث والوقائع والمواقف هو نوع من توظيف لثقافــة معينــة ومعــارف متنوعة قد تسهم في تشكيل الشخصية وتكوينها ولكن ليس إلى حد تطبيق مضامين النظريات والفلسفات تطبيقا أليا واسقاطا مباشرا على شخصية المبدع. فليس كل ما يوظفه من رموز وتعابير وصور، له علاقة أو صلة بشخصيته وحياته.

إن التشبيهات والتعابير التصويرية لابد أن لا توهمنا بوجود للنماذج والقوانين النفسية بما فيها عقدة أوديب في النّص (كأم ترضع طفلها)، وإنما يكون ذلك ناتجا عن رغبة المؤلف لتحقيق نمط من التصوير أو نوع من التعبير بعيدا عن أي إصابة بأمراض عصابية وعقد نفسية. لأن "عقدة أوديب" عندما تتمكن بعمق من صاحبها تؤدي بالشخص إلى وضعية غير سوية وحياة مضطربة ومشوشة تصل إلى حد الفشل في عقد أية علاقة سوية أو طبيعية مع الآخرين.

وهذا مستبعد عند "عرعار"، لأن ما ورد من إشارات أو معطيات حول هذه العقدة كان على سبيل التصوير الفني وتحقيق للعلاقة المثالية بين الرجل والمرأة. كأن تكون العلاقة مثالية، كلها صدق ووفاء وحب متفان مثل علاقة الطفل بأمه فهي علاقة طبيعية مليئة بفيض روحاني جارف وبدفء عاطفي جامح. وهذا ما يريد المبدع تحقيقه في علاقة الرجل بالمرأة، وهو إعلاء هذه العلاقة وجعلها تتجاوز العلاقة الجنسية الشهوانية إلى العلاقة الروحانية الكونية منطلقها الجنس أساسًا.

- "المهم، أن ما خرجت به هو الاعتقاد في تطوير الجنس وإعلاء مقامه، حتى يخرج من الاحتكاك والالتصاق البدنيين، إلى التواجد والتناغم الكونيين، اللذين هما الدعامتين الوحيدتين المعبرتين عن صدقنا وحقيقتنا الخالدة"[(15)].

وهكذا يمكننا تعويض المثلث الأوديبي (الطفل/الأب/الأم) بمثلث آخر يشكل نمط أو طبيعة العلاقات التي يريد المبدع تحقيقها يشكل هو نفسه الطرف الأساسي فيها كعنصر يتعارض أو يتقابل مع الأطراف الأخرى (الأم/المرأة)، حيث إن كل علاقة تستمد طبيعتها أو خاصيتها من العلاقة الأخرى بصيغة تكاملية ووظيفية، تحقق النزعة المثالية لدى المبدع حتى لو كان ذلك على سبيل الذكرى أو الحلم ويمكن أن نسمي هذا المثلث بالمثلث العلائقي.



النّص الفوقي: إن النّص الفوقي أو نص البوح والاعترافات، يبدو وكأنه هو مفتاح امتلاك المبدع ومعرفته عن قرب، من خلال معرفة كل ما يخفيه من عقد وهواجس وأحاسيس وميولات تجعل شخصيته واضحة وشفافة وأعماله الأدبية سهلة المنال، لانكشاف دوافع كتابتها وتأليفها. إلا أن النّص الفوقي في بعض الأحيان لا يمد القارئ أو المتلقي بشيء ذي شأن، لتعمد المؤلف إلى الإفصاح عن تصريحات شحيحة يقدمها بشكل ديبلوماسي لبق، نزولا عند مجاملة أو مناسبة مفروضة أو استضافة من الجهات المتخصصة في تنظيم الحوارات واللقاءات.

وهذا بالتقريب ما حدث مع "عرعار" في مراسلته عنونها بـ: "**اعترافات حول لحظات الكتابة**" حيث كانت مقتضبة جدا وموجزة، وكأنها برقية مستعجلة تتضمن ما هو مهم في نظره المبدع دون ثرثرة وتورط في التفاصيل والشروحات التي قد توقع المبدع في انزلاق الاعتراف أو البوح بما لا يريده أن يظهر أو ينكشف. لأن المبدع مهما كانت نشأته أو حياته العاطفية ووضعيته الاجتماعية. فهناك أمور يتمنى أنْ لا تثار ولا يسمح بإثارتها وإحيائها فيلجأ إلى صيغة التعتيم والتكتم أو التصريح بما هو عام قد ينطبق على أي مبدع كان، باعتبار أن العمليّة الابداعية

لها طقوس ومنطلقات قد تكون واحدة، مع اختلاف دوافع الابداع أو حوافزه من مبدع إلى آخر.

وهذا ما فعله "عرعار" في وثيقة الاعتراف، حيث قدم تصريحات عامة وباردة لا تستوقف القارئ أو المتلقي في نقطة معينة أو قضية مثيرة، مثلما كان الأمر في نص المسودة (النّص التحتي) أو في النّص المطبوع (النّص الموازي) (أنظر الملحق الوثيقة رقم 03).

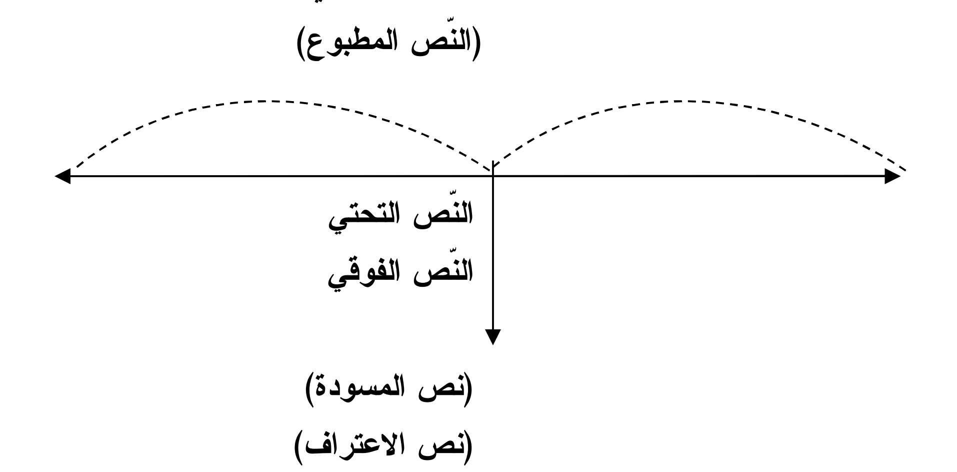
فكل التصريحات كانت حول طقوس الكتابة، من حيث ذكر للأوقات التي يحبذها والأدوات التي يستخدمها، كنوع الأوراق ونوع السيالة المحببة لديه وحديثه عن مشروع الكتابة بصفة عامة. فالعمل الأدبي يكون لدى المبدع مشروعا يتضمن رؤى وتأملات فكرية (البعد الذهني) لوضعية اجتماعية يعيشها (البعد الاجتماعي) اللتان يحملهما بأبعاد وجدانية وعاطفية تسمح بتحقيق المتعة والاشباع الروحي. وهذا يمثل قاعدة للإبداع مسلم بها، "فعرعار" لم يعط شيئا جديدا بل ذكر بالقاعدة فقط.

وهذا الأمر طبيعي كما ذكرنا سلفا، إذ لا ننتظر من اعترافات المبدع الشيء الكثير خاصة إذا طلب منه ذلك لغاية أو لهدف إعداد دراسة نفسية حول شخصيته. فكل الاعترافات تؤخذ على سبيل الاستئناس فقط، وقد لا تتطابق كلية مع ما نذهب إليه من تخمينات واستنتاجات حول شخصية المبدع. وهذا ما حدث مع عرعار فالنّص يطرح بؤرا من التشكلات النفسية والمعطيات المعقدة التي لا تدل على شخصية طبيعية وهادئة، مثلما تظهرها وثيقة الاعتراف. فشخصيته تحمل معاناة فكرية انعكست على حياتها الوجدانية والاجتماعية، فعاشت حياة مضطربة وقلقة ولكنها سوية في الوقت نفسه.

وما يمكن استنتاجه هو أن النّص الموازي (النّص المطبوع) يتحول في نهاية الأمر إلى **نص مركزي** باعتبار أن النّص التحتي (نص المسودة) لا يعرف

الاستقرار أو الثبات، فهو متحول باستمرار من خلال المراجعات والتصفيحات التي يقوم بها المبدع أو المؤلف من حين إلى آخر، لأنه في كل الأحوال هو بصدد إعداد مشروع للكتابة يخضع إلى تعديلات وإعادة ترتيب وقد يكون الشطب الناتج أو الحذف المتكرر هو في الأساس لذلك الهدف، إلا أنه تبقى بعض المحذوفات تحتفظ بدلالة أو إشارة نفسية مرتبطة بشخصية المبدع وحياته بخاصة حياته الطفولية التي تمد بظلالها إلى مراحل أخرى، تسهم في تشكيلها وتوجيهها.

أما النّص الفوقي (نص الاعتراف أو البوح)، فهو نص شحيح وبخيل يخضع إلى كبح وتقييد من قبل المبدع من أجل ذلك يبقى استنطاق النّص الموازي (النّص المركزي) وتفكيك بناه وتراكيبه اللغوية، المنهجية الناجعة لاكتشاف ومعرفة شخصية المبدع مع الاستئناس بمعطيات النّص التحتي والنّص الفوقي معا.



الإحالات والهوامش:

[1]- أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1990، ص 11.

[2]- محمد العالي عرعار روائي جزائري من الرعيل أو الجيل الثاني في الكتابة الروائية الجزائرية، له عدة روايات أولها رواية "ما لا تذروه الرياح" و"الطموح" وغيرهما من الأعمال الروائية التي يتجه فيها اتجاه فكريا أو فلسفيا. فهو كاتب شخصيات وكاتب المواقف والتأملات. لذلك صنف النقاد رواياته في إطار الرواية الفلسفية أو الفكرية.

[3]- الطبعة التي اعتمدناها في هذه الدراسة هي : "البحث عن الوجه الأخر"، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980م.

[4]– الانطواء (L'intertroversion): تستعمل كلمة المنطوي لتعني الشخصية الاستبطانية الهادئة غير الاجتماعية، ليست بالضرورة منعزلة. ولقد وظف هذا المصطلح عالم النفس السويسري "**كارل يونبج**". وهو حالة من الميول إلى الاهتمام أو الهيمنة كليا بحياة المرء الذهنية. كما أن الانطواء يتضمن تفضيل النشاطات الانفرادية وتمعن الشخصية المنطوية في التفكير والتحليل وتفضل الأجواء الهادئة التي تقل فيها الإثارة ...

[5]– البحث عن الوجه الأخر، ع، س، ص 38.

[6]- م، ن، ص 23.

[7]- عقدة أوديب (Oedipus complex) : عقدة لا وعية تفسرها نظرية التحليل النفسي بالإشارة إلى أسطورة أوديب وتنشأ هذه العقدة لدى الابن بسبب تعلقه الجنسي بالأم مما يسفر عن شعور بالذنب ومشاعر تحد للأب.

[8]-النزعة العرعاروية وردت في اعتراف للمبدع أو المؤلف في رسالة بعثها إلينا بتاريخ 2000/01/31.

[9]-البحث عن الوجه الأخر، ع، س، ص 36.

[10]-م، ن، ص 62.

[11]-م، ن، ص 85.

[12]-م، ن، ص 54.

[13]-م، ن، ص 82.

دور الاتساق والانسجام في تحليل النّصوص الأدبية

"تقوى الله والإحسان للآخرين لعبدة بن الطبيب أنموذجا"

أ. نوار نسيمة♥

جامعة الجزائر2

تاريخ الإرسال: 01-05-2018   تاريخ القبول: 24-06-2018

الملخص: تعتبر لسانيات النّص منهجا جديدا في الدراسات اللغوية الحديثة، تهتم بدراسة النّص باعتباره "مجموعة من الجمل تربط بينها علاقات داخلية وخارجية" تمثل الاتساق والانسجام.

وإذا كان تحليل النّص الأدبي وفقا للاتساق بنوعية المعجمي الخاص بالمفردات والنحوي الذي يشمل الوصل والفصل والإحالة والاستبدال والحذف، فإن الانسجام يشمل الثبات والتغير الموجودين بين فقرات النّص إضافة إلى العلاقات بين الجمل من الناحية الدلالية أو بين العنوان والنّص وغير ذلك.

إلا أننا إذا عدنا للنصوص الأدبية التي يتم تدريسها على المستوى الثانوي، فإننا نلاحظ أن الأستاذ لا يولي هذين المبحثين أهمية كبيرة، وفي اعتقادنا فإن ذلك يعود إلى عدم فصله بين الاتساق والانسجام وعناصر كلٍّ منهما، وهذا ما يجعله مقصرا في تحليل النّص وفقا لهما، الأمر الذي جعلنا نكتب في هذا الموضوع، ونوضح دورهما في تحليل النّصوص الأدبية، مساعدة منا لكل أستاذ يدرس اللغة العربية ويحلل النّصوص الأدبية.

♥ oumssadhayet@gmail.com

فماذا يقصد بالاتساق والانسجام؟ وما هي عناصر كل منهما؟ ثم ما هو دورهما في تحليل النّصوص الأدبية؟ وهل يمكن للمتعلم استيعاب مثل هذه المفاهيم التي مازال الخلط في مفهومها من طرف بعض اللغويين والباحثين إلى يومنا هذا.

: Abstract: The text linguistics is a new curriculum in recent language studies، which is concerned with the study of the text "as a set of sentences that interrelates between them internal and external relations ", representing cohesion and coherence .

If the analysis of the literary text According to cohesion with his two types, lexical for the vocabulary, and Grammatical which includes connection, separation, referral, substitution and deletion, cohesion encompasses the stability and variability that exist between the paragraphs of the text, as well as the relationships between the sentences from the semantic side or between the title and the text, and so on.

However, if we go back to the literary texts taught at the secondary level, we note that the Professor does not give these two subjects great importance, and we believe that this is due to the lack of separation between the cohesion and coherence and the elements of each one of them, which makes it remiss in analyzing the text according to them, which has made us We write in this topic, and explain their role in the analysis of literary texts, helping from us for every professor of Arabic language and to analyzing literary texts.

What is meant by cohesion and coherence? What are the elements of both? And what is their role in the analysis of literary texts? Can the pupil absorb such concepts? Which is still confused by some linguists and researchers to this day.

The research on the subject of cohesion and coherence in preparation for the doctoral thesis, and teaching in the secondary previously, made us think of writing this article, which connects the linguistic analysis and analysis of literary texts, to reach the conclusion that " cohesion and coherence have a role in the analysis of literary texts and the understanding of the text by the student, Which may become qualified to analyze the text by his self.

على الرغم من تداخل المصطلحات اللسانيات وتنوع اتجاهاتها إلا أن هدفها واحد وهو دراسة اللغة، فأما "علم اللغة الحديث" أو "اللسانيات العامة" فتهتم بدراسة اللغة بالاعتماد على البنية ودراسة مستوياتها: "الصوتية، المعجمية التركيبية والدلالية" وتعد الجملة أكبر وحدة في التحليل اللساني، تجمع بين الصوتيات وعلم الدلالة وعلم صناعة المعاجم، أما إذا عدنا إلى "لسانيات النّص" أو "علم النّص" فإنه يهتم بدراسة اللغة بالاعتماد على النّص وما يجعل من النّص نصا أي اتساقه وانسجامه ومقامه ومقصده، وغير ذلك من الخصائص النّصية، أما "تحليل الخطاب" فهو الآخر يهتم بدراسة وتحليل ما هو لغوي لكن يزيد على ذلك تحليل ما هو غير لغوي، بدراسة السياق، أي بالنظر إلى الخطاب في الاستعمال وتحليل ظروف إنتاجه المرتبكة بـ "المتخاطبين والزمان والمكان والقصد...وغير ذلك"، وهذا ما تهتم به التداولية التي تعرف على أنها "دراسة اللغة في الاستعمال" لذا كان لزاما التفرقة بين ما هو مكتوب "النّص"، وبين ما هو منطوق "الخطاب" الذي يعد نصا شفويا له مخاطب ومخاطب وما يدور بينهما من خطاب كما تجمع بينهما لغة معينة وزمان ومكان وسياق. وعليه فإن "النظريات اللغوية المعاصرة" تجمع كل ما سبق ذكره من لسانيات الجملة مرورا بلسانيات النّص وصولا إلى التداولية وتحليل الخطاب والنظريات التعليمية والتعلمية التي تهتم بطرائق التدريس الحديثة بالاعتماد على ما وصلت إليه اللسانيات اليوم.

يعتمد تعليم اللغة العربية اليوم على المقاربة النّصية، التي تقوم على دراسة النّص ثم تدريس القواعد أو البلاغة بالعودة إليه، لذا كان لزاما على أستاذ اللغة العربية أن يدرك مفاهيم اللسانية النّصية الحديثة من أهمها: "الاتساق والانسجام" اللذان يساهمان في تحليل النّصوص الأدبية مساهمة فعالة تجعل المتعلم يستوعب النّصوص بشكل ميسر وبسيط، كما تجعلنا نكتشف إبداع الكاتب أو الشاعر

الأسلوبي والفني. سنقف في هذا المقال على حدود التّحليل في لسانيات النّص فماذا نقصد بلسانيات النّص؟ وما هو الموضوع الذي تهتم بدراسته؟

1: حدود التحليل في لسانيات النّص: تُعرّف لسانيّات النّص على أنها: " هذا العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغويّة و عناصر غير لغويّة لتفسير الخطاب أو النّص تفسيرا إبداعيا"، وقد قارن بعض اللغويّين بين لسانيّات الجملة ولسانيّات النّص في تعريف جامع، وفيه أن لسانيّات النّص: "تدعو إلى تجاوز الاعتداد بالجملة على أنّها الوحدة الأساسية في علم اللّغة وتوسيع مجال القواعد، حيث إنّ الجمل في ذاتها بحاجة إلى عناصر خارجها للإيضاح والإبلاغ وتصبح حينها النّصوص: هي الوحدات الأساسيّة للتّحليل، بوصفها الموضوع الحقيقي و الكامل للاتّصال اللّغوي وليس الكلام إلا نصوصا (أو لغة ذات قيمة نصيّة) تبتدئ أثناء الاتّصال".[1]

إنّ الدعوة إلى العناية بالبعد النّصي في الدّراسات اللّغوية الحديثة ليست وليدة الأمس القريب، فـ"فردينان دي سوسير" نفسه أشار في كلام له عن الخطاب: "إلى أنّ الإنسان لا يعبّر بكلمات منفصلة، وأنّه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ودلالة على أفكار معيّنة ما لم توضع في علاقات مع بعضها". وهذه العلاقات لا تكون بين الكلمات بقدر ما تكون بين الجمل، مادام الإنسان يتكلّم بالجمل أكثر من تكلّمه بالكلمات، و هذه العلاقات هي محور الدّراسة والتّحليل في لسانيّات النّص، وليس "دي سوسير" اللّغوي الوحيد الذي أدرك أهمّية المظهر النّصي أو الخطابي للّغة، بل إنّ العديد من لغويّي النّصف الأوّل من القرن العشرين أكدّوا في مناسبات مختلفة وفي إطار مواقف نظريّة متباعدة على ضرورة التّأسيس للسانيّات تدرس النّص أو الخطاب ونذكر من بين هؤلاء الدنماركي "لويس هلمسلف" (Louis Hjelmslev) الذي أقرّ: "أن تحليل النّص يجب أن يمثل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنسبة للّساني" أي أنّ اللّساني لابدّ أن

يتجاوز تحليله الجملة إلى تحليل النّصوص، وهو يلتقي مع "ميخائيل باختين" (Mikhail Bakhtine) الذي صرّح: "بأنّ اللّسانيات لم تحاول أبدا سبر أغوار المجموعات اللّغويّة الكبرى كالملفوظات (énoncés) الطويلة التي نستعملها في حياتنا العاديّة، مثل الحوارات والخطابات وغيرها...، أي أن اللّسانيات لا تهتمّ بالنّصوص والخطابات التي يؤدّيها الأفراد في حياتهم اليوميّة، كما أكدّ على ضرورة دراسة هذه الملفوظات الطويلة في قوله: "... يجب تعريف هذه الملفوظات ودراستها هي أيضا دراسة لسانيّة باعتبارها ظواهر لغويّة..."، أي يجب تعريف النّص والخطاب، ودراستهما دراسة لسانيّة على اعتبارهما تأدية لغويّة، وكان "رومان جاكبسون" (Jakopson) بدوره قد دعا مبكرا إلى رأي مشابه، حيث صرّح سنة 1960م في ملتقى عقد بجامعة أنديانا، أن السبب في محاولة جعل الإنشائيّة بعيدة عن اللّسانيات هو: "اقتصار الدّراسة اللّسانية بشكل ليس له مبرّر على الجملة، وذلك بالإيعاز من بعض اللّغويّين الذين يريدون أن تبقى الجملة أعلى بنية يمكن تحليلها" فـ "جاكبسون" يرى أن سبب عزل التّعبير عن اللّسانيات هو اقتصارها على الجملة، لأنّ التّعبير لا يكون بجملة واحدة بل بمجموعة نصوص، إضافة إلى وجود سبب آخر وهو رغبة بعض اللّغويّين الإبقاء على الجملة كأكبر بنية للتّحليل اللّساني.

لم تجد هذه الدعوات طريقها إلى التّطبيق إلا مع "زليغ هاريس" (Harris) وذلك منذ نشره في بداية النّصف الثّاني من القرن العشرين لدراستين هامتين بعنوان: "تحليل الخطاب" (Analyse du discours) قام فيهما بتحليل منهجي لبعض النّصوص. [2]

كما عرفت اللّسانيات النّصية بعد ذلك وفي السبعينيات من القرن العشرين بالتحديد مزيدا من التّطور والضّبط المنهجي، وخاصّة على يد "تون.أ.فان دايك" (T.A.Van dijk)، ممّا جعل بعض اللّغويين يرى فيه المؤسس الحقيقي لعلم النّص

وقد ضمّن "فان دايك" أفكاره وتصوّراته لأسس ومبادئ هذا العلم كتابا تحت عنوان "بعض مظاهر نحو النّص"، مع الإشارة إلى "أنّ فان دايك" لم يفــــرّق فـــي هـــذا الكتاب بين النّص والخطاب ولم يتدارك ذلك إلاّ حوالي سنة1977م في مؤلّف آخر بعنوان "النّص والسّياق"، ويقترح فيه تأسيس نحو عام للنّص، يأخذ بعين الاعتبـــار كل الأبعاد التي لها صلة بالخطاب بما في ذلك الأبعاد البنيوية والسّياقيّة والثّقافيّـــة وهو الأمر الذي جسّده فيما بعد في كتاب هام بعنوان "علم النّص: مدخل متـــداخل الاختصاصات" في 1980م. عاصر لغويّون آخرون عديدون "فان دايك"، ألّفوا في علم الـــنّص أمثـــال: "ســـتمبل" (Stempel) "جليســـون" (Gleason)، "هـــــارفج" (Harweg)، "شميث" (Schmidt)، "دريـــسلر" (Dressler)، و"برنكـــر" (Brinker) غير أن الدّراسات النّصية لم تبلغ أوجّها إلاّ مع اللّغوي الأمريكـــي "روبـــرت دي بوجراند" (Robert De Baeugrande) في الثّمانينيّات من القرن العشرين، وممّـــا ألّف في هذا المجال كتاب "مدخل إلى لسانيّات النّص" في 1981م وجاء فيه إشـــادة بجهود "فان دايك" في هذا الميدان، وكان قد ألّف قبل ذلك كتابا على جانب كبير من الأهمية يحمل عنـــوان "النّص والخطاب والإجـــراء Discourse and process Text ، وهكذا وككل فـــرع معـــرفي جديـــد، فإنّه لابـــدّ من تضافر الجهود لكـــي يبلغ درجة معينة من الاكتمال، ويستقيم منهجه بما يجعله علما قائما بذاته.

قبل التطرق لمباحث النّص لابد أن نعرّف الموضوع الذي أصـــبح مجـــال دراســـة اللغويين ألا وهو "النّص"، الذي نجد له تحديدات عند العلماء العرب، وله حسب المعاجم التي بحثنا فيها معاني متعدّدة، منها ما أورده المعجم الوسيط: "نّص على الشّيء نصـــا: عيّنه وحدّده والشّيء رفعه وأظهره، والحديث رفعه وأسنده إلى من أحدثه".

أما في اللّسان: "النّص، من نصص: رفعك الشّيء، ونصّ الحديث ينصّه نصا: رفعه، وكلّ ما أظهر، وأصل النّص: أقصى الشّيء وغايته، قال ابن الأعرابـــي: "النّص: التوقيف والنّص: التعيين على شيء ما"، وقال الأزهري: "النّص أصـــله

منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها".[3] وبهذا يكون الظّهور والرّفع والانكشاف هما الدلالّة المطابقة للفظ "النّص"، وهذا يتضمّن فهم أن الظّاهر المنكشف ثابت لا يمكن تغييره ولا يجوز أن يرى بخلاف صورته أو هيئته، كأن تعرض عليه الزّيادة أو النّقص أو الإضافة، أو التّعديل.

أما في كتب اللّسانيات الغربية فقد احتل تعريف "النّص" مساحة كبيرة عند المهتمّين بلسانيّات النّص، إلا أنّنا سنحاول ذكر أهمّ التّعريفات التي وجّهت للنّص منها:

ما يذهب إليه "برنكر" و"إيزنبرج" (Isenberg) و"شتاينتز" (Steinitz) إلى أنّ "النّص": "تتابع مترابط من الجمل"، ويوافقهم في الرّأي الدّكتور "سعد مصلوح" إلاّ أن هذا التّعريف قد قوبل بالنّقد من طرف العديد من العلماء منهم: "برند شبلنر" (Brend Spillner) الذي قال: "أنّ هذا التّعريف دائري، يوضّح النّص بالجملة والجملة من خلال النّص، كما أنّه غير منهجي علميا"، إضافة إلى تعليق "روبرت دي بوجراند" الذي يذكر فيه الخصائص التي يجب أن تتوّفر في النّص والتي غابت في التّعريف منها: عدم ارتباط النّص بالسّياق، وعدم وجود تماسك وانسجام ويوافقه في الرّأي "جون ليونز" (John lyons). أي أنّ هذا التّعريف ناقص من حيث أنه جعل النّص: عبارة عن "عدد من الجمل"، ولم يتطّرق للعلاقات بين الجمل التي تشكّل اتّساق وانسجام النّص، كما لم يتطّرق لعلاقة النّص بالسّياق وهو ما لم يغفل عنه "فاينرش" في تعريفه التالي للنّص بقوله: "النّص وحدة كليّة مترابطة الأجزاء فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كلّ جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التّالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل".

تتميز أجزاء النّص بالتّرابط وفقا لنظام سديد، وهو نظام العلاقات بين الجمل بحيث تكون الجملة اللاحقة مكمّلة للجملة السابقة، والذي نلتمسه من هذه التّعاريف

أنّها تدرس النّص كبنية مغلقة، متناسية أن النّص له منتجه ومتلقّيه، الأمـــر الـــذي أوضحه "شميث" الذي يشير إلى أن حدّ "النّص" هو: "كلّ تكوين لغوي منطوق مـــن حدث اتصالي – في إطار عمليّة اتّصالية– محددّ من جهـــة المضـــمون، و يـــؤدي وظيفة اتّصالية يمكن إيضاحها..."، ويوافقه في الرّأي "هارتمان" (Hartman) الذي يعرّف النّص: "بأنّه علامة لغويّة أصليّة تبرز الجانب الاتّصالي والسّيميائي".

وهذا يعني أن النّص له جانب لغوي لابدّ أن يتحقّق فيه، وهو علاقات التّـرابط إضافة إلى جانبه غير اللغوي والمتمثّل في علاقة المنتج الـــذي يريـــد أن يتّصـــل بالمتلقي عن طريق النّص.

أما "رولان بارت" فيرى: "أنّ النّص هو السّطح الظّاهري للنّتاج الأدبي، نســـيج من الكلمات المنظومة في التّأليف والمنسقة، بحيث تفرض شكلا ثابتا، و وحيدا مـــا استطاعت إلى ذلك سبيلا "، و فـــي موضع آخر يقـــــول "بـــارت": "الـــنّص هـــو النّسيج"[4] أي أن مـــا يجعل من النّص نصا هو كونه نتاجا أدبيـــا، ونســـيجا مـــن العلاقات المترابطة فيما بينها، بحيث تفرض شكلا ثابتا للـــنّص (اتّســـاق أجزائـــه وانسجامها)، هذا الشّكل الذي يميّزه عن بقيّة النّصوص.

كما نجد من التّعريفات المهمة ما قدمته الباحثة البلغارية "جوليا كريســـتيفا" التـــي عدت النّص: "جهازا عبر لساني (لغوي)، يعيد توزيع نظام اللّسان (اللّغة) بواســـطة الرّبط بين الكلام التواصلي، يهدف إلى الإخبار المباشر..."، "فـــالنّص إذن إنتاجيّـــة "جهاز لغوي" يعبّر عنه بواسطة الكلام بين الأشخاص (المتخاطبين) وهدفه التّبليـــغ أي هو وسيلة لغويّة للتّبليغ، فالنّص بهذا المنظور إنتاجيّة لكـــلّ من المنتج والمتلقـــي كما أن النّص في نظرها "وحدة إيديولوجيّة"، فهو يعبّر عن المجتمع كما يعبّر عـــن التاريخ وهي بهذا تسير إلى علاقة السّياق الذي قد يندرج فيه النّص.

كل هذه التّعاريف مكمّلة لبعضها البعض، وقد تناولت "النّص" من حيـــث هـــو "مجموعة من الجمل"، وإن ربطته بالنّتاج الأدبي أو بالسّياق، فإنّ هنـــاك تعريـــف

يجعل من النّص "وحدة دلاليّة" بالرّغم من كونه مجموعة جمل، وهو ما توصّل إليه كل من "هاليداي ورقية" حسن أثناء دراستهما للاتّساق. يعرّف الباحثان "هاليداي ورقية حسن" "النّص" (Text): "بأنّه كلمة تستخدم في اللّسانيات للدلالة على أيّ مقطع، مكتوبا كان أم منطوقا، ومهما كان طوله على أن يمثّل كلاّ موحدا، فالنّص وحدة لغويّة في الاستعمال، وليس وحدة نحويّة كالعبارة أو الجملة، ولا يحدّد بمدى حجمه، وهو يرتبط بالجملة بطريقة تماثل ارتباط الجملة بالعبارة ...وهكذا، ويستحسن النّظر إلى النّص على أنّه وحدة دلاليّة، وحدة من حيث المعنى لا من حيث الشّكل، فالنّص يتّصل بالجملة لا من حيث الحجم بل من حيث التّحقيق (Réalisation)، أي أنّ النّص لا يتكوّن من جمل بل يتحقّق بواسطتها، ومنه فإن الاندماج البنيوي بين أجزاء النّص مختلف عن الذي بين أجزاء الجملة أو العبارة، فوحدة النّص هي وحدة من نوع خاص". فالنّص في نظرهما وإن كان مقطعا من الجمل، فالمهم فيه هو أن يشكّل وحدة دلاليّة (معنويّة)، كلّ كلمة وكلّ جملة وكلّ مقطع يكمّل بعضه البعض الآخر وهذا ما يجعل النّص منسجما.

2-وظيفة لسانيات النّص: هناك من يرى أن لهذا العلم وظيفتين أساسيّتين هما:

1-الوصف النّصي: أي وصف شكل وموضوع وأدوات النّص.

2-التّحليل النّصي: أي إبراز دور هذه الأدوات والرّوابط في تحقيق اتّساق النّص.[5]

أما العالم اللّغوي "فان دايك" فقد توسع في دراسته للسانيّات النّص اعتمادا على عدم كفاية لسانيّات الجملة لوصف ظواهر تتجاوزها إلى النّص، الأمر الذي جعله يقسم التّحليل النّصي إلى ثلاثة مستويات:

أ_ قواعد التّحليل اللّغوي التّواضعيّة: ونقصد بها تحليل بنية النّص الشّكلية صوتيّا وتركيبيّا ومورفولوجيّا عند مستعملي اللّغة لاستخلاص القواعد التّواضعيّة للغة مجتمع معيّن، فهذا المستوى يخصّ مستويات تحليل لغة معيّنة من خلال (المستوى الصّوتي، المستوى الصّرفي، والمستوى التّركيبي) اعتمادا على النّص.

ب_ المستوى الدّلالي: يرى "فان دايك" أن اللّسانيات: "إن لم تهتم بالمعنى فستظلّ ناقصة"، وفي هذا إشارة إلى لسانيّات الجملة التي أبعدت المعنى عن تحليلها ولهذا فلابدّ من الرّبط بين بنية النّص ومعناه الدّلالي.

ج_ المستوى التّداولي: ويقصد به دراسة النّص من خلال السّياق الذي وجد فيه، باعتباره فعلا منجزا، لا مجرّد بنية شكليّة ذات معنى، لهذا لا بد من دراسة النّص مرتبطا بالظّروف التي أنتج فيها في علاقته بصاحب النّص الذي أنتجه، أي دراسة علاقة اللّغة بمستعملها، وهو ما تهتمّ بدراسته التّداوليّة، لكن يا ترى ما علاقة النّص بالسّياق والمقام؟

إنّ المتمعّن في وظائف لسانيّات النّص ينتبه إلى أن علاقة النّص بالسّياق تحدد المعايير التي يتميّز بها النّص، وهي سبعة معايير، قدمها كل من "دي بوجراند" و"فولفجانج دريسلر" عند تعريفهما للنّص على أنّه: "حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنّصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا اختلف واحد من هذه المعايير وهي: الاتّساق، الانسجام، القصد، القبول الإعلام، السّياق التّناص"، وقد ذكر "دي بوجراند" هذه المعايير في كتابه "النّص والخطاب والإجراء" قائلا: "وأنا أقترح المعايير التّالية لجعل النّصية (Textuality) أساسا مشروعا لإيجاد النّصوص واستعمالها".

وفيما يلي شرح باختصار لكلّ مبحث من مباحث لسانيّات النّص:

أ_ الاتّساق: يهتمّ هذا المعيار بظاهر النّص، ويحتوي على الأحداث اللّغويّة التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزّمني، وهذه المكوّنات والأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النّحوية، ولكنّها لا تشكّل نصا إلاّ إذا تحقّق لها من وسائل الاتّساق ما يجعل النّص محتفظا بكينونته واستمراريّته، وهذا الرّبط والانتظام بين أحداث النّص تشكّله العلاقات الاتّساقية، وهي نوعان: علاقات اتّساقية من داخل الجملة إلى داخل الجملة ويمثّلها كل من الإحالة، الاستبدال والحذف، وعلاقات اتّساقية في الحدود بين الجمل.

ب_ الانسجام: ويتّصل هذا المعيار برصد وسائل الاستمرار الدّلالي في عالم النّص أو العمل على إيجاد "التّرابط المفهومي"، أي أن هذه الصفة متّصلة بالمعنى. [6]

إذن فالاتّساق والانسجام صفتان مميّزتان للنّص، فالاتّساق يهتمّ ببنية ومعنى النّص، في حين يهتمّ الانسجام بالمعنى وإيجاد العلاقات بين مفاهيم (مواضيع) النّص.

ج_ القصد: ويعني التّعبير عن هدف النّص، ويتضمّن موقف منتج النّص، أي أنّ النّص وسيلة للوصول إلى هدف معيّن، ومنه لابدّ أن يتضمّن هدفا وقصدا يحاول إيصاله للمتلقّي.

د_ القبول: ويقصد به مدى استجابة القارئ للنّص، وقبوله بمدى انسجام النّص بالسّياق.

هذا يعني أنه على المتلقّي أن يكون له دراية ببعض المعلومات التي يكتشف من خلالها انسجام النّص أو عكس ذلك.

ه_ الإعلام: وتتعلق بإمكانيّة توقّع المعلومات الواردة في النّص أو عدم توقعها لهذا لابدّ أن يحمل النّص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقّي عن طريق هذا النّص.

وهذا المعيار متعلق بالقصد وبالمعلومات التي يجب أن تكون معروفة لدى المتلقّي وإلاّ صار النّص مبهما.

و_ السّياق: ويتعلق هذا العنصر بالسّياق الداخلي والخارجي للنّص، ويعني أن يكون النّص موجها للتلاؤم مع حالة أو مقام معيّن بغرض كشفه أو تغييره، حيث يفترض وجود مرسل ومرسل إليه وظروف إنتاج النّص.

ي_ التّناص: وهو من أهمّ العناصر المحقّقة للنّص، فالنّص يكتب في إطار خبرة سابقة، تشكلّ خبرة لتكوين النّصوص اللاحقة والكشف عنها.

أما بالنّسبة للسّياق فلابدّ أن يتلاءم مع القصد من النّص حتى يتقبّله المتلقّي وعن التّناص، فالنّص الواحد قد يتضمّن عدّة نصوص أخرى، ودور التّناص الكشف عن العلاقات بين هذه النّصوص "كعلاقة السّؤال بالجواب، أو علاقة التّوضيح بالغامض".

من خلال هذه المعايير يمكن ملاحظة العلاقة الواضحة بين لسانيّات النّص وبعض العلوم الأخرى كالأسلوبيّة (التّناص)، والبلاغة (السّياق والمقام، والإعلام) وبعضها يتعلق بمنتج النّص أو متلقيه (القصد والقبول) وهو ما تدرسه التّداوليّة ويوضّح ذلك "شبلنر" في قوله: "على حين كانت تعدّ البلاغة والدراسات الأسلوبية في الماضي فروعا علميّة قديمة تشترك مع اللّغة والدّراسات الأدبيّة في مجال هام، فقد أصبحت في السنوات الأخيرة فرعا جديدا في نشأته، وهو ما يرمز له بنحو النّص" هذا يعني أنّ النّص له معايير تميّزه عن اللاّنص، وبعض هذه المعايير مستسقاة من علوم أخرى حتى من علم النّفس وعلم الاجتماع فيما يخصّ السّياق الذي ورد فيه النّص.[7]

كانت هذه لمحة عن لسانيات النّص من حيث المفهوم، والوظائف، والمستويات والمعايير، والآن نسلط الضوء على الاتساق والانسجام ودورهما في تحليل النّصوص الأدبية.

ثانيا: دور الاتساق والانسجام في تركيب فقرات النّص:

عنوان النّص الأدبي "تقوى الله والإحسان للآخرين" للشاعر "عبدة بن الطبيب: سنقدم في هذا الجزء من المقال دراسة الاتساق والانسجام في النّص الأدبي المبرمج للسنة الأولى جذع مشترك آداب، بعنوان: "تقوى الله والإحسان للآخرين" للشاعر عبدة بن الطبيب، من خلال استخراج عناصر كل منهما، وقبل ذلك لابد أن نتطرق للجانب النظري لكل من الاتساق والانسجام.

فمن الناحية اللغوية لمصطلح اتساق، ما جاء في "لسان العرب": "الاتّساق: من الوسق، و"يقال الوسق، أي ضمّ الشّيء إلى الشّيء، ومنه فالاتّساق هو: الانتظام" وما ورد في "متن اللّغة": "اتّسق ويتّسق ويأتسق الشّيء: انضمّ وانتظم...".

والملاحظ من التعريفات اللّغويّة لكلمة "الاتّساق": أنّها تشتمل على معاني الاجتماع، والضّم، والانتظام، وهذا إذا ما طبق على النّص لأصبح: مجوعة جمل مجتمعة ومنتظمة اللاّحقة تتبع السابقة، وهذا الضّم والاجتماع لا يتمّ إلاّ بأدوات تعرف بأدوات الاتّساق، ولم تبتعد المعاجم الغربية عن ذلك، فقد جاء في معجم (Oxford) أن الاتّساق هو: "إلصاق الشّيء بشّيء آخر، بالشّكل الذي يشكلاّن وحدة...".

كذلك فالإلصاق بين جمل النّص لا يتمّ إلاّ بأدوات تساعد في ربط جمله إن ربطا نحويّا أو ربطا دلاليّا وهكذا، أما اصطلاحا فالاتّساق مترجم عن الكلمة الإنجليزية (Cohesion)، وقد وضع بعضهم مفهوما للاتّساق، وهو: "ترابط الجمل في النّص مع بعضها البعض بوسائل لغويّة معيّنة". فخاصيّة الاتّساق هي التّرابط الذي يتحقّق بين الجمل، هذا الأخير لا يتأتّى إلا بوسائل لغويّة.

كما اهتم الباحثان "هاليداي ورقية حسن" بدراسة "الاتّساق"، أي الكيفيّة التي يتماسك بها النّص، إضافة إلى الاهتمام بالخصائص التي تجعل من عيّنة لغويّة نصا، و هذان الأمران متكاملان، بحيث يعتبر الاتّساق شرطا ضروريّا وكافيا

للتّعرف على ما هو نص، وما ليس نصا، فالنّص في نظرهما: "هو كلّ متتالية من الجمل شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات"، بالمقابل ليس كلّ نص يتكوّن من مجموعة جمل هو نص، فالنّص إذن: "وحدة دلالية" (كما سبق وأن أشرنا في تعريف النّص)، وما الجمل إلاّ الوسيلة التي يتحقّق بها، إضافة إلى أنّ النّص الذي يتوفّر على خاصّية كونه نصا يمكن أن يطلق عليها "النّصية"، هذه الأخيرة لا تتحقّق إلاّ بالاعتماد على مجوعة من الوسائل يمثّلها الاتّساق.[8] من هنا عرّف الباحثان "الاتّساق" على أنّه: "مفهوم دلالي... ويقصد به العلاقات المعنويّة الموجودة داخل النّص والتي تعرّفه كنص".

فالنّص في نظر الباحثين مجموعة جمل ما إن توفّر عنصر الاتّساق بينها، كما أنّ النّص وحدة دلاليّة ممّا يجعل من الاتّساق مفهوما دلاليّا، لكن هل العلاقات التي تتحقّق بين الجمل هي علاقات دلاليّة فقط؟ خاصة إذا كان النّص مجموعة من الجمل توفّر فيها عنصر الاتّساق.

الجواب يتّضح من خلال قول الباحثين من أنّ "الاتّساق": "يبرز في تلك المواضع التي يتعلّق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل عنصر آخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحلّ الثّاني إلاّ بالرجوع إلى الأوّل، وعندما يحدث هذا تتأسّس علاقة الاتّساق..." إذن لا يتم الاتّساق على المستوى الدّلالي فحسب، وإنّما يتشكل في مستويات أخرى كالنّحو والمعجم. فما هي هذه العلاقات في نظر "هاليداي ورقية حسن"؟

يعتبر الاتّساق مفهوما دلاليّا لهذا فإنّ النّص تحكمه وسائل دلاليّة، تتحقّق من داخل الجمل إلى داخل الجمل في النّص، وهذه الوسائل هي:

أ_ **الإحالة:** الإحالة مجموعة من العناصر التي تحتاج عند تأويلها إلى مرجع كالضّمائر وأسماء الإشارة...الخ، وتقسم الإحالة حسب نظر "هاليداي ورقية حسن" إلى:

*إحالية مقاميّة: وهي خارجية تحيل إلى خارج النّص، يقول الباحثان: "تسهم في خلق النّص لكونها تربط اللّغة بسياق المقام، إلاّ أنّها لا تسهم ... في اتّساقه بشكل مباشر".

*إحالية نصيّة: وهي داخليّة تحيل إلى داخل النّص، وتنقسم هذه الإحالة إلى إحالة قبليّة وإحالة بعديّة، والإحالة النّصيّة تقوم بدور فعّال في اتّساق النّص، ولذا يتّخذها الباحثان معيارا للإحالة.

ب_ الاستبدال: الاستبدال عملية تتمّ داخل النّص، إنّه تعويض عنصر بعنصر آخر"، وهو يختلف عن الإحالة في كونه علاقة تتمّ في المستوى المعجمي _ النّحوي بين كلمات أو عبارات، والاستبدال ينقسم إلى:

*استبدال اسمي: وهو استبدال اسم باسم آخر.

*استبدال فعلي: وهو استبدال فعل بفعل آخر.

*استبدال قولي: وهو استبدال قول بقول آخر.

ج_ الحذف: الحذف هو افتراض عنصر غير موجود في النّص لدلالة عنصر سابق عليه، ويقسم تقسيم الاستبدال إلى:

*حذف اسمي: كاستخدام الإشارة وحذف المشار إليه، مثال: أيّ رجل أخوك؟ هذا الرّجل (أخي) محذوف*حذف فعلي: نحو هل كنت تدرس؟ كنت (أدرس) محذوف.

*حذف قولي: نحو كم درست؟ درست (ساعة) محذوف.

أما العلاقات الأخرى فتتحقّق بين الجمل في الحدود وتمثّلها علاقة الرّبط (الفصل والوصل).

د_ الرّبط (الفصل والوصل): الوصل هو ربط عنصر سابق بآخر لاحق بواسطة عنصر دال: كالعطف والاستدراك والإضراب والتّعليل والشّرط والظّرف ... الخ. [9]

_ إذن كل من الإحالة، الاستبدال، الحذف والرّبط هي وسائل تحقّق الاتّساق بين جمل النّص، وإذا كانت الوسائل الثّلاث الأولى تحدث من داخل الجمل إلى داخل الجمل، وهذا يعني أنّها تدخل في معنى النّص، بالرّغم من أنّ الحذف والاستبدال يحدثان على مستوى البنية والمعجم كذلك، فإنّ الوصل يحدث بين الجمل في الحدود.

ه_ الاتّساق المعجمي: يعد الاتّساق المعجمي مظهرا من مظاهر اتّساق النّص إلاّ أنّه يختلف عنها جميعا، وهو ينقسم إلى:

***الاتّساق المعجمي التّكراري:** وهو إعادة عنصر معجمي أو مرادفه أو شبيهه أو عنصر عام يشمله في النّص، من أمثلة ذلك:

– شرعت في الصّعود إلى القمة، كان (الصّعود) سهلا
– شرعت في الصّعود إلى القمة، كان (التّسلق) سهلا
– شرعت في الصّعود إلى القمة، كان (المشي) سهلا
– شرعت في الصّعود إلى القمة، كان (هذا) سهلا

فالاتّساق المعجمي المفهوم من هذه الأمثلة هو تعويض عنصر من عناصر النّص بعنصر آخر، فكلمة (الصّعود) يرادفها (الصّعود)، ويشبهها (التّسلق)، وتشمل (المشي) وهكذا.

***الاتّساق المعجمي التّضامي:** وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرا لارتباطهما بحكم علاقة ما كالتّضاد أو التّضام. وهذا النوع من الاتّساق يتعلّق بالكلمات التي ترد في النّص كوجود علاقة التّضاد بين الصّعود والنّزول مثلا، أو وجود علاقة التّضام بين الصّعود والمشي مثلا، فالصّعود يضمّ المشي في معناه، أي أنّ النّص الذي يحتوي على مثل هذه الأنواع من الجمل والكلمات هو: نَصٌ متّسق معجميّا.[10]

أما الانسجام فيرتبط عند الباحثين بالجمل وبالتأويل تارة وبالقارئ والسياق تارة أخرى، ويظهر ذلك من خلال هذه التعريفات:

_ تعريف "فان دايك": "يكون النّص موضوعا لانسجام خطي حين تحيل جمل هذا النّص إلى أحداث ترتبط فيما بينها (بعلاقات شرطية بشكل رئيس، وتترافق هذه العلاقات بين الأحداث غالبا بعلاقات بين الأشياء، والخاصيات، والأشخاص أو الأفعال المرتبطة بهذه الأحداث"، وبهذا الاعتبار فإن الانسجام يتعلق بمتوالية من الجمل، وحسب العلاقات التي تجمع بينها يكون الانسجام، لهذا أعاد "فان دايك" النظر في هذا التعريف بقوله: "نقول عن نص ما أنه منسجم عندما نؤوله باعتباره التعبير عن جريان ممكن للأحداث".

_ أما براون ويول فيريان: "أن ما يجعل نصا من النّصوص منسجما لا صحة بنائه النحوي فقط، بل هناك عناصر تبني انسجامه تفوق حدوده النحوية والصرفية وبالتالي يركز "براون ويول" على طريقة فهم/ تأويل الرسالة، التي ربطاها بسياق ورودها، وظروف إنتاجها، مع الاهتمام بالقارئ أو المستمع الذي يحدد فهمه للرسالة مدى انسجامها"، أي أن انسجام النّص مرتبط بالقارئ والسياق. [11]

4_ عناصر الانسجام:

أ_ الترابط الموضوعاتي: يرى "فان دايك": "أن مجموعة من الجمل لا تدور حول موضوع ما يصعب إيجاد روابطها بينها، وبالتالي لا يمكن أن تكوّن نصا".

ب_ التدرج في عرض أو شرح أو تحليل النّص: "ويتعلق بسيرورة النّص وتقدمه في عرض المعلومات اللذين يخضعان إلى ظاهرتين هما التكرار والتدرج" حسب "دومنيك منقينو".

ج_ الاختتام: فلا بد أن يكون في النّص مقدمة، عرض وخاتمة، يرى صلاح فضل: "أنه هنا تبرز أهمية المنظور اللغوي الذي يمنحنا بعض المؤشرات الضرورية لتكوين فكرة واضحة عن النّص عموما قبل أن نتطرق إلى مشكلات

النّص الفني والأدبي بتعقيدهما النوعية وحينئذ نرى أن الخاصية الأولى لتحديد النّص هي الاكتمال وليس الطول...".

د_ الهوية والانتماء: أي أن يكون للنص نوع، يرى "هاليداي ورقية حسن": "أن الكفاية النّصية العامة التي تتوفر لدى متكلمين بلغة معينة، تقترن دائما بـ "كفاية نوعية" تتمثل في قدرة قارئ ما على التمييز بين أنواع النّصوص، بقطع النظر عن مضامينها...". [12]

الدراسة التحليلية:

النّص: "تقوى الله والإحسان للآخرين" للشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب:

1_ أَبُنَيَّ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَابَنِي*** بَصَرِي، وَفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعُ

2_ فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِيًا*** تَبْقَى لَكُمْ مِنْهَا مَآثِرُ أَرْبَعُ

3_ ذِكْرٌ إِذَا ذُكِرَ الكِرَامُ يَزِينُكُمْ *** وَوِرَاثَةُ الحَسَبِ المُقَدَّمِ تَنْفَعُ

4_ وَمَقَامُ أَيَّامٍ لَهُنَّ فَضِيلَةٌ *** عِنْدَ الحَفِيظَةِ وَالمَجَامِعُ تَجْمَعُ

5_ وَلُهًى مِنَ الكَسْبِ الَّذِي يُغْنِيكُمْ*** يَوْمًا إِذَا احْتَضَرَ النُّفُوسُ المَطْمَعُ

6_ وَنَصِيحَةٌ فِي الصَّدْرِ صَادِرَةٌ لَكُمْ*** مَا دُمْتُ أُبْصِرُ فِي الرِّجَالِ وَأَسْمَعُ

7_ أُوصِيكُمْ بِتُقَى الإِلَهِ فَإِنَّهُ *** يُعْطِي الرَّغَائِبَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

8_ وَبِبِرِّ وَالِدِكُمْ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ***إِنَّ الأَبَرَّ مِنَ البَنِينَ الأَطْوَعُ

9_ إِنَّ الكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ***ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ

10_ وَدَعُوا الضَّغِينَةَ لاَ تَكُنْ مِنْ شَأْنِكُمْ***إِنَّ الضَّغَائِنَ لِلْقَرَابَةِ تُوضَعُ

11_ وَاعْصُوا الَّذِي يُزْجِي النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ***مُتَنَصِّحًا، ذَاكَ السِّمَامُ المُنْقَعُ

12_ وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قَصْرِي حُفْرَةٌ ***غَبْرَاءَ يَحْمِلُنِي إِلَيْهَا شَرْجَعُ

يبدأ التحليل بوضعية الانطلاق التي يتحاور فيها الأستاذ مع تلاميذه حول المعطيات السابقة لهم ليربطها بالدرس، كما يتم تعريف صاحب النّص من طرف التلميذ، بعدها تتم قراءة النّص، ومحاولة تحليله وأول عنصر فيه هو: "اكتشاف

معطيات النّص"، وفيه يستخرج الأستاذ مع تلاميذه أفكار النّص محاولين فهم معانيها بعدها يناقشون هذه الأفكار في عنصر: "مناقشة معطيات النّص".

_ من الأفكار والمضمون ينتقل الأستاذ إلى عنصر آخر وهو مسألة شكل وبناء النّص ويتم تحليل ذلك في عنصر: "تحديد بناء النّص"، وأهم نقطة يتم التركيز عليها في هذا العنصر هي النمط الذي بني عليه النّص، بعد ذلك ينتقل الأستاذ بالتلاميذ إلى عنصر مهم جدا بعنوان: "أتفحص الاتساق والانسجام في تركيب فقرات النّص" هـذا العنصر الذي نحن بصدد تطبيقه في هذه القصيدة ليختم التحليل بعنصر: "أجمل القول في تقدير النّص"، الذي يكون على شكل ملخص ينتجه التلميذ مما سبق ذكره في التحليل.

أ_ الاتساق النحوي: وتنقسم علاقاته إلى نوعين هما:

1_ علاقات داخلية: وتهتم بالعلاقات بين الجمل من الداخل، ويمكن استخراجها كما يلي:

أ_ الإحالة: وتنقسم إلى:

_إحالية مقاميّة: مثال ذلك الضمير المتصل "التاء" الذي يحيل إلى الشاعر في قوله: كبرتُ، هلكتُ" الوارد في البيتين الثاني والثالث.

_ إحالية نصيّة: فمثال الإحالة البعدية بالضمير "الهاء" الذي يعود على الله تعالى في قول الشاعر: "الإله فإنه" الوارد في البيت السابع.

ب_ الاستبدال: وينقسم إلى:

*استبدال اسمي، مثال: استبدال كلمة المقصودة "القبر" بكلمة "القصر" الموجود في البيت الأخير.

*استبدال فعلي، مثال: استبدال الفعل المقصود "مت" بالفعل "هلكت" الموجود في البيت الثاني.

*استبدال قولي، مثال: استبدال القول المقصود "ما ترثينه عني" بالقول "مآثر أربع" الموجود في البيت الثاني.

ج_ الحذف: وينقسم إلى:

***حذف اسمي:** مثال ذلك موجود في البيت الحادي عشرة في قول الشاعر "واعصوا الذي يزجي النمائم بينكم" والتقدير: "واعصوا النمام الذي ...".

***حذف فعلي،** مثال ذلك موجود في البيت السابع في قول الشاعر: "يعطي الرغائب من يشاء ويمنع"، والتقدير "... ويمنع من يشاء".

أما العلاقات الأخرى فهي تتحقّق بين الجمل في الحدود وتمثّلها علاقة الربط (الفصل والوصل).

2_ علاقات خارجية: وتتمثل في:

أ_ الربّط (الفصل والوصل): ويظهر ذلك من خلال أدوات الربط، منها:

1_ حروف العطف:

_ **الواو:** التي وردت عاطفة وهي تربط بين جملة وجملة، مثال ذلك قول الشاعر: "قد كبرت ورابني"، أو بين شطر وشطر، مثال ذلك البيت الثالث، وبين بيت وبيت، مثال ذلك موجود من البيت التاسع إلى البيت الأخير.

_ **الفاء:** التي وردت عاطفة بين البيت الأول والبيت الثاني.

2_ التعليل: ومثال ذلك قول الشاعر في البيت السابع: "أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطي ..."

3_ الفصل: والذي يمثله الاستئناف الموجود بين شطري البيت الثامن بالأداة "إنّ" في قول الشاعر: "...إنّ الأبر من البنين الأطوع"، والفاصلة في قوله في البيت الحادي عشرة: "متنصحا، ذاك السمام المنقع".

– إذن كل من الإحالة، الاستبدال، الحذف والربّط هي وسائل تحقّق الاتّساق بين جمل النّص، وإذا كانت الوسائل الثّلاثة الأولى تحدث من داخل الجمل إلى داخل

الجمل، وهذا يعني أنّها تدخل في معنى النّص، بالرّغم من أنّ الحذف والاستبدال يحدثان على مستوى البنية والمعجم كذلك، فإنّ الوصل يحدث بين الجمل في الحدود وهذا يعني أنّه يدخل في بنية النّص، وكل هذه العلاقات في مجملها تمثل الاتساق النحوي.

ب_ الاتّساق المعجمي: وهو ينقسم إلى:

***الاتّساق المعجمي التّكراري:** من أمثلة ذلك:

_ مثال التشابه قول الشاعر في البيت الثامن: "...الأبر...الأطوع".

_ مثال المرادف قول الشاعر في البيت العاشر: "...الضغينة... الضغائن...".

_ وقد ذكر الشاعر كلمة "نصيحة" الواردة في البيت السادس، وكلمة "أوصيكم" الواردة في البيت السابع، والنّصيحة تشتمل على وصايا.

فالاتّساق المعجمي المفهوم من هذه الأمثلة هو تعويض عنصر من عناصر النّص بعنصر آخر، فكلمة (الضغينة) يرادفها (الضغائن)، وكلمة (الأبر) تشبه كلمة (الأطوع)، وكلمة (النّصيحة) تشتمل (الوصايا).

***الاتّساق المعجمي التّضامي:** وينقسم إلى:

_ مثال التضاد موجود في قول الشاعر: "يعطي/ يمنع" الموجودة في البيت السابع.

_ومثال التضام موجود في قول الشاعر: "ببر...طاعة" فالبر يضم الطاعة في البيت الثامن. وهذا النوع من الاتّساق يتعلّق بالكلمات التي ترد في النّص كوجود علاقة التّضاد بين العطاء والمنع، أو وجود علاقة التّضام بين البر والطاعة، فالبر يضم الطاعة أي أنّ النّص الذي يحتوي على مثل هذه الأنواع من الجمل والكلمات هو: نّص متّسق معجميّا.

2_ الانسجام: ويمكن التمثيل له بالعناصر التالية:

أ_ الترابط الموضوعي: وهو أن النّص يعالج موضوعا واحدا وهو "وصايا أب لابنه".

ب_ التدرج الموضوعاتي: أي كيف عالج الشاعر هذا الموضوع، ويمكن استخراج هذا التدرج من النّص:

_ **البداية:** بدأ الشاعر قصيدة بالتعريف بالأب الذي أصبح عجوزا، وقد ورّث لأبنائه مجموعة من الخصال.

_ **العرض:** وقد تناول فيه الشاعر المآثر الأربعة التي تركها الأب لأبنائه وهي:

_ الذكر الحسن/ الحسب/ الكسب الحلال/ الأيام التي يجب أن يمضوها في الخير.

إضافة إلى جملة من النّصائح وهي:

_ تقوى الله/ طاعة الوالدين/ الابتعاد عن الضغينة والنميمة.

_ **الخاتمة:** وقد ختم الشاعر قصيدته بإيمان الأب بالموت.

ج_ الهوية والانتماء: لقد حقق هذا النّص كفايته النوعية بحيث عالج قضية مهمة ترتبط ارتباطا وثيقا بهدف الوحدة المبرمجة للتلميذ ألا وهي: "أثر القيم الإسلامية في حياة العرب" من خلال الوصايا والنّصائح التي تخرج عن سياق الدين الحنيف.

خاتمة: إنّ المتمعن في هذا المقال، يلاحظ أننا حاولنا دراسة النّص الأدبي الموجه للسنة الأولى جذع مشترك آداب، من جانبين هما: اتساق أبياته وانسجامها باستخراج عناصر كل منهما حتى يكون أنموذجا يُحتذى به.

ولئن وجدنا جل عناصر الاتساق والانسجام فهذا يعود للنص في حد ذاته، لكن هذا لا يعني وجودها في كل النّصوص، وهذا يدل أن وجود الاتساق والانسجام يختلفان باختلاف كل نص، حسب طوله وقصره، وحسب كيفية قراءته كذلك.

وفي الأخير نتمنى أن يُقرأ هذا المقال من طرف أساتذة التعليم الثانوي خاصة وأن يستفيدوا من هذا التحليل النموذجي في تحليلهم للنصوص الأدبية لمختلف المستويات.

المصادر والمراجع :

المعاجم:

•ابن منظور، لسان العرب، المجلد 10 والمجلد 14، دار صادر، بيروت.

•أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الوسيط، دار النفائس، 2007م.

•أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1960م، ج5.

•المراجع باللغة العربية:

•إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر و التوزيع، ط1 عمان، 2007م.

•أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، مكتبة زهراء الشرق، ط1 القاهرة، 2001م.

•جمعان عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي بيروت النادي الأدبي بالرياض، ط1، 2009م.

•جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء/ المغرب /1991م، ط1997/2م.

•د.حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي، من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2015م.

•دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي ومحمد الشاوش الناشـــــر: الدار العربية للكتاب، 1985

•رولان بارت، النص، ترجمة: فؤاد صفا والحسين سحبان، ط2، دار توبقال للنشر المغرب.

•سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النص، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية إعداد وديعة طه نجم وعبد هبدوي، جامعة الكويت، 1990م.

•صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، درا قباء للطباعة والنشر، دار غريب،ط1.

•صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2004م.

•عمر محمد أبو خرمة، نحو النص "نقد النظرية....وبناء أخرى"، عالم الكتب الحديث ط1، الأردن، 2004م.

•محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م.

•محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م.

•المراجع باللغة الأجبية:

•Cohesion in english, m.a.k.halliday, ruqiaya hassan, london, longman, 1976

•المجلات:

•مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2009م، العدد:5.

الإحالات:

[1] _ إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2007م، ص: ب/ ص: 43/ أنظر: دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح القرمادي ومحمد الشاوش، الناشر: الدار العربية للكتاب، 1985م، ص: 186.

[2] _ سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النص، إعداد وديعة طه نجم وعبد هبدوي، جامعة الكويت، 1990م، ص: 407./ _ محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص: 9 _61./ _ أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، مكتبة زهراء الشرق ط1، القاهرة، 2001م، ص: 32 _33.

[3] _ محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 9 _63./ _ أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، ص: 32 _33/ _ ينظر: أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الوسيط، دار النفائس، 2007م، ص: 1247، و ابن منظور، لسان العرب، المجلد 10، والمجلد 14، دار صادر، بيروت، ص: 271.

[4] _ محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 24 _27/ _ رولان بارت، النص، ترجمة: فؤاد صفا والحسين سحبان، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، ص: 62/ _ جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء/ المغرب /1991م، ط2/1997م، ص: 21.

[5] _ جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ص: 21./ _ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة/ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2004م، ص: 269./ _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، درا قباء للطباعة والنشر، دار غريب،ط1، ص: 54./ _ أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، ص: 58.

Cohesion in english, m.a.k.halliday, ruqiaya hassan, London, longman, 1976.P: 1_2_ /

[6] _ أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، ص: 58 _ 79.

[7]_ أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، ص: 77 _87./ _ محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 60.

[8]_ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 10، ص: 379 _380./ _ أحمد رضا، معجم متن اللغة منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1960م، ج5، ص: 472./ _ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2009م، العدد:5، ص: 6./ _ جمعان عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، النادي الأدبي بالرياض، ط1 2009م، ص: 222./ _ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2 المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006م، ص: 13 _14.

[9]_ عمر محمد أبو خرمة، نحو النص "نقد النظرية.... وبناء أخرى"، عالم الكتب الحديث، ط1 الأردن، 2004م، ص: 82_83./ _ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 17 _24.

[10]_ المراجع نفسها، الصفحات نفسها.

[11]_ د.حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي، من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2015م، ص: 53 _54./ _ محمد الأخضر الصبيحي مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 82 _ 84.

[12]_ المراجع نفسها، الصفحات نفسها.

دينامية الإيقاع المسْرحيّ في الرّواية العربيّة الحديثة 103

مقاربة تحليليّة في معمارية بناء الحدث الدّراميّ في رواية " ميرامار "

لــ: نجيب محفوظ

د.عبد الرحمان بن يطو♥

ج. محمد بوضياف. المسيلة

تاريخ الإرسال: 11-01-2018 **تاريخ القبول: 21-01-2018**

المُلخص: إنّ رواية " ميرامار " (1967) للرّوائي نجيب محفوظ تُشكّل نَمطا مختلفا من الكتابة الرّوائيّة في تجربته الإبداعيّة الثّريّة لأنّها تعالج صراعا جوهريّا في عمق المجتمع من خلال أربع شخصيّات مختلفة ومُتباينة في توجّهاتها السياسيّة والاجتماعيّة والأيديولوجيّة، هي في الحقيقة أُنموذج مُصغّر لأربع طبقات يتشكّل منها المجتمع المصريّ الحديث، وإذا كان الصّراع هو محرّك الحوار بين الشّخصيات الأربع ؛ إذْ يُغطى مساحة أكثر من ثلاثة أرباع الرواية، فإنّ في المتعارف أنّ الصّراع والحوار هما من مُرتكزات الفنّ المسرحيّ، وبالتالي يمكن القول عن هذه الرواية: بأنها مسرحية في شكل رواية (و) رواية في شكل مسرحية.

Résumé : Le roman mirmar 1967 de Nadjib mahfoude constitue un type d'écriture déférant dans sa vie créative, parce qu'il traite le conflit au sein de la société à travers quatre personnages qui ont des visions politiques, sociales et idéologique déférentes.

Il est, en effet, un micro-modèle de quatre couches dans la société égyptienne moderne.

♥ norasjp17@gmail.com

Si le conflit est le moteur de dialogue entre ses quatre personnage car il couvre trois quarts du roman, et le dialogue et le conflit sont des bases du théâtre, donc, on peut dire que le roman miramar est un roman sous forme d'une pièce de théâtre ou une pièce de théâtre sous forme d'un roman.

إنّ الأطروحة النّظرية العربيّة التي تؤسّس للفعل المسرحي العربيّ كانت بدايتها مع مارون النقاش الذي عرّب مسرحية " البخيل " للكاتب الفرنسي موليير عام (1848) وانطلاقا من هذا التاريخ كان ميلاد المسرح العربي حيث بدأ بداية نخبويّة وكان في حقيقة أمره امتدادا للمسرح الغربي شكلا ومضمونا ؛ وظلّ على هذا الحال قرابة القرن من الزّمن وهو يبحث عن هُويته و انتمائه العربيّ وأصوله الشرقيّة إلى أن جاء الجيل الذي ينتسب إلى عصر الحداثة العربيّة ؛ فراح يعيد النظر في المضامين والأشكال من حيث التّعاطي مع التّراث العربيّ بوعي وبأدوات منهجيّة متطوّرة سعيا وراء أساليب تعبيريّة جديدة تستجيب للحالة الاجتماعيّة والسّياسيّة العربيّة، كلّ ذلك يأتي في سياق تجديد الوعي العربيّ من خلال آليات عصر الحداثة وما يصاحبه من تحوّلات اجتماعيّة وثقافيّة وأدبيّة في إطار الخصوصيّة الشّرقيّة مقابل القطيعة مع التّبعيّة الغربيّة التي تكرّس الهيمنة وتجافي التّطوّر والإبداع داخل الخصوصيّة الثّقافيّة. ومن هنا انبرى الأدباء والمبدعون على اقتحام المساحات الرّماديّة التي كانت إلى عهد قريب حكرا على غيرهم، وهمّهم الوحيد الإبداع والتّجديد وفي مقدّمة هؤلاء نجيب محفوظ (1911– 2006) الذي جمع في أعماله بين التّاريخ المتألّق والواقع المُبتذل في عملية إبداعيّة يتمّ من خلالها إسقاط الماضي على الحاضر بوعي مستثمرا فضاء القاهرة المعزيّة الذي يستجيب لهذه الشروط، ولهذا عاشت هذه المدينة في وجدان الكاتب في أغلب أعماله الروائيّة خاصّة تلك المحسوبة على الواقعيّة الاجتماعيّة (القاهرة الجديدة، خان الخليلي، زقاق المدق السّراب، بداية ونهاية والثّلاثيّة : بين القصرين و السّكرية وقصر الشّوق) باستثناء رواية " ميرامار " (1967) فهي الرواية الوحيدة التي كتبها خارج أسوار القاهرة وقد صرّح نجيب محفوظ عن ظروف كتابته لهذه الرواية قائلا : " رواية (ميرامار)

كانت بدايتها في الإسكندريّة في أثناء زيارتي لــبعض الأصــدقاء، وقــد أعجبــت بشخصية خادمة كانت تعمل لديهم وهي التي ظهرت في الرواية باسم (زهرة) وبعــد ذلك بعشر سنوات تبلورت لدي فكرة الرواية فجلست وكتبتها. " [1] هذا المكان بكــل ما يحمله من واقعيّة وحميميّة وحنين إلى الماضي الجميل المعطّر بــالتّراث ؛ ومــا دفعنا إلى هذه الدراسة هو محاولة تحسّس مفاصل الرواية في حركتها المجاورة مــع بقية الأجناس الأدبيّة الأخرى، ليس من باب إشكالية تجنيس النوع الأدبي (Genre) بل من وجهة نظر أخرى تتتبّع أثر البناء الدّرامي في روايــة " ميرامــار " التــي يحفّزها التّشكيل المكاني وما يصاحبه من فعّاليّة حواريّة تطغى على فعــل السّــرد (Narration) الذي تنبثق منه المواقف و الأحداث " وفي هذا النوع مــن الروايــات يحسّ القارئ بامتلاء المكان امتلاء مبالغا فيه " [2]

ونستهل حديثنا بقراءة للعنوان مع علاقته بمتنه إذن فما هو العنوان؟

العنوان... علامة فارقة في جبين النّص يأتي في أعلاه وينجذب القــارئ إليــه ويستهويه ؛ فلا نصّ بدون عنوان ولا عنوان بدون نــصّ فهــو بمثابــة " المبتــدأ " والنّص هو " الخبر " فالعلاقة بينهما عضويّة لا انفكاك لها، وهذا عبّر عنه الباحــث الفرنسي البنيوي جيرار جينيت (G.Genette) بـــ : عتبات النص (Seuils du texte) وقد جعل من العنوان موضوعا له باعتباره " نصّا موازيّا (Paratexte) " [3]، ويبقى العنوان مؤشرا يضطلع بمهمة استقطابيّة تستفزّ القــارئ وتحثّــه علــى الفضول واقتحام المجهول فهو " رسالة لغويّة تعرف بتلك الهوية وتحــدّد مضــمونها وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل علــى بــاطن الــنّص ومحتواه " [4]، ومن خلاله أيضا يحاول القارئ اكتشاف مساحات مجهولــة داخــل النّص " يستخدمه القارئ الناقد مصباحا يضيئ به المناطق المُعتّمة " [5]، إنّ المتلقــي لأول وهلة لفظ " ميرا مار " المركّب من وحدتين معجميتين هما (ميرا) + (مــار) الدخيلتين على اللغة العربية ؛ يتولّد له انطباعا إيقاعيّا خاصّا ينجذب إليه ويتوجّه بــه

مباشرة صوب المسرح أو السينما فهو عنوان مسرحي أكثر منه روائي لما يحمله من جرْس موسيقي و تطريز صوتي (Prosodique)، و" ميرامار " اسم اتّخذته هذه البناية القديمة التي يعود بناؤها لأيام الاحتلال الإنجليزي لمصر وهي مُطلّة على البحر؛ في أحد شواطئ مدينة الإسكندريّة العريقة ؛و تديره سيدة عجوز من أصول يونانية، ومعنى لفظ ميرامار مأخوذ من اللغة الإسبانيّة وهو مركّب من (ميرا) وتعني يشاهد بإعجاب و (مار) التي تعني البحر وإذا اجتمعت اللفظتان تُعطياننا معنى مشاهدة البحر بإعجاب [6]، وحاول الكاتب أن يجمع في هذا الفضاء المغلق عدة تناقضات اجتماعيّة وأيديولوجيّة هي في الحقيقة مُؤشرات دالّة تحمل في طيّاتها رؤية مفارقة (Paradoxe) [7] وليس من الصدفة أن تجتمع بعض المعطيات الجاهزة إذا فحصناها تعطينا دلالات إضافية تساعدنا على فكّ شفرة (Code) العنوان في علاقته بالمكان الذي اتّخذته الشّخصيات الروائية مسرحا لأفعالها وأقوالها والغريب أن هذه الدلالات كلّها تكرّس معنى " الأجنبي " و" الدّخيل " في هذه الرواية وهي :

ــ بنسيون ميرامار، يقع في مدينة الإسكندرية التي تأخذ اسمها من مؤسّسها الإسكندر المقدوني (القرن 4 ق. م) ولا عجب أن تكون السيّدة التي تديره اليوم هي من نفس الأصول التي ينتسب إليها هذا القائد الغازيّ، وبهذه المدينة الساحرة قدّم الكاتب روايته على لسان إحدى شخصياته " الإسكندرية أخيرا.

الإسكندرية قطر الندى، نفثة السّحابة البيضاء، مهبط الشّعاع المغسول بماء السّماء وقلب الذّكريات المبللة بالشّهد والدّموع. " [8]

ــ البناية القديمة التي يقع فيها البنسيون هي من الطراز الإنجليزي "البناية الضّخمة المبنية على الطراز الإنجليزي والمعروف بفسيفسائه الحمراء التي تمثّل طرز المباني الإنجليزيّة الكلاسيكيّة. [9]، إذن تضاف إلى هُوية المبنى دلالة أخرى هي البصمة الثّقافيّة الإنجليزيّة ذات الطابع الاستعماريّ، التي تفرض نفسها وتكرّس معنى الدّخيل والأجنبيّ في النّسيج العمرانيّ للمدينة.

ــ السيدة التي تدير البنسيون تُسمّى ماريانة وهي أجنبية من أصــول يونانيّــة، " طويلة رشيقة، الشعر الذهبي، والصّحة لا بأس بها، ولكن بأعلى الظّهر احديــداب والشّعر مصبوغ حتما، واليد المعروقة وتجاعيد زاويتي الفم تُشي بــالعجز والكبــر. في الخامسة والستين. " [10]، عاشت ماريانة حياة صعبة بعد تجربتين قاسيتين فــي الزواج " زوجها الأول، ولعلّه حبيبها الأول والأخير، الذي قتل في ثــورة 1919. والزوج الثاني ملك البطــارخ وصــاحب قصــر الإبراهيميّــة، أفلــس ذات يــوم فانتحر. " [11] ولم تنجب من الزوجين لأنهما عاقران [12]

ــ الاسم الذي يحمله البنسيون " ميرامار " مأخوذ من اللغة الإسبانيّة. وهو اســم يعكس واقعية المكان وجماليته السّاحرة " العمارة الضّخمة الشّاهقة تطالعــك كوجــه قديم، يستقرّ في ذاكرتك فأنت تعرفه ولكنّه ينظر إلى لاشيء في لامبالاة فلا يعرفك. كلحت الجدران المُقشّرة من طول ما استكنت بها الرطوبة. وأطلّت بجمــاع بنيانهــا على اللسان المغروس في البحر الأبيض، يجلل جنباته النّخيل وأشجار البلخ ثمّ يمتــدّ حتى طرف قصي حيث تفرقع المواسم بنادق الصيد. " [13]

المسرح من أقدم ألوان التّعبير الفني وهو دخيل على المنظومة الثقافيــة العربيــة تعود أصوله إلى الحضارة الإغريقية مع سوفوكليس وأسكيلوس ويوربيدس ويُلقــب بــ (أبو الفنون)، ويرتبط المسرح بالمدينة فهو نواتها الأولى؛ فلا مدينة بدون مسرح ولا مسرح بدون استقرار.

وإذا سلمنا أن مدينة الإسكندرية وسيّدة المكان (ماريانة) والمسرح كأحــد ألــوان الفنون التعبيريّة القديمة ثلاثتهم ينحدرون من أصل واحد هو الأصل الإغريقي منبــت الفكر والفلسفة تتبيّن لنا الصورة المتواريّة لطبيعة رواية " ميرامار "، فهي مسرحية بأداة تعبير روائية أو رواية بأداة تعبير مسرحية. وما يعزّز هذه الفرضية مــا قالــه يوما الأديب الفرنسي بول كلوديل (Paul Claudel 1868-1955) الغرب ينظر إلى البحر ويعني بذلك (الإرادة، التحدي، السيطرة الغزو، الهيمنة) أمّــا الشّــرق

فينظر إلى الجبل الذي يعني (محدودية الأفق، رؤية مسدودة، الخنوع الانكسـار..) إذن الأول جُبِل على المغامرة و الصراع مع الأخر انطلاقا من مفهوم القـوّة عنـد الفيلسوف الألماني نيتـشه (F. Neitzsche 1844-1900) إذ يقول : " إن الغرب يقوم على إرادة القوة بل على إرادة الإرادة " وهذا ما تفسره طبيعـة الصـراع فـي الميثيولوجيا اليونانية القديمة القائمة على صراع الآلهة وأنصاف الآلهـة بـدْءا مـن أُنتيغون وأُديب وغيرهما، ومن هنا يتّضح لنا أن المسـرح يتأسّـس علـى فلسـفة الصّراع مع الأخر وهو بذلك يترجم وعي هذه البنية الكبرى التـي تُسـمّى الغـرب التي تتأسّس على فعل القوّة وما يقتضيه دوما من صراع ولو كان على طريقـة دون كيشوت في صراعه مع الطّواحين الهوائيّة.

والآن يُمكن أن نفكّك الوحدتين المعجميتين اللتين يتأسّس عليهما العنـوان علـى النحو الآتي:

1 ــ ميـرا: ــ يشاهد ــ بمعنى يفكر ــ يتأمّل ويتدبّر ــ المغامرة ــ الصّراع

2ــ مـــار: البحر ــ ركوب المخاطر ــ المغامرة ــ الصّراع

وما دام الصراع هو محور العملية المسرحية؛ فإنّ أحداث الروايـة المُمسـرحة يحرّكها الحوار المنبثق عن الصراع بين الأطراف المتكلّمة التي تشكّل جوهر العملية الإبداعيّة للرواية وبصورة تكامليّة (complémentarité).

وقد انتقل الكاتب من تقنية السّرد الرّباعيّ (Narration Quaternaire) التي دأب عليها في أعماله السّريّة الأخرى إلى ما يقابلها أيْ إلـى تقنيـة الحـوار الرّبـاعيّ (Dialogue Quaternaire) بين الشّخصيات الأربع المتحاورة التي تنشّـط المشـهد الروائي من بدايته إلى نهايته ؛ لكن حدّة الإيقاع المسرحيّ التي تطْبـع هـذا العمـل الدّرامي متأتية من عنصريْن أساسييْن هما في الأصل من احتكار الفـنّ المسـرحيّ وهما الحوار والصّراع المتولّدان من وجُهات النّظر الأربعة المتباينة والتـي تعكـس طبيعة الصّراع في المجتمع المصريّ ؛ وكل رؤية لها مرجعيتها الثقافية والاجتماعيّة والأيديولوجيّة. وعليه هذا النمط من الكتابة الروائيّـة لا يخضـع لأنمـوذج محـدّد

متعارف عليه على نحو الرواية التقليدية التي تلتزم بكرونولوجيا الحدث؛ التي تخضع لمقتضيات الترتيب الزمني (الحدث، الحبكة، النهاية) وما يترتب عنها في النهاية من نتيجة التي يفضي إليها منطق السّياق الروائي " بحيث أنّ كلّ فعل يتبع سابقه، وغالبا ما يدخل معه في علاقة السّببيّة "(Causalité) [14]. وهذا ما يعرف في الدراسات السّرديّة بمبدأ التّتابع (L'enchainnement) [15] أي توالي الأحداث بحيث يفضي أحدهما إلى الأخر في إطار النسق العام للأحداث الرّوائية؛ وهذه الظاهرة تُعرف بها الرواية التقليديّة من خلال التزامها بتوالي الأحداث في بناء معمارية الرواية " وذلك ما تقتضيه طبيعة البناء الروائيّ التّقليديّ في تتبّعه للجزئيّات الدقيقة والمنتظمة في تشكيل هيئة الحدث" (Causalité évenementielle) [16].

وأعتقد أنّ المكان يضطلع بدور البطولة في رواية " ميرامار " إذْ استطاع الكاتب أن يستوعب كلّ الأحداث من خلال الأدوار الموزّعة بذكاء بين الشّخصيّات الأساسيّة في الرّواية والتي تصنع فُجائيّة الحدث ؛إنّ هذه الشّخصيّات تتحمّل على عاتقها عبْء مسؤولية أزمة سياسيّة وأيديولوجيّة داخل عمق المجتمع المصريّ وبالتالي استطاعت الرواية أن تجسّد الحالة المصريّة بكلّ طبقاتها المتناقضة وكأنّ عبقريّة نجيب محفوظ حاولت بذلك أن تجمع شعبا بكامله داخل بنسيون ميرامار " تنطلق من هذا المبدأ الذي يجعل شخصياتها تعاني أكثر ممّا تبني رؤية مستقبليّة.. ويصير مضمون الرواية؛ تعبيرا عن أزمة فكريّة أكثر منها اجتماعيّة. " [17]، إن هذه الرواية المُمَسْرحة (Théatralisé) تقوم أساسا على إنشاء المواقف التّعبيريّة المتصارعة التي تستوجبها طبيعة الأدوار المُسندة إلى البطل أو المجموعة. وقد اهتدى الكاتب إلى هذه التقنية المستحدثة في الرواية العربية كمُصوّغ يساعده في اعتقادي على تمرير رسالة إلى المتلقي المقصود ؛ ويضاف إلى ذلك أنه كانت هذه الرواية سببا مباشرا ومُمهدا في نفس الوقت لخوض مغامرة الكتابة المسرحيّة بعد هزيمة 1967، وهي السنة نفسها التي كتبت فيها رواية (ميرامار) وكأنها بمثابة

عملية تجسير بينها وبين أولى تجاربه المسرحية التي كُتبت بعدها؛ والمتمثّلة في المسرحيات التالية : (يُميت ويُحيي)، (التركة) (النجاة)، (مشروع للمناقشة) (المُهمة)، (المطاردة)، (الجبل)، (الشيطان يَعِظ)، وقد حاول الكاتب توفيق الحكيم (1898ـ1987) خوض تجربة مسرحية غير مسبوقة حين زاوج بين نوعين أدبيين متجاوريْن هما المسرح والرواية ونحت لهما اسما مشتركا بينهما أطلق عليه اسم " المَسْرواية " (théatroman) أيْ المسرح والرواية وذلك في مسرحيته الموسومة بـ " بنك القلق (1976) [18] لكن هذه التجربة لم تحظ بالقبول ولم تلق لها استجابة لدى المشتغلين في النّقد الروائي والمسرحي وكأنّ صاحب هذه التّجربة يريد إعادة تجنيس المسرح والرواية وهذا ما تنشده اليوم المقولات الدّاعيّة إلى ما بعد الحداثة (Post–modernité) التي تكرّس ظاهرة تداخل الأجناس الأدبيّة وهو من مُواصفات الرواية الجديدة. أمّا أن تتحول بنية النّص الأدبيّ بتقاسيمه السّرديةّ إلى فعل مسرحيّ باشتراطاته الحدثيّة فذلك يضعف من توهّجه بسبب تراجع اللغة أمام الأداء " إنّ النص الأدبي ليس سوى عنصر من عناصر العرض وممكن أن يكون الأضعف " [19] بينما يراهن المسرح الكلاسيكي على التألق اللغويّ ويحتفي باللغة الشعريّة الرّاقيّة المناسبة لطبقة النّبلاء ؛ إنّ تطوّر الوعي الإنسانيّ عبر التّاريخ جعله يتخلّى تدريجيّا عن هذه العادة لصالح الحدث الدرامي وبالتالي حلّ الأداء والموقف محلّ اللغة ,ولم يعد همّ الممثّل سوى استمالة المتلقي (Récepteur) كرهان يجب ربحه.

وإذا كانت الشّخصيات الروائية في مجموعها تحمل مشاريع فاشلة في حياتها بمن فيها الشخصيات الخارجة عن الصراع الذي يقتضيه الأنموذج الرباعي في الرواية كالعجوز ماريانة ذات الأصول اليونانيّة و صاحبة البنسيون التي أخفقت في تجربتها في الحياة، ونفس الشّيئ يقال عن الخادمة زهرة القادمة من الريف و التي أخفقت هي الأخرى أن تكون فلاّحة محترمة بين أهلها في القرية واختارت أن تكون محلّ أطماع نُزلاء البنسيون وموضوعا لتحرّشاتهم اليومية.مع العلم أنّ العجوز ماريانة لعبت دور النافخ في المسرح (Souffleuse) من خلال ما تذكّر به زبائنها

أحيانا الذين يتردّدون على محلّها من حين إلى آخر بالأيام الجميلة الماضـــية وهنـــا مثلا يحاول عامر وجدي أن يذكّرها بآخر مرّة زار البنسيون قائلا لها : " نعـــم يـــا عزيزتي، رأيتك آخر مرّة منذ حوالي عشرين عاما.. " [20]، وقـــد ذهـــب عـــامر وجدي إلى أبعد من ذلك حين مزج بين الإسكندرية وماريانة وجعـــل منهـــا ذاكـــرة المدينة " ماريانة يا عزيزة، أنت أنت الإسكندرية.. " [21]، أمّا الخادمة زهرة فهـــي بمثابة الخيط الذي تنْتظم من ورائه الأحداث؛ وإذا انفرط انفرطت الأحداث وهي تقنية دأب نجيب محفوظ أن يشتغل عليها في أغلب أعماله الروائيّة فـــ: " حميدة " مثلا في رواية " زقاق المدق " هي الضحية ولكنها تشكّل القاسم المشترك بين أجزاء المركب القصصيّ للرواية وانتهت الرواية بنهاية دورها من مسرح الأحداث. [22]

وما يشدّ الانتباه في رواية ميرامار البالغ عدد صفحاتها 261 صفحة منها 208 صفحة يطغى عليها الحوار(♦) أي ما يعادل 79 % من مجموع صـــفحات الروايـــة هي لغة حوارية؛ ومن المعلوم أنّ الحوار (Dialogue) كمصطلح فنيّ [23] هو مـــن مرتكزات الخطاب المسرحيّ الذي تنهض عليه لغته وعلى أساس هـــذه الخصيصـــة يتفوّق المسرح عن باقي أنواع الأشكال الأدبيّة الأخرى. وفي هـــذا الســـياق جـــاءت المقولة التي تفيد " أن الرواية تُكتب لتقرأ والمسرحية تُكتب لتمثّل " ولا تمثيل بـــدون شخصيات ولا شخصيات بدون حوار ولا حوار بدون صراع فهو القوة الدينامية فـــي المشهد المسرحي الذي بدونه تنتقض الصفة المشهديّة والخصوصية من حيـــث نـــوع أدبي، خاصّة إذا تعلّق الأمر بحوار مثير تطغى عليه التّجاذبات السّياسيّة والفكريّة. " إلاّ أن الوظيفة الأيديولوجيّة للحوار هنا، تتحقق في سياق التعارض والتناقض بـــين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون أولا، وفي السياق الذي يقنـــع القـــارئ بموقـــع وطبائع ومقاصد الشخصيات الروائية المتكلّمة ثانيا ومن منظـــور ذهنـــي وتهكّمـــيّ ساخر يمثّل رؤية الروائيّ ثالثا "[24]، إن الشّغف بالحوار الذي طبع الروايـــة مـــن البداية إلى غاية نهايتها ولّد انطباعا خاصا وحسّاسا لدى المتلقي العربـــيّ يمكـــن أن

يُدرج ضمْن شعرية الحوار لما له من جاذبيّة لها سحريتها؛ يمتزج فيها البُعد السّردي بالبُعد الدّرامي، ولعلّ تعدّد الأصوات التّعبيريّة هنا يحمل بين طيّاته طابعا بوليفينيّا (Polyphonique)، و هو في نفس الوقت فرصة أتاحت للكاتب أن يرسم لوحات اجتماعيّة محْكمة البناء بلغة لم يتعوّد عليها المتلقي المحفوظي؛ وخاصة أن هذه السينوغرفيا(Scénographie) التي تعجّ بالصراعات داخل الفضاء الروائي هي مبرّرة تاريخيّا، وقد استمدّ نجيب محفوظ مشروعية هذه الإحداثيّة وفاعليتها الحوارية من قوّة المتخيّل السّرديّ من جهة ومن الحسّ النقدي الروائي من جهة أخرى. " وداخل المكوّن الحواريّ، كمكوّن أيديولوجيّ هنا، يمكن أن نميّز بين وجهات نظر مختلفة فيما بينها، يتمّ التّمثيل لها والتّعبير عنها في الوقت نفسه، على نحو مخطط ومدروس مسبقا من قبل الرّاوي الذي يدير الكلام ويوجهه كيفما أراد هُو لا كيفما أرادت الشّخصيّات المُتكلّمة " [25] وتتمثّل الوجهات الأربعة للشّخصيات حسب انتماءاتها الأيديولوجيّة كالآتي:

ــ **أولا:** عامر وجدي صحفي عجوز لم يبق له سوى اجترار الماضي واختاره الكاتب هنا ليكون ذاكرة المجموعة " صحفي متقاعد في الثمانين على أقلّ تقدير نحيل مع ميل إلى الطول، وذو صحّة يحسد عليها، ووجهه المتجعّد الغائر العينين البارز العظام لم يدع للموت شيئا يلتهمه " [26]، فهو صورة سلوكيّة للثّقافة المترهلة التي عاصرت التّحوّلات السياسيّة قبل الثّورة وبعدها.

ــ **ثانيا:** "حسني علام، شاب غير مثقف [27] وينحدر من عائلة ذات أصول إقطاعيّة؛ همّه الوحيد السّهر والشّرب واقتفاء أثر اللّذة " من أسرة قديمة بطنطا وجيه من الوجهاء ومالك لمائة فدان " [28]، تطارده عقدة الماضي الإقطاعي ونزواته كانت حائلا دون تحقيق مشاريعه الفاشلة التي بقيت حبيسة أحلامه.

ــ **ثالثا:** منصور باهي، الشاب التقدّمي ذو الميول الاشتراكيّة " مذيع في محطة الإسكندريّة، شهادة عالية جديدة ووجه وسيم دقيق ولكنه خلو من الرجولة " [29]

يستهلكه العمل الإذاعي، له تطلّعات مستقبليّة أقحمه الكاتب في المجموعة لتحقيق التّنوع الثّقافي والأيديولوجي في التركيبة الاجتماعيّة المصريّة.

ـ **رابعا:** سرحان البحيري، شخصية ذكية ذو نزعة وُصولية يشتغل " وكيل حسابات شركة الإسكندرية للغزل "[30]، ومن المنتفعين بالثورة [31]؛ محسوب على الطبقة البرجوازيّة له طموحات طبقيّة؛ عاقبه الكاتب بقسوة في آخر الرواية إذْ وُجد منتحرا " ها هي الصحف تحمل إلينا أنباء الجريمة إنها تترادف غريبة ومتناقضة. لقد اعترف منصور باهي بالقتل ولكنه لم يُقنع أحدا بالباعث عليه. قال إنه قتل سرحان البحيري لأنه ـ في نظره ـ يستحق القتل... وإذا بتقرير الطبيب الشرعي يؤكّد أن الوفاة نتجت عن قطع شرايين رسغ اليد اليسرى بموسى حلاقة وليس بضرب الحذاء كما اعترف القاتل، وبذلك رجح أن تكون الوفاة نتيجة انتحار لا القتل. "[32]، وهنا نستشف التزام نجيب محفوظ برؤيته الفلسفيّة التي ظلّ وفيا لها وتلازمه في كلّ أعماله الروائية وهي معاقبة الشّخصيات المنحرفة عن النّسق الاجتماعي بقسوة سواء بالقتل أو السجن أو المرض...

ويظلّ ميرامار مكانا يزخر بالحنين والذّكريّات الجميلة؛ ومن هنا استمدّ سطوته وتأثيره على الشّخصيّات الأخرى التي تتحدّث باسم فئات اجتماعيّة متعدّدة؛ ممّا منح المكان وحدة عضويّة وقيمة جماليّة جعلت عملا متكاملا من خلال حركة التّداول التي تضطلع كلّ شخصيّة على الكلام؛ وهي تروي تجربتها في الحياة مستعينة بـ: السّرد بالضّمير المتكلّم والمعروف عند جيرار جينيت (Homodiégétique).

وما نخلص إليه أنّ رواية "ميرامار " تحمل بُعدا دراميّا مُتَأتٍ من تأثير الأصوات وتفاعلاتها التي يُؤطّرها الفضاء المُغلق ممّا يُعطي المتلقي انطباعا وكأنه يشاهد ممثلين يتحدّثون ويتحرّكون على رُكح المسرح.

الإحـــالات:

1 – ــ ضاد، مجلة فصلية أدبيّة متخصصة يصدرها إتحـــاد كتـــاب مصـــر، نـــوفمبر 2006 ص102

2 – ــ فريال سماحة، رسم الشخصيات في روايات حنا مينا، دار كنعان للدراســـات دمشـــق ط1، 2010، ص 21

3 – G.Gennette ,Seuils.ed.Seuil.1987 P : 11

4 – ــ بشرى البستاني، قراءة في النص الشعري الحديث ن دار الكتاب العربي، ط1 الجزائر 2002، ص34

5 – ــ عدنان الحسين الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الـــدار العربيـــة للنشـــر والتوزيع، مدينة نصر القاهرة 2001، ص291

6 – ــ ضاد، م س، ص 101

7 ــ –O.Ducrot , et Todorov , dictionnaire encyclopèdique des Sciences du langage ed. Seuil. Paris 1972. p : 328

8 – ــ نجيب محفوظ، ميرامار، دار مصر للطباعة القاهرة (د. ت)، ص7

9 – ــ ضاد، م س، ص101

10 – ــ ن م، ص9

11 – ــ ن م، ص20

12 – ــ ن م، ص21

13 – ــ ن م، ص7

14 – T.TODOROV: les catégories du recit littéraire (Analyses structurale du récit) ed.du Seuil. Paris 1981. p:132

15 – ــ عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربة نقديّة في التّناص والرّؤى، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان 1990، ص 107، 108

16 – T. TODOROV :qu’es ce que le Structuralisme ed. Seuil. Paris 1966. P : 123-125

17 – ــ عمار زعموش، الخطاب الروائي في ذاكرة الجسد، مجلـــة الثقافـــة ع :114 وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر ص 48

18 – ــ ينظر : توفيق الحكيم، بنك القلق، (مسرواية) دار المعارف ط1، 1976 ص221

[19] ـ Anne Ubersfeld :Lire Le Thèatre. ed.Sociales Paris. 1977 ,P :15–

[20] – ـ الرواية، م س، ص10

[21] – ـ م ن، ص 10

[22] – ـ نجيب محفوظ، زقاق المدق، مكتبة مصر (د.ت)، ص257 الرواية.

♦ – طبعا مع عدم احتساب الصور الواردة ما بين الصفحات.

[23] – ـ عبد الفتاح مقلد، الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب القاهرة 1975، ص37

[24] – ـ عثمان بدري، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ ـ دراسة تطبيقية ـ موفم للنشر، الجزائر 2000 ص 198

[25] – ـ م ن، ص 198

[26] – ـ نجيب محفوظ، ميرامار، دار مصر للطباعة، القاهرة (د.ت)، ص94

[27] – ـ م ن، ص 92

[28] – ـ م ن، ص227

[29] – ـ م ن، ص 101

[30] – ـ م ن، ص96

[31] – ـ ينظر: م ن، ص97

[32] – ـ م ن، ص 282

تم إخراج وطبع بـ :



المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر

ها : 05.50.54.83.07/ 07.71.52.50.50

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com